القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك
ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- الديمقراطية الزائفة :استنتها بريطانيا في السودان وورثتها النخب الطائفية: الدروس المستفادة.
  أ.د ميمونه مرغني حمزه
- الحياة الاقتصادية في عمالة دنقلا في الدولة المهدية (1302 ـ 1314 هـ/ 1885ـ1896م)
  د مكاوي علي أحمد خاطر
- العائلات الملكية المقرية في دنقلا من خلال الروايات الشفهية (عائلة كشكش أنموذجا)
  د. عوض شبا
- الأداء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر الأحمر(1972 - 1974م) (دراسة وثائقية تحليلية)
  د. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي
- الأطماع البريطانية في الخليج العربي(1615 – 1923 م) (دراسة تاريخية تحليلية)
  أ. محمد دخيل بن عويد الصاعدي
- الدراسات العربية الإسلامية ونقدها لمناهج المستشرقين(دراسة تاريخية)
  أ.محمد عبدالكريم محمد الكنيدري
- علاقة السلطان علي دينار بالدولة العثمانية (1898 - 1916م)
  أ.سعاد إسماعيل إبراهيم خميس

العدد الثامن عشر ـ صفر 1444هـ ـ سبتمبر 2022م

مجلة القلزم العلمية للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية
ربع سنوية محكمة - العدد الثامن عشر صفر 1444هـ - سبتمبر 2022م

ISSN: 1858 - 9952 ردمك
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
Alqulzum Journal for:مجلة القلزم
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

الحياة الاقتصادية في عمالة دنقلا في الدولة المهدية (1302ـ1314 هـ/ 1885ـ1896م).....(7-22)

د مكاوي علي أحمد خاطر

الأداء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر الأحمر(1972 - 1974م) (دراسة وثائقية تحليلية).....(23-38)

د. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي

الأطماع البريطانية في الخليج العربي(1615 – 1923 م)(دراسة تاريخية تحليلية).....(39-64)

أ. محمد دخيل بن عويد الصاعدي

الديمقراطية الزائفة :استنتها بريطانيا في السودان وورثتها النخب الطائفية : الدروس المستفادة....(65-78)

أ.د ميمونه مرغني حمزه

الدراسات العربية الإسلامية ونقدها لمناهج المستشرقين(دراسة تاريخية).....(79-96)

أ.محمد عبدالكريم محمد الكنيدري

العائلات الملكية المقرية في دنقلا من خلال الروايات الشفهية (عائلة كشكش أنموذجا).....(97-104)

د. عوض شبا

علاقة السلطان علي دينار بالدولة العثمانية (1898 - 1916م).....(105-124)

أ.سعاد إسماعيل إبراهيم خميس

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد الثامن عشر من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتيها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار سبعة عشر عداداً من المجلة، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

الحياة الاقتصادية في عمالة دنقلا في الدولة المهدية
(1302 ـ 1314 هـ / 1885 ـ1896م)

د. مكاوي علي أحمد خاطر
أستاذ مساعد - كلية التربية - جامعة دنقلا

مستخلص:

تتناول هذه الدراسة الجوانب الاقتصادية في مديرية دنقلا في الدولة المهدية (1302ـ1314هـ/ 1885 – 1896) م والتي سميت بعمالة دنقلا ، واستخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي ، طبق الأنصار النظام الإسلامي وترتب على ذلك أن المعاملات الاقتصادية أخذت الطابع الإسلامي ، ومن أهم الموارد الاقتصادية الزراعة والتي تركزت على ضفاف النيل والآبار لقلة الأمطار ، فجمع الأنصار المحاصيل الزراعية لصالح بيت المال عن طريق التخريص (نظام إسلامي) ، ومن أهم المحاصيل التمر فهو محصول نقدي وغذائي اعتمد عليه الأنصار في تمويل الجيش والأهالي في جلب النقد . أما الجانب التجاري فرغم أن دنقلا عمالة حدودية إلا أن التجارة الخارجية لم تلعب دوراً كبيراً في اقتصاديات المنطقة نسبة لسياسة حكام دنقلا تجاهها ، حيث كانت الحدود تغلق أحيانا وتفتح أحيانا أخرى ، ولذلك كان ما يرد بيت المال من التجارة الخارجية متذبذبة ، كما ساهمت المنطقة بقدر من الصناعات المحلية التي كانت تسد حاجة المنطقة ، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن إقليم دنقلا كانت تساهم بقدر كبير من صناعة الغزل والنسيج التي اعتمد عليها الأنصار في كسوة الجيش والأهالي .

كلمات مفتاحية: التمر ، الانصار، العمالة، بيت المال ، الريف المصري

Economic life in Dongola labor in theMahdist state (1302- 13014 HA/1885- 1896AD)

Makawi Ali Ahmed khatir

Abstract:

This study deals with the economic aspects of Dongola district during the era of Mahdia (18851896-), which was called the Dongola Prefecture.The researcher used the historical-analytical method. The Ansar applied the Islamic system, and as a result, economic transactions took an Islamic fotm. One of the most important economic resources is agriculture, which was spread on the banks of the Nile and around wells due to the lack of rain. So, the Ansar collected agricultural crops for the benefit of the Bait Al-Mal through Takhris (Islamic system). Among the most important crops are dates which was a cash and food crop that the Ansar relied on to finance the army and the people to bring cash. As for the commercial aspect, although Dongola is border Prefecture, foreign trade did not play a big role in the region's economies due to the policy of the Dongola rulers towards it, as the borders were sometimes closed and sometimes opened, and therefore what the Bait Al-Mal received from foreign trade was fluctuating. The region also contributed in a lot of local industries that used to meet the needs of the region. One of the most important findings of the researcher is that the Dongola region was contributing a great deal to the spinning and weaving industry that the Ansar relied on in clothing the army and the people.

Key words: Date - Ansar-District – Treasury- Egyptian countryside

المقدمة:

يعتبر اقتصاد أهل الشمال بسيطاً واعتمد سكانها على الموارد المحلية من زراعة وصناعة وتأتي غالبية ماتحتاج اليه من متطلبات من الخارج وغالباً ما يدخرون منتجاتهم لوقت الحاجة .

أهداف الدراسة:

أولا تعتبر الزراعة والتجارة عصب الحياة الاقتصادية فنهدف بهذه الدراسة الوقوف عندهما ومعرفة مدى مساهمتهما في الحياة المعيشية لسكان الشمال في فترة المهدية .

ثانياً طبق المهدية الحكم الإسلامي فنهدف أيضا معرفة هل طبق الأنصار النظام الاقتصادي الإسلامي وهل هي وفق التشريع وكيف كانت تجمع الإيرادات لبيت المال؟.

ثالثاً هل ساهمت دنقلا في مجال الصناعة في عهد الأنصار أم أنها كانت تعتمد على مصنعات تأتيها من مناطق أخرى وما نوعية المصنعات إن وجدت ؟ .

رابعاً معروف أن المناطق الشمالية تعتمد في زراعتها على النيل لعدم وجود أمطار بالطبع هذه مساحات ضيقة مقارنة بمناطق السودان المختلفة لاعتمادها على الأمطار فهل كان الإنتاج كاف أم أن هنالك مشكلات زراعية وما طبيعتها إن وجدت ؟ وبحكم أن هذه العمالة حدودية ومعروف أن المهدية لا تتعامل مع من لم يؤمن بالمهدية تهدف الدراسة معرفة موقف المهدية تجارياً مع الجارة مصر

الحدود الزمنية والمكانية:

الفترة الزمنية المعنية بهذه الدراسة هي فترة حكم المهدية لدنقلا (إقليم دنقلا) والتي سميت في عهد الأنصار عمالة دنقلا وتبدأ باستيلاء الأنصار عليها سنة (1302 هـ ـ 1885م) والتي امتدت الى 1314 هـ ـ (1896 م) . أما الحدود المكانية فهي مديرية دنفلا في العهد التركي المصري والتي أصبحت عمالة دنقلا والتي امتدت من صرص شمالاً (جنوب وادي حلفا) إلى آمري جنوباً في حدود المناصير الشايقية وغرباً واحة القعب .

مشكلة الدراسة:

تفتقد المنطقة لدراسات تاريخية منهجية لفترة حكم المهدية وخصوصا الجانب الاقتصادي ورغم أن هنالك دراسة للحياة الاجتماعية لمنطقة السكوت والمحس إلا أنها ركزت على الجانب الاجتماعي فالجانب الاقتصادي لم يتم التطرق لها فهذه الدراسة تعالج هذه المشكلة ، والمعروف ان غالبية ما يروى عن المهدية في الشمال روايات شفهية متداولة وفيها تجني على سياسة المهدية فلا بد من دراسة منهجية ولاسيما أن هذه الدراسة تعتمد على المصادر الأولية فبذلك نجلي الحقائق ونصحح المعلومة أونؤكدها .

منهج الدراسة :

في هذه الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي في تحليل الحقائق التي تم الحصول عليها من مصادر أولية وهي الوثائق وأحيانا استخدم المنهج الاستقرائي كمنهج مساعد ولم يكتفي الباحث بسرد الأحداث تاريخياً فقط .

مقدمة:

دنقلا هي إحدى أقاليم السودان في العهد التركي المصري والتي أصبحت في عهد المهدية عمالة دنقلا ، وتورد المصادر كثرة شكاوي أهل السودان من النظام الضريبي ومعاملة الأهالي في العهد التركي ، والجدير بالذكر أن ضريبة الأرض في دنقلا وبربر في عهد الأتراك لم تؤخذ من المزارعين حسب مساحة حقولهم إنما كانت تفرض على أساس الآلات والأدوات المستخدمة في الإنتاج ، كما تباينت الضرائب ليس باختلاف الآلات فحسب بل لعدم تجانس إنتاجية الأرض ولذلك فان السواقي تغرض عليها نسب مختلفة لان بعض الحقول خير من بعضها مع العلم بان مساحة كل ساقية ثمانية أفدنة[1]. ولم يفرط الإداريون في جمع الضرائب بل كانوا يجرون تحفيفا للمديرين الذين

يتركون بعضها على ذمة الأهالي ولم يحصلوها [2] . ويبدو أن الشكاوي التي وصلت للخديوية في مصر سعوا للتحقيق فيها ، ويتضح ذلك في رسالة من الديوان الخديوي لقاسم آغا حاكم دنقلا ، يذكر فيها أن احمد آغا توجه لطرفه ومعه احد الكتاب لإجراء التحقيق في الظلم والتعسف الواقع من طرفه في حق الأهالي ويطلب منه إن لايخفي ولا يكتم الحقيقة وان يساعدهم في أداء مأموريتهم [3] وكانت الضريبة المفروضة على النخيل في العهد التركي مبلغ قرشان ونصف للنخلة الواحدة ونجد أن ذلك اختلف في فترة حكم المهدية [4] وكان الأتراك يفرضون ضرائبهم على النحيل قبل أن تثمر [1] ولا غرو في أن تشهد منطقة المحس ثورة بقيادة بخيت في عهد التركية رفضاً للسياسة الضريبية التي انتهجتها الإدارة التركية في السودان والتي أرهقت الأهالي وتسببت الثورة في قطع الطرق [5] . وبما أن الزراعة والتجارة والصناعة هي الركائز الأساسية لإقتصاد كثير من المناطق بما فيها دنقلا سوف نبدأ بالجانب الزراعي .

الزراعة :

تعتبر عصب الحياة الاقتصادية لغالبية أقاليم السودان ، ويتميز إقليم دنقلا بالحرارة الشديدة في الصيف وبرودة شديدة جافة في الشتاء، فمناخ المنطقة صحراوي قاري وذلك ناتج من بعدها عن السطوح المائية وتوغلها في الأراضي اليابسة ويعزى ذلك أيضا إلى عدم وجود جبال مرتفعة تعترض حركة الرياح وبالتالي تتسبب في هطول أمطار في المنطقة [6]. وتكاد الأمطار أن تكون معدومة في الشمال وتكثر نسبياً كلما اتجهنا نحو الجنوب ، وقد تسببت الزيادة النسبية في الأمطار من جريان بعض الوديان نحو النيل من منطقة بيوضة مثل وادي الملك ووادي المقدم وخور ابودوم [6]

نسبة لندرة الأمطار اوشبه انعدامها فالأراضي الزراعية في الشمال تعتمد على السواقي فأراضي السواقي هي البر الثابت على ضفتي النيل والجزائر التي لاتغمرها مياه النيل مهما اشتد فيضه ،وتسقى بالسواق والشواديف ، وأراضي الكروة وهي منخفضات في البر الثابت ، أشبه بترع يغمرها النيل عند اشتداد فيضه . وأراضي المتره وهي الأراضي التي تسقى بماء المتره ، فهي حفرة تحفر بعيداً عن النيل فيرشح إليها ماؤه وتركب فيها السواق وتروى بها الأراضي التي حولها والفصول الزراعية هي الفصل الشتوي وهو فصل نزول النيل ومدته ستة أشهر والصيفي ومدته ثلاثة أشهر والدميرة وهو فصل فيضان النيل ومدته ثلاثة أشهر [7]. وتختلف محاصيل الفصول المذكورة ، فاهم محصولات الشتوي هي الفول والقمح والترمس والوريق واللوبية والشعير بجانب الخضروات ، أما محصول الصيفي فاهمها الذرة الشامية و الذرة البلدية والخضروات أما محاصيل الدميرة فهي الذرة البلدي والشامي والسمسم والقطن والخضروات [8]. والمعروف أن أهم حاصلات الإقليم هو التمر وتنتج المنطقة أنواع منه إلا أن أجود تلك الأنواع القنديل والبتمودة ، بالذات ماينتج منها في السكوت والمحس حيث أجود وأنقى من باقي نمور دنقلا ولذلك كان حكام دنقلا يرسلون أحيانا للخليفة في البقعة من نمور المنطقة [9] .

بعد سقوط دنقلا في أيدي الأنصار في ذي القعدة 1302 هـ(ديسمبر1885) م تمكن محمد الخير من تنظيم الإدارة في دنقلا حيث كان قد أرسل ابن أخيه عبد الماجد لدنقلا والذي بدوره

رسائل لأهالي المحس والسكوت وعين عليهم أمراء يرضاهم وكلفهم بحصر السواقي حتى يتمكن على ضو ذلك من جمع حقوق الله من زكاة وغيرها [10]. باشر عبد الماجد الأمور الإدارية حتى قدوم محمد الخير لدنقلا ، فنظم محمد الخير الإدارة ونظم بيت المال بتعيين البعض لحصر الغنائم والفي وإعداد دفاتر لذلك [11] . فمحمد الخير هو الذي وضع اللبنات الأولى للإدارة في دنقلا حيث كانت دنقلا وبربر مديرية واحدة حتى تم فصلهما بعده وسار حكام دنقلا على السياسة الإدارية التي وضعها محمد الخير. طبق الأنصار التشريع الإسلامي فكانت الإيرادات تصل لبيت المال من حقوق الله كالزكاة والفي والغنائم والعشور وغيرها واستخدم الأنصار نظام الخرص في جمع حقوق الله من محاصيل منطقة دنقلا .

التخريص:

خرص في الأمر حدس وقال بالظن ، وتقول كم خرِص' أرضك أي كم قدرها وماخمن فيها وخرص النخلة أي قدر ماعليها [12] . درج الأمراء في دنقلا اخذ حقوق الله من المحصول بتقدير ثمار ثلاثة حيضان من الأرض المزروعة وقياس باقي الساقية عليها. اقر النجومي هذه السياسة ، وكتب للخليفة بأنه استحسن ذلك ورد عليه الخليفة بما نصه " انه طالما بطرفكم نائب شرعي اعرضوا عليه الأمر وما يكون موافق الحق تتفقوا عليه معه واجروا العمل بمقتضاه" [13].

برر حكام دنقلا استخدام هذه السياسة لان سواقي دنقلا لايمكن حصادها مرة واحدة واحتياج أهلها ، كلما بدا صلاح شيء يحصدوه ويتقوتون به ولو أمروا بحفظ الذي صلح لحين استكمال المتأخر ومنعوا من تعاطيه لأجل معرفة نصاب الزكاة منه يحصل ضرر شديد في ذلك ولايطيقونه ، ولذلك عاملهم محمد الخير وجماعته بهذه الطريقة وتجنب التضييق على الناس ، وكان ذلك حسب رضاهم فكلما نضج شيء من محاصيل سواقيهم تركوه لهم ليحصدوه ويتصرفوا فيه إلى أن يبقى آخر الساقية فبعد ذلك ياخذون ثلاثة حيضان احدهما أعلى والثاني وسط والثالث اقل جودة فيدرسونها ويعرفون مقدار محصولها ويقيسون عليه حيضان الساقية المزروعة ويأخذون حق الله على هذا الأساس . اقر الخليفة هذه السياسة حيث قال " مادام الأمر كذلك وهذه الكيفية فيها راحة المسلمين وعدم التضييق عليهم اجرون العمل حسب ماهو جاري واخذ حقوق الله حسب الثلاثة حيضان " [14].

تضرر الأهالي من تلك السياسة لاسباب منها:

1. أنها كانت تحمل سكان الخط فوق طاقتهم كما حدث عندما قام محمد عوض الله بتخريص شتوي 1313هـ (1895) م بخط امبكول ورفع الكشف لمحمد وداعة أمين بيت مال العرضي فأمره بضم 103 (مائة وثلاثة أرباع أردب وإدراجه بكشف التخريص وجمعه من الأهالي ورغم احتجاجه على انه لم يوجد شيء يساوي المقدار الذي وضعوه واستجابة للأمر ضم ثمانين إردبا على الكشف وشرع في تحصيلها [15]
2. كانت المحصولات أحيانا لاتكفي حاجة المخرص عليهم وقد شكى بذلك أهالي ارقو في تخريص شتوي 1308 هـ(1891) م [16].

3. عدم مقدرة البعض دفع ماعليهم فتظل مقيدة عليهم كمتأخرات أي بمعنى باقية عليهم حتى العام الجديد فيكون ذلك عبئاً على الأهالي [17].

يكون الخرص أحيانا مبالغاً فيه وقد تطلب ذلك تدخل عمال الأهالي ومحاولة التخفيف عن أهاليهم فمثلاً عندما ندب سليمان حامد لخرص جهة الدبة كان خرصه كالآتي :

تسع سواقي بواقع كل ساقية ثلاثة أرادب وثماني سواقي بواقع الساقية إردبين ونصف وأربع سواقي بواقع كل واحدة إردبين وجملتهم 55 (خمسة وخمسون إردبا). فتدخل سعيد محمد فرح ومندوبيه من الأهالي وخفض الكمية إلى 35 (خمسة وثلاثون إردبا) ، فكتب محمد خالد عامل العموم إلى النور الحاج قاضي الخط للنظر في ذلك إذا كان الخرص دقيقاً ومضبوطاً أم أن مندوبي الأهالي على حق فيصير اعتماد تخريصهم [18].

يلاحظ أحيانا في كشوفات التخريص التزام من عمال العمالات (الاخطاط) بتوريد كمية من غلال تخريص جهاتهم لفترة محدودة ويكون هنالك تعهد أمام القضاء ، أي يتعهد العامل بتنفيذ تلك الكشوفات أمام القضاء [19] . ويتضح للباحث من كشوفات التخريص مايلي :

أولا يوضح الكشف الجهة في الخط ومقدار الخرص المضروب على كل شخص في تلك الجهة من أنواع الغلال ، ثم تجمع المحصولات وأحيانا تفصل مثل (شعير ، قمح ، مكادة (أي ذرة شامي) وغيرها ثم يختم بعد الجمع النهائي موضحاً الكمية كتابة باللغة العربية وهذه مهمة عامل الخط ويتم التوقيع باسمه[20] .

ثانياً تلك الكشوفات يتم مخاطبة عامل العموم بشأنها الذي بدوره يحيلها لامين بيت المال وبدوره يحول تلك الكشوفات لكتاب الحسابات حيث يتم مراجعة الكشف ومطابقته أو عدمه لإخطار الجهة التي ورد منها الكشف [21].

ثالثاً بعد إعداد كشف التخريص ترسل صورة منه لبيت المال وتبقى صورة أخرى لدى عامل الخط للتحصيل بموجبه [22].

النخيل :

التمور هي أهم حاصلات المنطقة واعتمد عليها الأهالي وحتى المجاهدين الأنصار حيث كانت تصرف لهم كراتب شهري بجانب غلال أخرى أحيانا، ويبدو أن كمية التمور المنتجة قد قلت في فترة المهدية ، ويشير تقرير المخابرات أن أعداد النخيل قلت في عهد المهدية ، النخيل المثمرة سنة 1885 كانت حوالي 600,000 (ستمائة ألف) إما في الفترة بعد نهاية المهدية كان تعدادها 376,512 (ثلاثمائة وستة وسبعون ألفا وخمسمائة واثني عشر) يقارب الانخفاض 50% .

و قد يعزى ذلك للآتي :-

أولا تأثير سنة 1306 هـ (1889) م سنة المجاعة حيث انخفض عدد النخيل منها ماتكسر ومنها ما مات لعدم المياه (4) .

ثانياً الأنصار عندما اشتدت بهم الضائقة لجأوا لقلع أشجار النخيل للحصول على قلب النخل

وهي مادة تؤكل ، وبالتالي أدى ذلك لخسارة الكثير من النخيل الصغير منها والكبير[23] ولاشك أن المجاعة أثرت كثيراً في الحياة الاقتصادية لأهل الشمال .

سياسة الحكومة في جمع حقوق الله من ثمار النخيل كان عن طريق الخرص ، اتبع الأمراء سياسة الخرص والمعروف في التشريع الإسلامي أن الخرص يجوز في المحاصيل التي تؤكل رطباً كالتمر والزبيب مثلاً ، وفي اللغة يقال خرص النخل والكرم حزره وقدره بالظن أي حزر ما عليه من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً ، وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم أمر بالخرص في النخل والكرم خاصة [24]. في تخريص النخيل شكي أهالي ومقاديم المحس للخليفة عبد الله بان محمد خالد عامل دنقلا جعل على كل نخلة قيراطاً سواء كان بمحصول اوبغير محصول وطالبوا بمعاملتهم إما بالتخريص إما بأخذ العشور[25] وفي عهد محمد بشارة أيضا أشار محمد بشارة للخليفة بان أهالي السكوت تعهدوا بخلاص الثمار المطلوب من جهتهم بواقع كل عود من النخيل قيراطاً وان مايصل لبيت المال من الفيء نحو الثمانمائة أردب من التمر[26]. وبناءً على ما ذكر يتضح الآتي :-

أولا لم يكن طريقة جمع حق الله من ثمار النخيل غي عهد محمد بشارة ومحمد خالد بالتخريص.

ثانياً لم تكن طريقة الجباية في ثمار النخيل في عهد محمد خالد بالتخريص ولا بالعشور

ثالثاً في ضريبة النخيل قيراط لكل عود من النخيل إجحاف في حق الأهالي، فالتشريع الإسلامي لايقر ذلك في حق الله مع العلم أن الناتج من النخيل ليس بمستوى واحد ، وأحيانا لايصل إنتاج النخلة قيراطاً واحداً .

ابتكر محمد خالد ضريبة العلف ، وقدرت بالمال وقبل الأهالي توريد القيمة نقداً لبيت المال ، وذكر محمد خالد أن ذلك لراحة الأهالي وعدم مد يد الأنصار إليهم بمعنى أن يكون قيمة القش واردة لبيت المال ويبقى القش ملكاً لصاحبه[27] .فكانت قيمة العلف التي ترد بيت المال تحسب على أساس الإردب من الغلال يعادل ريالاً وأربعة قروش (24 قرش) بمعنى انه لو كان على الأهالي أردب لبيت المال في حق الله يتحصل من الشخص المذكور ريالاً واحداً وأربعة قروش ففي كل أردب يتم تحصيله كزكاة عليه دفع أربعة وعشرون قرشاً كضريبة علف وما ذاد على ذلك يتم تحصيله على هذا الأساس[28].

مشكلات الزراعة :

أراضي دنقلا الزراعية كانت تروى بالسواقي بجانب الجروف فهي محدودة المساحات والأمطار قليلة جداً ، فلا تتوفر مراعي لركائب الأنصار ، ولم يألف أهل الشمال إطلاق سراح البهائم حتى لاتضار مزارعهم البسيطة التي يعتمدون عليها في معاشهم ، وبوصول الأنصار حدثت تظلمات من الأهالي في تعدي ركائب الأنصار على مزروعاتهم وأدى ذلك لخلافات بين الأنصار والأهالي ووصل الخلاف مرحلة المحاكم أحيانا [29] .

الظروف التي مرت بها المنطقة وخصوصاً مجاعة سنة 1306 هـ أدت لهجرة غالبية أهلها وتوقفت معظم السواقي التي هجرها أصحابها سنة الحرب والمجاعة ، وكانت قد آلت لبيت المال وبعودة بعض الأهالي تقدموا بطلبات لإعطائهم سواقيهم لعمارتها، والتزموا بدفع ما عليهم لبيت المال وبذلك عادت بعض السواقي للعمل بعد سنة المجاعة [30].

التحق بعض الدناقلة بالجيش وتركوا الزراعة ولزموا الرباط وعانت دنقلا من قلة المحاصيل ، ويبدو أن الخليفة أدرك أهمية الزراعة في تمويل بيت مال دنقلا ولذلك اصدر أوامر ليونس الدكيم بترك الدناقلة والسماح لهم بالرجوع لعمارة سواقيهم وبعمارة السواقي وإنتاج المحاصيل يؤخذ منهم الزكاة لبيت المال حيث يصرف منه للأنصار والمجاهدين[31] . وثمة مشكلة أخرى عانت منها دنقلا وهي توقف عدد كبير من السواقي التي كانت تدور بالأبقار نسبة لتفشي مرض ابوقنيت (الطاعون البقري) الذي اهلك الأبقار وأبطل عمل السواقي[32]. فالتدهور في الإنتاج الزراعي كان كبيراً ويتضح ذلك من إحصائية سواقي مديرية دنقلا حيث أوردت التقارير أن السواقي التي كانت تعمل في مديرية دنقلا سنة (1302 هـ ـــ 1885م) كان عددها 6451 ساقية بينما أصبحت عدتها في (1315 هـ ـــ 1897م) بعد الفتح الانجليزي 1545 ساقية ، ويرجع ذلك للأسباب سالفة الذكر(4).

التجارة :

اشتهر الدناقلة بنشاطهم التجاري في كافة أرجاء السودان وظهر من بينهم تجار ذو ثروات ضخمة وكونوا تجمعات كبيرة في المناطق التي سكنوها لدرجة أن بعض الأحياء عرفت بأسمائهم وهي(حي الدناقلة)[33] . ورغم أهمية دنقلا في العهد التركي لأنها كانت ممراً للبضائع السودانية المصدرة لمصر حيث كانت الحكومة التركية تستفيد من ذلك ، إلا أنها لم تشهد استقراراً في التجارة في عهد المهدية ، لاختلاف سياسة الحكام تجاه التجار أحيانا يفتحوا لهم الحدود للتجارة مع السودان ، واحياناً يغلفونها في وجوههم . في بداية عهد المهدية في الشمال كانت سياسة الحكومة المهدية واضحة تجاه التجارة الخارجية ، فمنع الخليفة ورود البضائع من جهة الريف وبيعها في السودان بحجة أن الجهة التي ترد منها تعتبر عنده دار كفر، ومن ثم أشار الخليفة إلى التجار الواردين إلى السوق بالرجوع ببضاعتهم ، أما مايخص النصارى والترك فان بضائعهم سوف تغنم وأشار لهم بأنه لا إذن بالحضور للسودان بالكلية[34]. وفي تقدير الباحث أن المنطقة الشمالية لم يكن بوسعها الاستغناء عن الريف المصري نسبة لورود معظم مستلزماتها عن طريق التجار الذين يفدون منها. ولعل اختلاف الوضع وقرب الأنصار من جهة الريف وعدم تمكنهم من الحصول على المستلزمات اليومية إلا من جهة الريف كان سبباً في العدول عن ذلك القرار ووضعه موضع التنفيذ ، فمثلاً في فترة ولاية مساعد قيدوم ذكر للخليفة بان أهالي الريف يحضرون من حلفا ببضائعهم ويأتون لرباط صرص لتصريف مامعهم من بضائع ذات المنفعة للأنصار ويبثون أخبار الأعداء كما ينقلون أخبارنا لهم ، وفي ذلك اعتراف ضمني بأهمية بضائع الريف لهم ، ويأتي في مقدمة البضائع الواردة السكر والأقمشة والعطور ولعل قيدوم كان يرى أن المنفعة التي يجنيها الأنصار اكبر[35].

في فترة يونس الأولى (1306 - 1307) هـ (1889 ـــ1890) م أحس الخليفة بضيق الأنصار في الشمال فكتب ليونس الدكيم وأشار إليه بفتح الطريق بعد التشاور مع المسئولين[36]. وفي عهد محمد خالد (1307 – 1308) هـ (1890 ـــ 1891) م الذي واجه نفس مشكلة من سبقوه وهي المشكلة المالية ، فسعى لحلها بالمداولة مع المسئولين وهم رؤساء الجيش وأمين بيت المال والقضاء

وتم الاتفاق على فتح طريق التجارة مع الريف المصري ، فاستحسنوا فتح الطريق أمام الواردين والمترددين من التجار والسماح لهم بالبيع والشراء واخذ العشور منهم وتوريدها بيت المال لما في ذلك من نفع للأنصار وحلاً للضائقة المالية[37] .وبناءً على ذلك أعطى محمد خالد تأمينا لأهل الريف القادمين بالبضائع للبيع والشراء ، كما اخذ بعض الأفراد من أهالي البلاد اذونات من محمد خالد وتوجهوا بها للريف لجلب بعض السلع ، ويبدو انه حصل تعرض للتجار من احد مسؤلي رباط الحدود فكتب له محمد خالد ذاكراً أن فتح الطريق البحري فيه نفع لورود بعض السلع المفيدة وسهولة الطريق للراغبين في المهدية وحضور الأسرى بالجهة المذكورة وسد الطريق لايعود بالنفع في شيء بل فيه الضرر، ونهب أشيائهم يعود بأكبر الضرر علينا ولا يوافق عدالة المهدية والشريعة المحمدية. ويقصد هنا نهب التجار حيث حدثت حادثة مشهورة نهب فيها الأنصار تجاراً قدموا من الريف ببضائعهم تعرض لهم بعض الأنصار ونهبوا بضائعهم بعد أن أخافوهم بالسلاح وأطلقوا عليهم النار وأردوا احدهم قتيلاً وتم تقديم من قاموا بذلك للمحاكمة فقتل القاتل وحكم على البقية بأحكام شرعية[38] .

نشطت النجارة في عهد خالد مع الواردين من الريف ، وأشار هولت إلى أن خالد أرسل رسالة لأحد التجار بمصر العليا وقد وعده فيها بحماية كل التجار وإعطائهم الإذن للتصرف في بضائعهم كما شاءوا وضمان رجوعهم إلى مصر . وفي تقدير الباحث أن سياسة خالد قد وجد ارتياحاً من قبل الأهالي، إلا أن هذا الانفتاح جعل بعض الأنصار يتهمونه بأنه في توادد مع الكفرة ، وابلغوا الخليفة بذلك والذي بدوره أرسل الأمناء للتحقيق في ذلك فلم يجدوا دليلاً ، كما أن سياسة الخليفة الاقتصادية بفتح طريق مصر هدف به إرضاء أبناء الشمال والتخفيف على المواطنين في دنقلا وبربر وزيادة دخل بيت المال في امدرمان . وعملاً بتعليمات الخليفة شجع حمودة إدريس رئيس الرباط الشمالي المواطنين الذهاب لحلفا للتجارة للحد الذي جعله يعطي نقوداً من بيت المال لشراء الذرة والملابس[39] . ولعل هذه السياسة عادت بالرخاء لأهل دنقلا ، ويتضح ذلك في رسالة من القضاء للخليفة حيث قالوا ما نصه " انقطعت التعديات وعم الرخاء وقيمة الأردب من الغلال ريالين في المركز أما في الخارج اقل من ذلك ومثل هذا الرخاء لم يحدث منذ سبعين سنة كما ذكر المعمرين ذلك " [40] . وعندما عاد يونس الدكيم عاملاً لدنقلا في الفترة الثانية (1308—1313) هـ (1891 ــ 1895) م منع تجار الريف من الحضور للسودان ويتضح ذلك في رسالة لحمودة إدريس حيث قال "إن طريق البضاعة في هذه الجهة فهو مسدود ولم نر من فتحه إصلاح سوى الخلل وزيادة الإفساد[41]. ويتضح من ذلك مدى تذبذب المواقف تجاه تجارة الريف .

أما التجارة الداخلية فيعتبر التمر من أهم السلع التجارية في منطقة دنقلا بجانب المصنعات المحلية كالحصير المصنوع من سعف النخل والأطباق والمنسوجات اليدوية وغيرها . ومن السلع التي كانت ترد لدنقلا الصمغ ولاشك أنها كانت ترد من كردفان ودارفور ، وكانت الحكومة أحيانا تحتكر بعض السلع ومنها هذه السلعة حيث يرد منها دخلاً لبيت المال ، فمقدار الصمغ

الذي تجمع ببيت مال دنقلا سنة 1307هـ قارب المائتي قنطار[42] . أما تحديد أسعار الصمغ فكان مسؤولية أمين بيت مال العموم ، فصدر أمر من محمد ودعدلان أمين بيت مال العموم لمحمد حمزة أمين بيت مال دنقلا بجمع الصمغ بطرفه وتحديد ميعاد له وحدد له الأسعار كالأتي:ـــ الهشاب القنطار 10 ريال والطلح 5 ريال ودونه من الأنواع بثلاثة ريال وبعد الميعاد من وجد عنده صمغ ولم يورده يصادر لمصلحة بيت المال بعد الفترة المحددة[43] .

قد يحتاج الأهالي إلى إغراض فكانوا يلجاون احياناً لبيع التمور وشراء أغراضهم ، ويتطلب البيع خارج دنقلا تصريحاً ، اطلعت على وثيقة يشير فيها صاحب التمر لحاكم دنقلا الأمير يونس بأنه لديه إردبين تمر في عدلتين ويريد الإذن للذهاب بهم للبقعة وبيعهم وشراء أغراضه ، فكتب يونس للمسؤليين في منطقة الدبة لإعطائه تصريح وبالفعل قام مسؤلان بتحرير تصريح مرور للتمر ويشيرون فيه لعدم التعرض له . واحياناً يكون البيع مشفوعاً بإقرار وشهود ويكون ذلك في المنقولات غالباً فاطلعت على وثيقة وهي مبايعة البائع تامجوك يونس وهو عامل الدبة والشاري ياسبن بن علي ، تشير الوثيقة أن تامجوك باع السيف لياسين بن علي بمبلغ مائتي فرش صاغ ميري وفي أسفل الشهود وأختامهم [44].

منطقة دنقلا كانت بها عملات كثيرة منها المجيدي قديم وقوشلي وودعدلان وعبد المجيد وابو حراب ووقيع الله [45]. ولعل تعدد العملات المحلية والأجنبية أدى لتمييز البعض منها والتوقف في المعاملة عن البعض ولذلك اصدر الخليفة منشوراً حذر فيه من التوقف وقال "أن من يحصل منه توقف حتى ولو في قرش واحد سوف يتم تغنيمه وبعد ذلك يجرى عليه الجزاء اللازم" وأمر أيضا بقبول المعاملة بالرباعي (أربعة ازرع دمور وتعادل ربع ريال) (46) ولحاجة بيت مال دنقلا للنقد كان أحيانا يتم إرسال تمر للبقعة لبيعها وإرسال قيمتها نقداً لبيت المال [47]. يتضح أن بعض الأنصار سعوا لمزاولة مهنة التجارة ، ولعل ذلك شغلهم عن مهمتهم الأساسية وهي ملازمة الرباط وكان ذلك سبباً لمنع الخليفة الأنصار المجاهدين مزاولة البيع والشراء ، ويبدو أن الأنصار لم يقبلوا بذلك وربما يرجع ذلك إلى أن ما كان يصرف لهم من بيت المال غير كافي وكان ذلك سبباً لهروبهم ويتضح ذلك في رسالة الخليفة ليونس حيث قال "وحسب إشارتكم منعناهم منعاً كلياً فلم يجدوا مقصودهم في التداول بالبيع والشراء ولا مد اليد فقاموا هاربين[48]. ومن إيرادات بيت مال دنقلا الزكاة أما كيفية جمعه من الآهلين كانت تعد كشوفات لكل خط فيرد اسم صاحب الجهة ثم يسجل صاحب المقدمية ثم يرد تحت اسمه من تحت مقدميته من أشخاص ، ويتم ذلك عن طريق مناديب التعداد مع مقاديم الجهة وعمال الاخطاط وبعد توقيعهم يعتمد من النائب الشرعي للخط وترسل صورة لبيت المال للعمل بموجبه) 49). ونصيب الفرد من زكاة الفطر كان تحديده مسؤولية بيت المال فمثلاً حدد بيت المال فطرة سنة 1309هـ (1892) م بواقع الفرد قيراط على الأهالي ، وفي نفس الوثيقة يتضح ان الزكاة المفروضة على أنصار الرباط ثلث قيراط ، بمعنى أن القيراط يجزي لثلاث أشخاص(50) . أما العشور فكانت تؤخذ من التجار الواردين عند النقاط الحدودية، ونظير ذلك يتم تسليمهم إيصالات حتى لايطالبوهم

بالعشر ، وذكر بابكر بدري انه كان يأخذ العشر من التجار لبيت مال صرص عندما كان أمينا لبيت مالها[51] . والغنائم كانت تقسم حسب الشرع ويحفظ الخمس، فمثلاً ذكر النجومي انه اخرج الخمس من غنائم الكبابيش ، إلا انه صرفه للأنصار للحاق الضرر بهم فكتب للخليفة يطلب المسامحة فرد عليه بان ما أجراه صواب(52). كما كانت هنالك أراضي في ءء ونخيل وغيره من الفي آلت لبيت مال دنقلا ، بجانب موارد أخرى منها التغنيم والأمثلة كثيرة فمثلاً قام طلائع يونس بالقبض على أفراد من جهة الريف حضروا بغرض التجارة واتضح أن من أعطوهم الأموال للتجارة يقيمون بحلفا وهم دناقلة ، فتم مصادرة أموالهم وأدخلت بيت المال[53]

ذخرت منطقة دنقلا بصناعات محلية لم تكن وليدة عهد المهدية إنما أشار اليها الرحالة الذين زاروا المنطقة في العهد التركي المصري، وياتي في مقدمة مصنعاتها المحلية منتجات النخيل، استفاد الناس من النخيل في صناعة بعض متطلبات الحياة ، من اليافها صنعوا الحبال واستفادوا منها في أغراض منها نسيج السُرر وصناعة المراكب وغيرها ، واستخدموا الخوص في صناعة الحصير وصناعة الأوعية والأطباق ذات الأشكال والأحجام المتنوعة وامتازت بدقة الصنع وجمال الألوان ، كما استخدموا جريد النخل في صناعة السُرر(54). وصناعة الحصير لم تكن قاصرة على الشمال إنما في كل السودان إلا أن مواد الصناعة تختلف من منطقة لأخرى منها ما يصنع من نبات الحلفا ومنها مايصنع من خوص الدوم وغيره ومما يذكر أن صناعة الحصير من اختصاص النساء ولذلك ظلت بطيئة التطور وبدائية إلا أنها كانت تسد حاجة المجتمع [55].

استعمل آهل الشمال التمر في صناعة الخمر اومايسمى بعرقي البلح ومعروف عند أهل أقصى أهل الشمال (بالدكاي) وكيفية إعداده عندما ينضج البلح يوضع في آنية من الفخار (كان ذلك قديماً تستخدم الآن أواني حديثة كالبلاستيكية وغيرها) ثم تغلى على النار وتترك لمدة يومين دون انقطاع وبعد ذلك يتم تصفية السائل لاستخلاص منقوع اوعصير نقي ثم يوضع ذلك العصير قي آنية فخارية ومن ثم يتم دفنها في الأرض بعد إحكام إغلاقها وتترك في تلك الحالة حتى يتم عشرة أيام فتخرج الآنية ويكون ما بداخلها جاهزاً للشرب(54).

استخدم النوبيون جذوع النخل وسعفه في سقف المنازل(7). وصنع الأهالي عسل من التمر ويتم صناعته بتسخين التمر مع الماء في النار حتى يغلى تماماً ويتم تصفية البلح وتكرير العصير حتى يصير عسلاً نقياً [54] . ولاتزال تلك الطريقة سائدة إلى يومنا هذا ، و صنع أهالي الشمال القادوس (عبارة عن قلة أو جرة تستخدم في الساقية كالدلو في البئر) يعرفها الذين يستخدمون السواقي وأيضا صنعوا الزير وأباريق الوضوء وأواني الطبخ وأواني حفظ الحبوب ولم تكن مستحدثة في عهد المهدية إنما كانت موجودة من قبل المهدية ولم تكن قاصرة على آهل السكوت إنما كل آهل الشمال(56) . كما عرفوا صناعة المراكب والسواقي كما اشتهروا بصناعة أشرعة المراكب وأشار سلاطين أن منطقة دنقلا كانت مشهورة بذلك ، استخلص أهالي الشمال الزيت من ثمرة الخروع فهو زيت طبي استخدم كدهان للشعر وعلاج لتنظيف المعدة والإمساك[54]. ومن أهم الصناعات صناعة الغزل والنسيج فكانت الأنوال (مناسج صغيرة) شائعة في بيوت النوبيين يغزل

عليها النساء عباءآت من الصوف ، وأقمشة من القطن تصنع منها الملابس(54) وفي ذلك ذكر سلاطين أن مديرية دنقلا كانت تقوم بمقدار كبير من نسيج القطن(57). وكان نسيج الدمور شائعاً في عهد المهدية وكان هنالك مشتغلون بحياكة كساوي الأنصار من الدمور واشتهرت الشايقية بذلك ، فكان المسؤلون يرسلون أحيانا تمر للبقعة لبيعه هناك عن طريق بيت مال البقعة وإرسال دمور بقيمتها ، وكان الشايقية يتعهدون بخياطة كسوة الجيش مقابل اخذ القيمة تمراً[58] . وتفيد الوثائق أن منطقة الشايقية بها كثير من الدمور، ولعل أهلها اهتموا بصناعة الدمور ولذلك طلب الأمير يونس الدكيم من الخليفة إلزام روساءهم بإحضار الدمور حيث قال " جهات الشايقية بها كثير من الدمور الكفاية لكسوة الجيش والعوائل وان العوائد الجارية طلب ما يلزم من ذلك الصنف من دار الشايقية" [59] . ومما يدل على إن أهالي دنقلا كانوا يقومون بالغزل والنسيج تلك الجبة التي أرسلها النجومي للخليفة فذكر النجومي للخليفة انه مرسل له جبة تم غزلها ونسجها بدنقلا[60] . وبالرجوع لدفاتر بيت مال دنقلا في وثائق المهدية يتضح أن هنالك صنايعية في مختلف الحرف يصرفون استحقاقاتهم من بيت المال في دنقلا نظير مايقومون به من عمل للحكومة . ولم تكن صناعة النسيج في دنقلا وليدة عهد المهدية إنما كان ذلك منذ عهد الأتراك وتشير المصادر لنجاح محصول النيلة حيث اهتمت الحكومة وانشات لها مصانع ، وندلل على ذلك بتلك الرسائل التي اطلع عليها الباحث ، فهنالك رسالة من وكيل مديرية دنقلا لحمور آغا حاكم خط دنقلا العجوز ويفيده بالآتي " انه حاضر لطرفكم الفقير إمام علي حسن من خطكم لأجل حضور الأقمشة المتحصلة بالخط أحكامكم إلى الاوردي " ورسالة أخرى يطلب فيها احد من حمور آغا حاكم خط دنقلا العجوز أن يرسل كل الأقمشة الموجودة بالمديرية لجزيرة سنار للزوم كساوي الجهادية[61] .

الخاتمة :

منطقة دنقلا منطقة حدودية مع مصر فأهالي الشمال كان ارتباطهم وثيق بالريف المصري حيث اعتمدوا اعتماداً كلياً في الحصول على مستلزماتهم من الأشياء التي لاتصنع محلياً منها ، فعندما خضعت المنطقة للمهدية شددت على عدم التعامل مع المصريين رغم أن سياسة الحكام اختلفت إلا أن يونس الدكيم كان أكثرهم تمسكاً بذلك ، وقد يكون لذلك مايبرره وهي إخفاء إخبار المهدية عنهم ، واحياناً لجا يونس لجمع جميع من ببحر الرباط للإقامة معهم بالرباط ، ولاشك أن في ذلك ضرر يصيب الأهالي من تلك السياسة فهم يمتلكون أراضي وسواقي وكل مربوط بمصالحه وكان ذلك حرصاً من يونس علي عدم نشر أخبار المهدية للانجليز في مصر ، إلا أنها سياسة خاطئة وترتب عليها كراهية الآهلين لبعض الأمراء خصوصاً يونس . ويلاحظ أن المهدية طبقت التشريع الإسلامي ، ويبدو انه لازمه بعض القصور في التطبيق فمثلاً فطرة رمضان 1309 هـ (1892) م نجد أن ما فرض على الأهالي يختلف عن مافرض على أنصار الرباط وفي نفس السنة ، ومثلاً حق الله في ثمار النخيل يلاحظ انه فرض قيراط على كل عود في عهد بعض الأمراء ، ورغم أن ذلك برضا الأهالي إلا أن ذلك لايقره التشريع ، وثمة موضوع آخر وهو تخريص كل الثمار هل يجوز أم أن التخريص في الثمار التي تؤكل رطباً؟ .

النتائج:

وفي الختام يلخص الباحث أهم النتائج التي توصل إليها في النقاط التالية :

1. طبق الأنصار النظام الإسلامي في المعاملات والأحكام ورغم وجود القضاة الشرعيين إلا أنهم اقروا مايوافق رضا الأهالي في جمع حقوق بيت المال
2. تدهورت الحالة الاقتصادية في دنقلا في تلك الفترة لعدة أسباب منها وقوف السواقي وهجرة غالبية السكان .
3. استخدم أمراء المهدية في الشمال التخريص في جمع حقوق الله سواء كان من ثمار النخيل ام من المحاصيل الزراعية الأخرى .
4. ساهمت منطقة دنقلا بقدر كبير في صناعة النسيج حيث كانت تسد حاجة الجيش ولاشك انهاكانت تزرع القطن وذكر إن محصول النيله كان ناجحاً في العهد التركي حيث خصصت لها الحكومة بعض السواقي.
5. رغم المنفعة التي يجنيها الأنصار من التجارة الخارجية إلا ان التعامل معهم كان بحذر فيتم فتح الطريق التجاري أحيانا و لذلك لم يكن لبيت المال دخل ثابت من التجارة الخارجية .

التوصيات:

منطقة دنقلا زارها كثير من الرحالة أمثال بوركهارت وكايو وهوسكنز ولبسيوس وغيرهم ففي ما كتبه هؤلاء حيث سجلوا مشاهداتهم مادة ثرة للباحثين للكتابة عن المجتمع النوبي ، كما نلفت عناية الباحثين للبحث في تاريخ مدينة دنقلا التاريخية حيث كانت عاصمة المغرة المسيحية ثم عاصمة النوبة الموحدة ثم مركزاً للأتراك بعد ان انتقلت للعرضي ثم مركزاً للمهدية ولاسيما ان الكتاب اتجهوا للكتابة في تاريخ المدن .

الهوامش:

(1) حميدة ، بشير كوكو. ملامح من تاريخ السودان في عهد الخديوي إسماعيل (مطبوعات كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم 1983 الصفحات 79،113 .

(2) متنوعات ، رسالة من مجلس الملكية لمأمور ديوان الخديوي تحت الرقم /14221/89 بتاريخ 18 شعبان 1250 (دار الوثائق القومية الخرطوم)

(3) متنوعات ، رسالة الديوان الخديوي لقاسم آغا حاكم دنقلا تحت الرقم 1431/89/1 بتاريخ 28 ربيع ثاني 1242 هـ (دار الوثائق القومية الخرطوم)

(4) , C, E ,Dawkins 148Cairint [Cairo intelligence report] 1/ 38//

(5) [N .R. O ,Report on the province of Dongola ,March1897,p2].

(6) إبراهيم ، حسن احمد . محمد علي في السودان (دار النشر جامعة الخرطوم) بدون تاريخ ص 157 .

(7) المديرية الشمالية ، (إصدار وزارة الثقافة والإعلام) الطبعة الأولى مارس 1974 الخرطوم ، الصفحات 8 ، 9 .

(8) شقير، نعوم، جغرافية وتاريخ السودان ، تقديم فدوى عبد الرحمن ، دار عزة للنشر والتوزيع 2007 م صفحة 170 ، 238

(9) Cairint, 1273/46/ . Wingate notes on Dongola province , 27 August 1896 (National Record Office .Khartoum) ,

(10) مهدية (وثائق المهدية) 1 ـــــ 10 ـــــ 3 ـــــ 6 الرقم الاول يعني القسم والرقم الثاني يعني الصندوق والرقم الثالث يعني المجلد والرقم الرابع يعني رقم الوثيقة ، رسالة من محمد خالد زقل للخليفة عبد الله بتاريخ 1308 هـ .

(11) مهدية 3 ـــ 43 ـــ 1 ـــ 4 رسالة من عبد الماجد عبد الله لمجموعة بدون تاريخ

(12) مهدية 1 ـــــ 1 ـــــ 3 ـــــ 38 رسالة من محمد الخير للخليفة عبد الله بتاريخ 22 شعبان 1303 هـ .

(13) المنجد في اللغة والإعلام الطبعة الحادي والعشرون صفحة 174 .

(14) مهدية دفتر صادر 3 ـــ 5 ـــــ 13 أ ص 167 من الخليفة عبد الله لعبد الرحمن النجومي بتاريخ 10 ربيع آخر 1304 هـ .

(15) مهدية دفتر صادر 3 ـــ 5 ـــ 13 ج2 ص257 من الخليفة عبد الله للنجومي بتاريخ 23 رجب 1304 هـ .

(16) مهدية 4 ـــ 3 ـــــ7 كشف رقم 29 من محمد عوض الله الى محمد وداعة بتاريخ غرة محرم 1314 هـ.

(17) مهدية 1 ـــ 23 ـــ 2 ـــ 270 رسالة من مقاديم وأهالي خط ارقو ليونس الدكيم .

(18) مهدية 4 ـــ 3 ـــ 6 كشف رقم 16 بتاريخ محرم 1310 هـ .

(19) مهدية 2 ـــ 38 ـــ 2 ـــ 27 رسالة من سليمان حامد لمحمد خالد بتاريخ 23 ربيع آخر 1308 هـ .

(20) مهدية 4 ـــ 3 ـــ 7 كشف رقم 18 تخريص شتوي الاوردي بتاريخ ذو القعدة 1313هـ.

(21) مهدية 4 ـــ 3 ـــ 5 كشف رقم 17 تخريص شتوي الدبة ذوالقعدة ـــ محرم 1308 هـ.

(22) مهدية 4 ـــ 3 ـــ6 كشف رقم 16 أصول وخصوم خط امبكول محرم 1310 هـ .

(23) مهدية 4 ـــ 3 ـــ7 كشف رقم 24 شتوي خط الحفير لسنة 1313 هـ .

(24) مهدية 1 ـــ 1 ـــ 3 ـــ 66 رسالة من عبد الحليم مساعد لمساعد قيدوم بتاريخ غرة رجب 1305 هـ .

(25) المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، مجلد(1 ، 2) الطبعة الثانية 1972 القاهرة صفحة 250 .

(26) مهدية 2 ـــ 3 ـــ1 ـــ41 من أهالي ومقاديم المحس للخليفة .

(27) مهدية 1 ـــ 2 ـــ 1 ـــ 86 من محمد بشارة للخليفة بتاريخ 18 ربيع اول 1313 هـ .

(28) مهدية 1ـــ 23 ـــ3 ـــ341 من يونس الدكيم للخليفة بتاريخ 29 ربيع اول 1309 هـ .

(29) مهدية 1 ـــ 23 ـــ 2 ـــ 263 من يونس للخليفة بتاريخ غاية شوال 1308 هـ.

(30) مهدية 1 ـــ 38 ـــ 1 ـــ 105 من احمد الأمين لحمودة إدريس بتاريخ 18 رجب 1312هـ

(31) مهدية 2 ـــ 1 ـــ 20 من أشخاص ليونس الدكيم بتاريخ 1310 هـ.

(32) مهدية 1 ـــ 3 ـــ 36 من الريح فريري للخليفة بتاريخ غرة ربيع آخر 1307 هـ .

(33) مهدية 1 ـــ 23 ـــ1 من يونس الدكيم للخليفة بتاريخ 3 جمادي اول 1307 هـ .

(34) Tremingham ,J.L , Islam in the Sudan , London 1949 ,p84 .33)

(35) مهدية 2 ـــ 31 ـــ 1 ـــ 122 من الخليفة لكافة الواردين من جهات الريف للتجارة بتاريخ 1304 هـ .

(36) مهدية 1 ـــ 31 ـــ 1 ـــ 13 من مساعد قيدوم للخليفة بتاريخ 24 رمضان 1305 هـ .

(37) مهدية 1 ـــ 23 ـــ 2 ـــ 172 من يونس الدكيم للخليفة بتاريخ 7 جمادي آخر 1307 هـ.

(38) مهدية 1 ـــ 10 ـــ 1ـــ 72 من محمد خالد للخليفة بتاريخ 14 رمضان 1307 هـ .

(39) مهدية 1 ـــ 37 ـــ 2 ـــ 13 من محمد خالد لاحد عمال الرباط البحري بتاريخ 2 ذي الحجة 1307 هـ .

(40) Holt ,P.M. Mahdist State in the Sudan 1958 London , p 177 ,p176

(41) مهدية 2 ـــ23 ـــ 1 ـــ 66 من قضاة دنقلا للخليفة بتاريخ 27 جمادي اول 1310 هـ .

(42) مهدية 1 ـــ37 ـــ 1 ـــ 89 من يونس الدكيم لحمودة ادريس بتاريخ 5 ذي الحجة 1311 هـ

(43) مهدية 1 ـــ 23 ـــ 1 ـــ58 من يونس للخليفة بتاريخ 19 صفر 1307 هـ .

(44) مهدية 3 ـــ 35 ـــ 1 ـــ 23 من محمد حمزه ليونس الدكيم بتاريخ 17 الحجة 1306 هـ .

(45) وثيقتان اطلع عليهما الباحث لدى علي ياسين بن علي من اهالي الدبة (الجابرية) في شعبان 1417 هـ.

(46) دفتر يوميات الخصم والإضافة لبيت مال دنقلا بتاريخ رجب 1313 هـ .

(47) مهدية 2 ـــ 59 ـــ 2 ـــ 2 منشور من الخليفة لاحبائه واهل المداولة في الأسواق والمعنيين لإصلاح الأسواق (صورة لمحمد الخير) عامل دنقلا بربر بتاريخ 6 رجب 1303 هـ .

(48) مهدية 1 ـ 2 ـــ 1 ـ 82 من محمد بشارة بتاريخ 5 ربيع أول 1313 هـ .

(49) مهدية 1 ـــ 24 ـــ 1 ـــ35 من يونس للخليفة بتاريخ 15 جمادي اول 1312 هـ,

(50) مهدية 4 ـــ 3 ـــ 5 كشف تعداد خط امبكول رقم 10 بتاريخ شوال 1308 هـ .

(51))مهدية 4 ـــ 2 ـــ 3 دفتر وارد بيت مال صوارده فطرة رمضان 1309 هـ .

(52) بدري ، بابكر بدري ، حياتي . الجزء الأول ، طبعة مصر 1960 ص 48 .

(53) مهدية 3 ـــ 5 ـــ 13 ج2 ص 292 من الخليفة للنجومي بتاريخ 16 شوال 1304 هـ.

(54))53 (مهدية 2 ـــ 69 ـــ 1 ـــ 27 من يونس للخليفة بتاريخ 24 رمضان 1306 هـ .

(55) Burkhardt ,J,L , Travels in Nubia, London 1922. p,p 146, 132, 133, 72 , 135 . ,

(56) حسن ، حمدنا الله مصطفى ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان 1841 – 1881 طبعة 1985 ص 125 .

(57) مثل، سيد محمد عبد الله ، حياة وتراث النوبة بمنطقة السكوت ، نشر معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية بجامعة الخرطوم أغسطس 1973 ص 5 .

(58) Salatin,R, Fire and sword in the Sudan ,translated by Wingate . London ,1896 .p 559 .

(59) مهدية 1 ـــ 10 ـــ3 ـــ 380 من محمد خالد للخليفة بتاريخ 15 رمضان 1308 هـ .

(60) مهدية 1 ـــ 23 ـــ 2 ـــ 274 من يونس للخليفة بتاريخ 24 ذي الحجة 1308 هـ .

(61) مهدية 1 ـــ 1 ـــ 1 ـــ 54 من النجومي للخليفة بتاريخ 23 جمادي آخر 1305 هـ .

(62) متنوعات (دار الوثائق القومية) رسالة لحمور آغا حاكم خط دنقلا العجوز تحت الرقم 475 /28/ 1

الأداء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر الأحمر (1972 ـ 1974م) (دراسة وثائقية تحليلية)

د فتح الرحمن محمد الأمين العراقي

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الجزيرة

المستخلص:

خلال عهد الحكومة العسكرية الثانية فيما يعرف (بحكومة 25 مايو 1969م) حيث استطاعت الحكومة بناء تنظيم سياسي (عُرف بالاتحاد الاشتراكي السودانى) وكان أُنموذجاً للحزب الواحد، تكون هذا التنظيم عبر الانتخاب الداخلي من الوحدات الأساسية حتى أعلى هيئة وهى المؤتمر القومى، الذى يناقش دورياً تقارير الأداء التنظيمى للمديريات والذى يحوى مجمل الأداء التنظيمى في التخطيط والتنفيذ والإشراف والمتابعة. كان من ضمن هذه الهيئات التابعة الإتحاد وقدمت تقرير أدائها هيئة (أمانة الاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر الأحمر) وهى أعلى مؤسسة تنظيمية في المديرية ونحاول في هذه الدراسة التعرف على نشاطها في هذه الدورة التنظيمية (1972م - 1974م)المرتبطة بانعقاد المؤتمر القومى الأول للاتحاد الاشتراكي السوداني الذى يعتبر بمثابة الجمعية العامة للتنظيم. ويهدف البحث للحديث عن بناء التنظيم السياسي للاتحاد الاشتراكي بمديرية البحر الأحمر، وكذلك التعرف على ما تحقق من تخطيط تنموى خلال هذه الفترة. وتتمثل مشكلة البحث في محاولة الاجابة على الأسئلة الأتية: كيف تم بناء التنظيم السياسي بمديرية البحر الأحمر وكيف اسهم تنظيم مديرية البحر الأحمر في التخطيط والتنفيذ لمشروعات التنمية بالمديرية؟ وماذا خطط ونفذ من المشروعات فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية؟ واستخدم الباحث منهج البحث العلمي التأريخي السردي، وتوصل الباحث للعديد من النتائج منها أن البناء السياسي لتنظيم الاتحاد الاشتراكي السوداني شمل مديرية البحر الأحمر في شرق السودان، واصبحت أمانة المديرية جزءاً من المؤتمر القومي للتنظيم الذي يخطط ويراجع الاداء التنظيمي في كل السودان.واستطاع هذا التنظيم الإقليمي ملء الفراغ السياسي في شرق السودان الذي أحدثه حل الاحزاب السياسية من قبل حكومة مايو، حيث اقبل المواطنين لاكتساب العضوية من كل مدن وقرى المديرية مشكلين بذلك الوحدات الاساسية للتنظيم. الذي لعب دوراً كبيراً في التخطيط للعديد من المشروعات الاقتصادية بالمديرية في كافة القطاعات التى كانت مواردا مهملة طيلة السنوات السابقة لقيام حكومة مايو. وأوصى الباحث بإعادة دراسة سجل التخطيط الذي قدمه التنظيم ويمثل رؤية واضحة للمشروعات التى تحتاج لها المديرية، وخاصة أنها خططت بواسطة العديد من بيوت الخبرة العالمية خاصة في مجال الاستفادة من الموارد المعدنية .

الكلمات المفتاحية: الاتحاد الاشتراكي، مديرية البحر الأحمر ، الحكم الشعبي ،المنظمات الجماهيرية

The organizational performance of the Sudanese Socialist Union in the Red Sea Directorate (1972 - 1974 AD) (documentary and analytical study)

Dr. Fath Al-Rahman Muhammad Al-Amin Al-Iraqi Department of History - College of Arts and Humanities
Gezira University

Abstract:

During the era of the second military government in what is known as (the government of May 25, 1969), when the government was able to build a political organization (known as the Sudanese Socialist Union) and it was a model for a single party. The organizational performance of the directorates, which includes the overall organizational performance in planning, implementation, supervision and follow-up. It was among these affiliated bodies of the Union and its performance report was submitted by the Authority (Secretariat of the Sudanese Socialist Union in the Red Sea Directorate) It is the highest organizational institution in the Directorate. In this study, we try to identify its activity in this organizational cycle (1972 AD - 1974 AD) associated with the convening of the first national conference of the Sudanese Socialist Union, which is considered as the general assembly of the organization. The research aims to talk about building the political organization of the Socialist Union in the Red Sea Directorate, as well as to identify what has been achieved of development planning during this period. The research problem is to try to answer the following questions: How was the political organization built in the Red Sea Directorate and how did the organization of the Red Sea Directorate contribute to the planning and implementation of development projects in the Directorate? What are the plans and implemented of projects in the field of economic and social development? The researcher used the method of scientific historical-narrative research, and the researcher reached many results, including that the political structure of the Sudanese Socialist Union organization included the Red Sea Directorate in eastern Sudan, and the directorate's secretariat became part of the national conference of the organization that plans and reviews the organizational performance in all of Sudan. Filling the political vacuum in eastern Sudan created by the dissolution of political parties by the May government, where citizens accepted to

acquire membership from all the cities and villages of the directorate, thus forming the basic units of the organization. Who played a major role in planning many economic projects in the Directorate in all sectors that were neglected resources during the years prior to the establishment of the May government. The researcher recommended re-examining the planning record presented by the organization, which represents a clear vision of the projects that the directorate needs, especially as they were planned by many international expert houses, especially in the field of benefiting from mineral resources.

Keywords: Socialist Union, Red Sea Directorate, popular rule, mass organizations

الجلسة الإفتتاحية للمؤتمر القومي الأول الاتحاد الاشتراكي السوداني :

بدأت الجلسة الإفتتاحية للمؤتمر القومي الأول الاتحاد الاشتراكي السوداني مساء الجمعة الموافق 1974/1/25م ، وبعد الاستماع لآيات من كتاب الله العزيز افتتح الجلسة رئيس الاتحاد الاشتراكي السوداني جعفر محمد نميرى حيث طلب من الأعضاء أن يقف كل عضو في مكانه ويرفع يديه إلى أعلى بنيه أداء قسم الاتحاد الاشتراكي السوداني قائلا (اقسم بالله العظيم أن أكون مخلصاً وصادقاً لثورة مايو الاشتراكية، وأن أدعم تحالف قوى الشعب العاملة وتنظيمها القائد الاتحاد الاشتراكي السوداني، وأن أحمى الدستور وأرعى مصالح الشعب وأصون استقلال الوطن وسلامة أرضه وأن أؤدى واجبي كعضو في المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي السوداني بالتجرد والجد والإخلاص والله على ما أقول شهيد) [1] وبعد ذلك تلى رئيس الاتحاد الاشتراكي السوداني خطاب الافتتاح لأعمال المؤتمر القومي الأول مقدماً كما قال تحية العزة والمجد، وبأسمكم جميعاً أيها الاخوة احي الإخوة الأشقاء الأصدقاء الذين وفدوا يحملون لنا تحيات شعوبهم الحرة ويدعمون وشائج الأخوة والصداقة المخلصه ليشاركوا شعبنا فرحته باكتمال تنظيمنا السياسي وانعقاد مؤتمره القومي الأول، وأحيى في وفودهم الزائرة وثبة أمة العرب الباسلة ويقظة إفريقيا الحرة ونضال شعوب العالم من أجل الحرية والعدل والسلام .[2]

أيها الأخوة الأحرار لقد أرسى الشعب في الثاني عشر من أكتوبر سنه 1971م حجر الأساس لعهد المؤسسات الدستورية والسياسية المستندة على الإرادة الشعبية ، وفي ذلك اليوم قلد الشعب بإختياره الحر منصب الرئاسة لأول رئيس دستورى لجمهورية السودان الديموقراطية، ولقد وقفت في ذلك اليوم أمام الله وأمامكم أقطع العهد على قيادة البلاد وطريق الإستقرار الدستوري والسياسي مستنداً على إرادة الشعب وعلى سلطاته وحكمه، ولقد أوفت الثورة بما وعدت وصدقت بما عاهدت، فتم عقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني، رمزاً لوحدة الوطن ودعماً لتحالف قوى الشعب العاملة ولتنظيمها السياسي أصدر المؤتمر ميثاق العمل الوطني هادياً للثورة ودليلاً للنضال والبناء الوطني ، ثم إنعقد مجلس الشعب الأول الذي أجاز في فترة لا تتجاوز ستة أشهر أول دستور دائم للبلاد أخفقت الأحزاب المتصارعة ثلاثة عشر عاماً في إنجازه، وقامت مؤسسات

الحكم الذاتي الإقليمي التشريعية والتنفيذية التي تعتبر صوت السلام والإستقرار وتأسست مجالس الحكم الشعبي المحلى تسليماً للسلطة والحكم المحلى لأيدى الجماهير.[3] واضاف قائلا إن هذا اليوم هو يوماً مجيداً من أيام شعبنا ومعلماً بارزاً في مسيرة ثورتنا، وذلك بانعقاد مؤتمركم القومي الأول للاتحاد الاشتراكي السوداني يتوج إكتمال التنظيم السياسي الشعبي ويمثل تحالف قوى الشعب العاملة ويقود العمل الوطنى خلال أشهر قليلة، وسوف يقوم مجلس الشعب القومي الثاني بأذن الله مكملاً لبنائنا الدستوري والسياسي فاتحاً مرحلة جديدة من الإستقرار والثبات والحكم الدستوري الكامل، وكان ذلك نتاج للمعارك والملاحم التي خاضتها الثورة بقلب لا يتزعزع ويد لا تتردد دحراً للحزبية والطائفية والقبلية والعنصرية لقد دحرت الثورة ما يفرق واخمدت ما يبدد، لقد كانت معاركنا ضد من شوهوا الدين الحنيف وفرقوا أهله شيعاً وفرقاً وطوائفاً يتناحرون بهم على الدنيا ويسوقونهم مطية الطمع والغرض والهوى.[4]

لقد كانت معارك الثورة ضد الحزبية التي أضاعت في صراع الإحن ومناورات المطامع وفتن الشقاق أفضل سنوات استقلالنا ولم تستند في صراعها ومساوماتها الا على ما يفكك ويبدد ويمزق، اشعلت نار الطائفية لمواجهة نورالدين، وكذلك اصطنع العقائديون المناهج الضيقة والمعارك المفتعلة واججوا نار التعصب والبغضاء في كل ساحة، وإن الثورة لم تلغ الحزبية بقوة القانون ولكن الغيت لأنها لم تمتلك مقومات الحياة والوجود لذلك ابيدت وبادت لتعارضها مع الحقائق الإجتماعية الموضوعية في بلادنا ولعجزها عن التعبير عن مصالح امتها ولتعارضها مع الحقائق الموضوعية ولمغالتها لمنطق التاريخ .[5]

لقد نهب الإستعمار ثرواتنا وثمرات كدنا وأعاق نمو وتطور بلادنا وجعل الفقر المصير المحتوم لكافة شعبنا وأبطل أي تراكم وطني للثروة والمال في وطننا ورحل مخلفاً وراءه العدم والفاقة في كل مكان، والتناقضات الكثيرة بين الريف والحضر وبين المثقفين والجهلاء والتجار والمستهلكين وأصحاب الورش والعاطلين وأصحاب المشروعات والمزارعين وبين أصحاب الاجر والراتب وملايين الهائمين، ووراء كل هذه التناقضات كان التناقض الرئيسي والموضوعي الوحيد وهو التناقض بين واقع العدم والفاقة والتخلف وبين آمال الرخاء والنمو أي إن قضية التنمية والتطوير الشامل هي القضية الاجتماعية الرئيسية لشعبنا، وهي القضية التى يستحيل حلها الا بتعبئة الموارد القومية الشاملة وبتضامن القوى الاجتماعية المختلفة، والجهد المشترك بالفكر والعمل والمال الذى تملكة الأمة جمعا أي التقدم بالتحالف وليس بالصراع وبالوحدة وليس بالانقسام .[6]

بدأ الاستماع لتقارير أمناء الاتحاد الاشتراكي السوداني بالمديريات خلال الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر القومي الأول الاتحاد، وكان من ضمن المديريات التى تقدمت بتقرير عن اداءها خلال هذا المؤتمر أمانة مديرية البحر الأحمر بالاتحاد الاشتراكي السوداني.[7]

الأداء التنظيمي الاتحاد الاشتراكي السوداني مديرية البحر الأحمر:

بدأ أمين مديرية البحر الأحمر حديثه بتحية الثورة وجماهيرها ، قائلا ان انعقاد هذا المؤتمر يعد انجازاً وانتصاراً كبيراً لكفاح شعبنا ولنضاله الجسور من أجل بناء المجتمع الاشتراكي

لمجتمع الكفاية والعدل تحت رأية ثورة مايو العملاقة ، إن منطقة البحر الأحمر عانت في العهود الماضية ولم يكن نصيبها من التنمية والخدمات الا الوعود البراقة التي كانت تقدم وتعلن كل انتخابات للحصول على أصوات أبناء المنطقة من أجل الوصول لكراسي الحكم ، ولم يكن هناك إهتمام لتقديم الخدمات الضرورية أو بالتنمية الإقتصادية، لقد تعرضت هذه المنطقة لشبح المجاعة وعانى المواطنون من الفقر والعطالة وانتشرت الأمراض والأوبئة وسط السكان ولم يجد أطفال المديرية الفرص التعليمية.[8]

كل هذا الفراغ التنموى أدى لهجرات سكان الريف بالبحر الأحمر لمدينة بورتسودان سعياً وراء الرزق وبحثاً عن الخدمات عن طريق العمل في الميناء، ولكن حتى هذا لم يتوفر الا للقليل منه نسبة لقفل قناة السويس بعد حرب سنة 1967م، حيث أصبحت بورتسودان آخر ميناء تصلها السفن في البحر الأحمر بعد ان كانت أول ميناء تقف فيها السفن القادمة من قناة السويس، ورغم كل هذه الأزمات وقفت الحكومات السابقة عاجزة عن إيجاد حل لمشاكل المنطقة وسكانها واخذ المواطنون يتطلعون ويترقبون لمن يأخذ بيدهم وينتشلهم من هذه الأوضاع البائسة إلى حياة كريمة افضل وكانت الثورة تتأرجح في نفوسهم إلى أن فجرتها الطليعة الوطنية بقوات شعبنا المسلحة بقيادة الرئيس جعفر محمد نميرى. [9] ومنذ الوهلة الأولى واجهت الثورة هذه المشاكل المستعصية بعزم وحسم وكاشفت المواطنين بالحقائق التى كانت العهود البائدة تحاول التستر عليها وتماطل في حلها وطلبت من المواطنين الارتقاء إلى مستوى المسئولية والمشاركة في حل مشاكلهم وفي تطوير المنطقة والمساهمة الفاعلة في بناء (السودان الحديث) ولقد شهدت البلاد في الأربعة سنوات الفائتة بعد قيام الثورة العديد من الانجازات الاقتصادية والاجماعية وحظيت مديرية البحر الأحمر بنصيبها العادل منها إلا ان ذلك لم يكن كافياً للوصول بالخدمات والتنمية إلى المستوى الذى يتطلع إليه المواطنون في عهد الثورة ، ولكن ما تحقق يمكن الحديث عنه فيما يلى : [10]

أولاً : القرار الجمهورى بتأسيس مديرية البحر الأحمر:

عاجلاً أصدر السيد رئيس الجمهورية القرار الجمهوري الخاص بتأسيس مديرية البحر الأحمر ووجه الوزارات المختصة إعطاء هذه المديرية الوليدة اهتماماً خاصاً حتى تلحق بركب المديريات، وأن تعمل على تحقيق أهداف ثورة مايو وذلك بخلق الفرص اللأزمة للتطور والتقدم الاقتصادي الاجتماعي لمناطق البحر الأحمر وتمكين المواطنين من إدارة شئونهم وذلك بتوجيه طاقاتهم لخير مناطقهم ولبناء السودان الحديث، وأعتبر سكان المديرية إن قيامها هو تأكيد لثقة الثورة في قدرات مواطني البحر الأحمر.

ثانياً : إكمال هياكل ومؤسسات المديرية الجديدة :

تمكن التنظيم بتشجيع السيد الرئيس ورعايته الكاملة ومساعدات السادة أعضاء المكتب السياسي والسادة الوزراء والمسئولين في جميع المرافق من التغلب على جميع المشاكل وتحقيق العديد من الانجازات وأوضح أمين المديرية أن هذه الرعاية والمساعدات، كان لها أثراً كبيراً في

تكوين مؤسسات المديرية حيث أن المديرية عند قيامها لم يكن بها من الأجهزة التنفيذية سوى قسمي الصحة والأشغال ولم يكن للأقسام الأخرى سوى وجوداً اسمياً، وقد تمكنت المديرية الوليدة من إنجاز العديد من المهام خلال العام الأول من التأسيس حيث كان عاماً مليئاً بالحركة والنشاط في شتئ المجالات ، فقد تم اكمال الأجهزة التنفيذية لرئاسة المديرية وإنشاء قسم توفير المياه وأقسام أخرى للتعليم والبساتين والغابات والثقافة والإعلام والبيطرة والعمل والتعاون ومصائد الأسماك والطرق والمساحة والشباب والرياضة، ويمكنا القول إن المديرية ستدخل عام 1974م بجهاز إدارى مؤسسي مكتمل تتوفر لديه الإمكانات والقدرة التي تمكنه من تنفيذ برامج وخطط التنمية على الوجه الأكمل، وهذا لا يعني أن العام الماضي تم إستهلاكه في التأسيس وبناء الأجهزة فقط انما تحقق فيه تطوراً في الخدمات حيث تم تنفيذ بعض مشروعات التنمية المحلية حسب ما سيأتى ذكره جنباً إلى جنب مع تكملة الأجهزة التنفيذية .[11]

ثالثاً : إعادة النظر في التقسيم الإدارى وأجهزة الحكم الشعبي المحلى بالمديرية:

تمت إعادة النظر في التقسيمات الإدارية وأجهزة الحكم الشعبي المحلى تماشياً مع ترفيع المنطقة التي أصبحت مديرية، حيث شهدت هذه الفتره تقسيم المديرية إلى خمس مناطق إدارية وهي منطقة هيا، وسنكات، وحلايب، وبورتسودان، وطوكر، حيث كانت هذه المناطق منطقة إدارية واحدة تتبع لمديرية كسلا ، تم تقسيم المديرية الجديدة إلى مجالس شعبية على كافة المستويات وذلك إلى ثمانية مجالس شعبية للمدن وست مجالس للأرياف وسته وخمسين مجلساً شعبياً للأحياء وست وأربعون مجلساً شعبياً للقرى وثمانية مجالس شعبية للأسواق ومجلسا شعبياً للصناعات وسته عشر مجلساً شعبياً للمهن المختلفة، وبالمجلس التنفيذى يكون عدد المجالس (147) مجلس على جميع المستويات بعد أن كانت أربعة مجالس فقط قبل فصل المديرية وتطبيق قانون الحكم الشعبي وقد بلغت عضوية هذه المجالس الشعبية (2900) عضواً وتحققت بذلك المشاركة الشعبية .[12] وأوضح أمين المديرية بأن السلطة قد انتقلت بالفعل إلى الجماهير وكانت العناصر التي تصدت لهذا العمل مؤمنه بالثورة ولديها الإستعداد لخدمة المواطنين، وبفعل هذه الممارسة الديموقراطية الناشئه بفضل الثورة تحررالمواطنون من أسر القبلية والطائفية التى كانت تسيطر على مقدراتهم وتبدد طاقاتهم وتوظفها لخدمة مصالحها الذاتية ومصالح الفئة المميزة المناصرة لها من الأحزاب المبادة، وإن إنجازات هذه المجالس في الفترة القصيرة الماضية كانت مشرفة وقد اسهمت في كل المجالات حيث شاركت في مشاريع إعادة التخطيط والإسكان وفى تطوير الخدمات الصحية والتعليمية وفي توزيع المواد التموينية وفى تنظيم الأسواق والرقابة على الأسعار والمساعدة في تحصيل الإيرادات المقررة وفى توعية المواطنين ،الذين أدى نجاح التجربة الشعبية للمجالس وأداء دورها الملموس اجتماعياً لحرص المواطنين على تكوين المجالس الشعبية في مناطقهم والتنافس على ترشيح أنفسهم لخدمة أنفسهم باقتدار .[13]

رابعاً : بناء تنظيم الاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر الأحمر :

شهدت الشهور الماضية تكملة بناء أجهزة الاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر

الأحمر على مختلف المستويات التنظيمية حيث اكتملت عملية البناء التنظيمي بقيام مؤتمر المديرية في /26/ديسمبر من الشهر الماضى، لقد أقبل المواطنون على عضوية الاتحاد الاشتراكي السوداني بوعى وإدراك ورغبة صادقة في العمل الوطنى خدمة للجماهير وتحقيقاً لأهداف الثورة ،لقد كان عدد الوحدات الأساسية عند تأسيس المديرية فى يناير 1973م حوالي (77) وحده أساسية تضم في عضويتها حوالي (11470 عضواً) أما اليوم فأن عدد الوحدات الأساسية (227 /وحدة) تضم حوالي (70123 /عضواً) مما يعكس بجلاء إيمان المواطنين بالثورة وان العضوية تزداد يوما بعد يوم وقد وصلت حتى ديسمبر حوالي (75،000/عضوا) حسب إفادة امين المديرية أمام المؤتمر القومي الأول.[14]

لقد شهدت الفتره الماضية عقد مؤتمرات الوحدات الأساسية البالغ عددها (227 وحدة أساسية) باماكن السكن، وعقدت مؤتمرات الفروع بأماكن العمل البالغ عددها (90 فرعاً) كما شهدت عقد مؤتمرات الأقسام الأربعة عشرة ومؤتمرات المناطق الخامسه عشر ومؤتمر المديرية، وكان الإقبال على هذه المؤتمرات منقطع النظير واثبت الذين تم انتخابهم في اللجان التنفيذية أو مندوبين للأقسام أو المناطق أو المديرية أهم من خيره العاملين والعاملات في الحقل الوطنى، ومن المظاهر الصحية كانت مشاركة المرأة المكثفة في كافة مراحل بناء التنظيم، خاصة في مدينة بورتسودان مما يؤكد وعيها وإدراكها لمسئولياتها الجسام فى عهد حكومة ثورة مايو التي أعطت المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة .[15] وأضاف أمين المديرية أن المنجزات التنظيمية التى حققها المواطنون تستحق منا أن نقف عندها بالأجلال والاكبار وانها منجزات تحققت خلال أشهر معدودات وأيام قليلة في حساب الزمن والتاريخ ، ولقد حظي بناء الاتحاد الاشتراكي السوداني بقدر كبير من الزمن والإهتمام الشعبي والرسمى ولقد ساهم أعضاء اللجنة التمهيدية الاتحاد الاشتراكي السوداني بمديرية البحر الأحمر والسادة أمناء الأمانات بمجهودات جبارة حتى تحققت هذه المنجزات وبذلوا الجهد والمال في دعم وتصعيد عضوية الوحدات الأساسية في كافة المستويات وتنظيم أعمال اللجان التنفيذية الأمر الذى ساعدها على أداء واجباتها على الوجه المطلوب .[16] ولقد كان لقادة المنظمات الجماهيرية والفئوية دوراً بارزاً في تسجيل العضوية وفي تكملة تنظيمات الاتحاد الاشتراكي السوداني وفي توعية المواطنين بالعمل الإيجابي الفعال، لقد كانت إنجازات جميع الأمانات المتخصصة مشرفة وتتسم بروح المسئولية والوطنية الصادقة والعطاء بغير حدود مستهدفين تحقيق برامج الثورة وخير المواطنين وإسعادهم .

لقد تجسدت وحدة قوى التحالف الوطني بمديرية البحر الأحمر في كل مراحل البناء التنظيمي من مرحلة الوحدة الأساسية وصولاً لقمة البناء السياسي على مستوى المديرية ، حتى تم عقد المؤتمر القومي الأول الاتحاد الاشتراكي السوداني في المديرية برئاسه السيد الرشيد الطاهر بكر عضو المكتب السياسي وأمين أمانة المزارعين في الفترة مابين /27/26/ ديسمبر الماضى وكان المؤتمر صورة فريدة في تاريخ العمل السياسي بالمديرية الفتية، وكانت مداولاته مرآه صادقة للوعي الذي انتظم صفوف الجماهير والإلتزام القوي بالثورة والإستعداد للعمل والبذل لتحقيق متطلبات

الجماهير.[17]

لقد توج المؤتمر أعماله بقرارات وتوصيات هامة تحدد مسار البناء الأقتصادي الأجتماعي واكدت على استمرارية النضال اليومي لتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية وتعميق مفاهيم العمل السياسي وخلق الوحدة التنظيمية بين روافد التنظيم السياسي وترسيخ القيم الروحية والثورية بما يعين على خلق كوادر مدركة لدورها ولصيقة بقضايا شعبها ومؤمنة بالثورة وتنظيمها الفرد، ويمكن القول أن توصيات هذا المؤتمر قد إعتبرت عام 1974م عاماً للتنمية الاقتصادية ولتطوير الخدمات وتركيزها، وعاماً لاستنفار جهود المواطنين للاسهام في مشاريع التنمية المحلية وفى برامج العمل المرحلية، لقد أوصى المؤتمر بالإهتمام بالجوانب الاجتماعية والثقافية والرياضية لقد وضعنا بين ايديكم توصيات هذا المؤتمر وقراراته البالغ عددها اثنتان وثلاثون توصية وقرار.[18]

إن إستكمال البناء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني وروافدة من المنظمات الجماهيرية والفئوية والإجتماعية ليس هدفاً في حد ذاته، بل وسيلة لبناء المجتمع الجديد، ولن تتمكن المديرية من تحقيق ذلك إلا بالبذل والجهد والعطاء والتحلى بروح المسئولية لشاغل كل موقع و قيادة التنظيم واثقون بأن معين العمل الجماهيرى من أجل البناء والتقدم زآخر لن يجف مهما واجهته من صعاب وتحديات، وأن جماهير البحر الأحمر قد حددت برامجها للمرحلة القادمة واستعدت بروح ثورية لتنفيذها لخير المواطنين، واضاف أمين المديرية قائلاً لقد حملتنا جماهير المديرية رسالة ولائها للثورة والتزامها بالعمل لتحقيق غاياتها بقيادة الاتحاد الاشتراكي السوداني .[19]

خامساً : نشاط الأمانات المتخصصة والمنظمات الجماهيرية والفئوية بالمديرية :

لعبت الأمانات المتخصصة والمنظمات الجماهيرية والفئوية دوراً بارزاً في تنشيط العمل الوطنى بالمديرية وخاصة (أمانة التنظيم والإدارة والمال) التي قامت بدور رائد في بناء أجهزة الاتحاد الاشتراكي السوداني من القاعدة إلي القمة بداية من تسجيل العضوية وإصدار البطاقات والإشراف على تكوين اللجان المساعدة واللجان المحايدة المشرفة على عقد المؤتمرات، وكذلك انجزت كل المهام الإدارية والتنظيمية من إعداد الأماكن لعقد المؤتمرات وتجهيزها بكافة المستلزمات من الاضاءه وأجهزة الصوت وإستضافة وسائل الإعلام، وتولت تعبئه المواطنين والدعوة لعقد المؤتمرات وبنفس القدر ساهمت في إنجاح مؤتمرات الفروع حيث كرست كل الجهود لتصعيد العمل السياسي بين أوساط العاملين في مختلف المواقع مستهدفة حشد طاقاتهم في التنظيم السياسي الوحيد واشراكهم في قيادة العمل الوطنى.[20]

لعبت **(أمانة المنظمات الفئوية)** دوراً بارزاً داخل الاتحادات والفئات العمالية والنقابية وإتحادات الموظفين والمزارعين وعقدت إجتماعات كثيرة ومتواصلة معهم لتنشيط العمل السياسي والتسجيل لوحدات الفروع وعقد مؤتمراتها كما عقدت العديد من الإجتماعات التنظيمية لتسير اللجان التنفيذية للفروع ، كما ساهمت في حل الكثير من المشاكل العمالية وقد بذلت مجهوداً كبيراً في تكوين إتحادات المزارعين في منطقة طوكرومنطقة شمال بورتسودان ومنطقة الجنايين ببورتسودان وشرعت في الإعداد لمؤتمر المزارعين بالمديرية، وأن المزارعين في طوكر ومنطقة الجنايين

ببورتسودان والمناطق الريفية قد شاركوا في بناء تنظيمات الاتحاد الاشتراكي السوداني بجهدهم ومالهم، وكما ساهموا في دفع عجلة التنمية ورفع مستوى الإنتاج بالمديرية وتأمل أمانة المديرية أن يحققوا هذا الموسم انتاجاً وفيراً .[21]

إن (**أمانة المنظمات الجماهيرية**) التى تضم الدماء الحارة للشباب وإتحاد نساء السودان ولجان تطوير القرى، قد لعبت دوراً هاماً وقيادياً في العمل السياسي خلال الفترة الماضية وكان تحرك هذه المنظمات في كل المناطق وكافة المواقع وكان عملها عن إدراك لطبيعة المرحلة ومتطلباتها، لقد شهدت الفترة من 21/ إلى /24/مايو1973م مؤتمر إتحاد الشباب الذى عقد تحت شعار (الشباب للتنمية والتقدم) وقد تم في المؤتمر تدارس لأعمال الشباب بالمديرية ودورهم في بناء أجهزة الاتحاد الاشتراكي السوداني وخاصة انهم يمثلون رافداً حيوياً من روافد البلاد ولهم دورهم الطليعي في تطوير المديرية، كما ناقش المؤتمر تكوين لجان الأقسام والمناطق ولجنة المديرية مما جعل إتحاد شباب السودان مكتملاً في صورته التنظيمية التي تمكنه من الانطلاق لخدمة الوطن والمواطنين .[22]

إن نشاط (إتحاد نساء السودان) لم يكن باقل من نشاط الشباب حيث شاركت جموعهن في حملات التسجيل لعضوية الاتحاد الاشتراكي السوداني في مؤتمر المديرية، كما شاركن في مؤسسات الحكم الشعبي المحلي وفي الإنتخابات الأخيرة، ولقد كانت مشاركتهن في كل هذه المجالات إيجابية وفعالة ومشرفة بالرغم من المعوقات والحساسيات التى واجهتهن، وخلال الفترة الماضية تم عقد مؤتمر إتحاد نساء السودان بالمديرية يومى /20/19/ديسمبر/1974م، ولقد كان هذا المؤتمر ناجحاً للغاية حيث درست فيه جميع المشاكل التي تعترض مسيرتهن وتم إعداد برنامج عمل للمرحلة القادمة يعمل إتحاد نساء السودان من خلالها لتوصيل رسالتة المجتمعية وكان في مقدمة تلك المهام استقطاب العناصرالنسائية خاصة في المناطق النائية وتوعية الاخوات في تلك المناطق بمسئوليتهن التاريخية حتى يشاركن في عملية التحول الاجتماعى.[23]

ويتواصل عمل الأمانات المتخصصة حيث نجد(**أمانة الفكر والتوجية**) بالمديرية قامت بأعمال بارزة خلال الفترة السابقة وعقدت العديد من الندوات والحلقات التدريبية للكوادر السياسية ولأمناء الوحدات الأساسية وأصدرت الوثائق والنشرات التعريفية بالاتحاد الاشتراكي السوداني ، كما أصدرت في نوفمبر 1973م مجلة نصف شهرية بأسم المجلة الفكرية التى كان الهدف منها توعيه المواطنين وتعبئة طاقاتهم للإسهام في العمل السياسي بوعي وادراك للالتزام بمبادي وأهداف الثورة الظافرة ، ولقد شهدت الفترة السابقة نشاطاً ملحوظاً في مجالات التدريب والتوعية حيث اقيم معسكراً للعمال خلال الفترة من /8/ابريل /إلى/5/مايو/1973م ضم حوالي (130 عضوا) من ممثلي الهيئات العمالية والنقابية وكان الغرض من هذا المعسكر هو تصعيد الثورة الثقافية بين أوساط القادة النقابيين .[24]

كذلك قامت (**أمانة الانماء والخدمات**) بدور طليعي في إطار إختصاصاتها حيث قامت بدراسة الوثائق التي أعدها أمين الأمانة والتي كانت حول المشاكل الصحية والقضايا الاقتصادية بالمديرية، كما تم عقد ندوة موسعة حضرها العديد من الرسميين والشعبيين وكانت لدراسة القضايا التي تهم المواطن، مثل الإسكان والماء والكهرباء وتوزيع المواد التموينية ونجحت نجاحاً

باهـراً وخرجـت بالكثـير مـن التوصيـات التـي وجـدت إهتمامـاً مـن المسـئولين، هـذا بجانـب نشـاط واسـع للسـيد أمـين أمانـة الإنمـاء حيـث نجـده قـد شـارك في الثـورة الثقافيـة والاجتماعيـة في الحقـل الصحـي الـذى اقيـم في الخرطـوم في /25/ نوفمـبر /1973م وكذلـك شـارك في المؤتمـر القومـي الأول للتجـار ورجـال الأعـمال الـذي تـم عقـده في مديريـة الخرطـوم في /17/نوفمـبر 1973م .[25]

سادساً الخدمات :

شملت الخدمات التي قدمت لمواطني المديرية العديد من المجالات ومنها:

1. الخدمات التعليمية والصحية :

إن الأعـمال التـي تـم إنجازهـا في مجـال خدمـات التعليـم كثـيره ولكـن أهـم مـا تـم انجـازه اسـتيعاب جميـع الناجحـين في المرحلـة الابتدائيـة والمرحلـة الثانويـة العليـا، كـما تـم قبـول جميـع الأطفـال ممـن هـم في سـن التعليـم بالمـدارس الإبتدائيـة ، كـما حظيـت الخدمـات الصحيـة والعلاجيـة بإهتـمام بالـغ وتـم تنفيـذ العديـد مـن المشروعـات في هـذا المجـال مثـل صيانـة الشـفخانات ونقـاط الغيـار والمراكـز الصحيـة، وتـم توفـير الأدويـة والمعـدات الطبيـة، وبنـاء مستشـفى سـواكن وسـيباشر أعمالـه قريبـاً، وإضـاءه مستشـفى سـنكات، وتـم التصديـق بالاعتـمادات الماليـة لتحويـل مركـز صحـي جبيـت إلى مستشـفى عمومـي، وتـم تشـيد مركـز صحـى بديـم الوحـده بمدينـة بورتسـودان، ويجـرى العمـل الآن لاكـمال المعمـل الإقليمـي ببورتسـودان، بجانـب التصديـق بتأسـيس قسـم للصحـة المهنيـة وقسـم آخـر للتغذيـة كـما سـتفتح مكاتـب للخـدات الصحيـة بالميناء وذلـك لتقديـم خدمـات علاجيـة وصحيـة للعاملـين بالميناء وللقادمـين والمغادريـن ولطاقـم السـفن.[26]

2. مجال إصحاح البيئة :

اهتمـت سـلطات المديريـة باصحـاح البيئـة وتصحيـح العديـد مـن المخالفـات السـكنية، وبدأت أولاً بمعالجـة إشـكالات السـكن العشـوائي وتخطيـط الأحيـاء غـير المخططـة، وكانـت البدايـة بتخطيـط حي الديـوم ببورتسـودان مـما سـاعد في تحسـين مسـتوى الصحـه البيئيـة بالمدينـة، كـما حصلنـا عـلى تصديـق لتوفـير عـدد(10) عربـات نقـل (قـلاب) لنقـل الأوسـاخ سـتوزع عـلى مناطـق المديريـة المختلفـة، كـما سـيتم تجديـد عـدد مـن العربـات العاملـة حاليـاً الأمـر الـذي سـيؤدى إلى النهـوض بمسـتوى الخدمـات الصحيـة وتحسـين البيئـة بالمديريـة، كـما سـيتم دعـم القـوى العاملـة في هـذا القطـاع وخاصـة مستشـفى بورتسـودان بالعـدد الـكافى مـن الإختصاصيـين والفنيـين.[27]

3 . الخدمات البيطرية :

لقـد نالـت الخدمـات البيطريـة حظهـا مـن الرعايـة والإهتـمام حيـث تـم إنشـاء شـفخانة بيطريـة متحركـة ثانيـة، ووصلـت عربـات لمكافحـة الطاعـون البقـري مـن منظمـة الوحـدة الإفريقيـة ، وتـم الـشروع في بنـاء المحجـر الصحـى في مدينـة بورتسـودان الـذى تقـدر تكاليفـه حـوالي (170،000الـف جنيـه سـودانى) كـما تـم تزويـد المديريـة بعـدد كافي مـن الأطبـاء البيطريـين الذيـن وفـرت لهـم ادوات العمـل مـن الأمصـال والثلاجـات لحفظهـا، كـما تـم القيـام بمسـح شـامل لجميـع إحتياجـات المديريـة وسـوف تنفـذ العديـد مـن المشـاريع الهادفـة لتطويـر الـثروة الحيوانيـة وذلـك عـبر دراسـات عاجلـة لتحسـين بيئـة المراعـى وحفـر المزيـد مـن الآبـار والحفائـر بالمواقـع المناسـبة بالمديريـة هـذا بجانـب التصديـق لاقامـة مـزارع للإنتـاج الحيـواني.

4. التموين :

إن من ابرز المشاكل التي واجهت قطاع الخدمات وشغلت المواطنين في الأشهر الماضية كانت مشكلة توفير المواد التموينية، وأما في مديرية البحر الأحمر فقد كانت أحسن حالاً من بقية المديريات، وذلك لأن معظم السلع كانت تصل إلى الميناء وتستلم الحصة الخاصة بمدينة بورتسودان وبعد ذلك يتم ارسال حصص المديريات الأخرى، فكنا نحصل على جميع السلع المتوفره مثل السكر والشاي والبن والعجوة واللبن المجفف والأقمشة الشعبية والفوط، وإن وجود المطاحن والملاحات ومعاصرالزيوت في مدينة بورتسودان ساعد على تلبية إحتياجات المديرية.[28]

سابعاً مشاريع التنمية بالمديرية :

لقد اعدت المديرية برنامجاً متكاملاً للتنمية لتطوير المنطقة اقتصادياً واجتماعياً ولتوفير فرص عمل للمواطنين، وجدت سلطات المديرية الدعم الحكومي المركزي لمقابلة تكاليف المشاريع التنموية، حيث نجد أن مساهمه الحكومة المركزية لم تكن قاصرة على مقابلة تكاليف الخدمات فقط بل امتد الدعم الحكومي إلى مجالات التنمية المحلية، فقد حصلت المديرية خلال هذا العام على مبلغ (100،000،جنيه) من وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وعلى مبلغ (52،000،الف جنيه) من وزارة التربية والتعليم، وعلى مبلغ (50،000،الف جنيه) من وزارة الحكومات المحلية والإسكان وتنمية المجتمع، ومبلغ (20،000 الف جنيه) من هيئه المراهنات، وتمت الاستفادة من هذه الإعتمادات في تنفيذ مشاريع التنمية المحلية الاتية:[29]

اقامة السدود وتوسيع الرقعة الزراعية بالمديرية :

من أهم المشاريع التنموية المضمنة في خطط التنمية المحلية بالمديرية إقامة السدود وذلك لزيادة الرقعة الزراعية، حيث كانت أغلب مدن المديرية وعلى رأسها بورتسودان تستورد معظم إحتياجاتها من الخضروات من خارج المديرية،على الرغم من وجود الأراضي الصالحة للزراعة وتوفر مياه الأمطار التي كانت تذهب هدراً للبحر ولا يستفاد منها إلا في حيز ضيق وبوسائل بدائية يقوم بها المواطنون بأنفسهم ، لقد شهدت الفترة الماضية وقبل قيام المديرية محاولات جادة للإستفادة من هذه الإمكانيات حيث قمنا بالتخطيط لانشاء عدد من السدود فى المناطق المناسبة، وذلك ضمن ما تم التخطيط له من مشاريع تنموية محلية وبطرق علمية وبوسائل حديثة وذلك بعد دراسات وافية من جانب الفنيين بقسم توفير المياه بالمديرية.[30] وبالفعل تمت إقامة بعض السدود التي ساهمت كثيراً في زيادة الرقعة الزراعية في المديرية، وأبرز هذه السدود اقيم في (منطقة اربعات) حيث زادت الأراضي المزروعة إلى حوالي (3000 فدان) وهي منطقة تبلغ المساحة الكلية الصالحة للزراعة بها حوالي (50،000) فدان) مما جعلها مرشحة لاقامة مزيد من السدود بها، وتمت زراعة حوالي (779 فدان) بمنطقة (مكهان) وحوالي (700 فدان) بمنطقة (توبين) وحوالي (250 فدان) بمنطقة (ادروس) التي تجري فيها الآن الدراسات لإستثمار الأراضي الصالحة للزراعة بها والمقدرة بحوالي (30،000 فدان) وتم توفير البذور المحسنة وتشجيع السكان على زراعة الخضروات .[31]

كما تم التخطيط لقيام مزرعة تجريبية لإنتاج الخضروات في منطقة (دولاب ياي) بطوكر لإنتاج الطماطم خصوصا وإنشاء مصنع لإنتاج عصير الطماطم لتغطية إحتياجات مصنع كريمة من هذه المادة الخام التى يتم استيرادها من الخارج ونجد أن هذه المشاريع سوف تساعد في استقرار المواطنين وسيوفر إحتياجات المديرية من الخضروات والذرة، وتشير التقارير إلى أن الزراعة تبشر بمحصول وفير، ولذلك سيتم التوسع في اقامة مثل هذه السدود في جميع المواقع المناسبة بالمديرية لزيادة الرقعة الزراعية .[32]

ب. مشاريع المياه والكهرباء :

من أبرز المشاكل التي لا زالت عصية على الحلول مشكلة مياه الشرب بمدينة بورتسودان وتوصيل شبكات المياه والكهرباء إلى أحياء المدينة المختلفة (وإلى الآن 2015م)، ولكن جرت العديد من المحاولات لحل هذه المشكلة حيث تم حتى الآن حفر بئرين من جملة ستة آبار في منطقة اربعات ويبلغ إنتاج البئر الأولى حوالي (1000/ طن يوميا) ويبلغ إنتاج الثانية حوالي (500/طن/ يوميا) وقد تم استعجال المسئولين في الهيئة المركزية للكهرباء والمياه لحفر المتبقي من الآبار المقترحة الأخرى بمنطقة (خور موج) وتأمل المديرية اذا ما اكتمل حفر هذه الآبار أن تتوفر مياه الشرب في فصل الصيف بما يفى إحتياجات المواطنين، ويجرى تقديم حلول لمشاكل المياه في منطقة جبيت وطوكر وذلك بتجديد المولدات.[33]

أما فيما يتعلق بخدمات الكهرباء فأن الطاقة الحالية بمدينة بورتسودان والبالغ قدرها (8000 كيلو/ واط) سوف ترتفع إلى (14000/ كيلو/واط) وذلك بعد إكتمال مشروع التوسع الكهربائي وسوف تكون هذه الزيادة كافية لسد حاجة المواطنين والمصانع الجديدة، وكذلك تم زيادة فترة تشغيل التيار الكهربائي في مدينة طوكر ليعمل على مدار اليوم بدلاً عن توقفه عند الساعة الحادية عشر، كما تم تزويد بعض المرافق الهامة مثل المستشفى بالتيار الكهربائي في مدينة سنكات ويجرى العمل الآن لإدخال التيار الكهربائي المدرسة الثانوية على أن يتم تزويد المدينة لاحقاً في اقرب وقت الزيادة المتوقعة في التيار الكهربائي.[34]

ج . مشاريع الملاحات والمصائد :

تضمنت خطط التنمية المحلية إقامة معسكرات لصيد الأسماك على إمتداد شاطى البحر الأحمر للاستفادة من الثروة السمكية ، وبالفعل تم إنشاء معسكر محمد قول ومعسكر آخر في منطقة بدنقناب وقد بلغ الإنتاج السمكي اليومي لهذه المعسكرات حوالي (300 /كيلو) مما ساعد على توفير الأسماك بمدينة بورتسودان وفي تخفيض أسعاره، كما ساعدت هذه المعسكرات في توفير فرص عمل لسكان تلك المناطق وعادت عليهم بدخل وفير، وكذلك تم التخطيط لإنشاء عدد (13/معسكر) في مواقع مختلفة بمديرية البحر الأحمر منها سواكن وحلايب وعقيق ، ولا شك أن إنتاجو هذه المعسكرات سيفيض عن الإحتياجات المحلية ويسمح بتصدير الفائض طازجاً إلى داخل القطر.[35]

كذلك من المشروعات التنموية التى وردت في خطة المديرية الإستثمار في مجال إنتاج

الملح وبالفعل بدأ العمل في منطقة (رواية) بمنطقة محمد قول والتي يمكن أن تستوعب حوالي (200/عامل) من مواطني المنطقة ويتوقع أن يصل إنتاج تلك الملاحات في حدود (15،000الف/طن) في العام، ويتوقع دخول القطاع الخاص في تلك المشاريع بالإضافة لمجموعة من مشاريع ملاحات أخرى مما يزيد فرص العمل ويضاعف الإنتاج. إن النشاطات التي ترمى لتطوير المديرية ليست قاصرة على نشاطات التنمية المحلية بالمديرية بل هناك العديد من المشروعات الصناعية الكبرى ضمنت في برامج العمل المرحلية للخمس سنوات القادمة ، ومن بينهما إقامة مصنعين للغزل والنسيج ومصنع للسماد وآخر للأسمنت في مدينة بورتسودان، وقد تم تخصيص المواقع المناسبة لها ويتوقع أن تشرع في تنفيذها الحكومة المركزية قريباً وسوف يتوقع أن تستوعب مجموعة من سكان المنطقة وأن هذه الفرص سوف تتضاعف عند تنفيذ شارع الخرطوم / بورتسودان الذى من المؤكد أن يحدث تغيراً إقتصادياً وإجتماعياً كبيراً في المناطق التي سيمر بها، إن تكاليف هذه المشاريع والخدمات المقدمة للمواطنين في المديرية كانت وفقاً لميزانية العام 74/73/ بالإضافة للايرادات الذاتية للمديرية التي تقدر بحوالي (672،769 جنيه) وأن الحكومة المركزية تساهم بحوالي (3،490،219/ جنيه) وان مساهمة المواطنين تبلغ حوالي 20% من جملة المصروفات ، وهي مساهمه تعتبر ضئيلة وتسعى المديرية لدعم موارد الإيرادات الذاتية حتى تتحمل المديرية مبلغاً مقدراً من هذه التكاليف .[36]

الخاتمة :

هكذا استطاع بناة التنظيم الثوري الحاكم والاوحد في السودان أن يخرجوا بهذا التنظيم خارج العاصمة الخرطوم ليشمل كل مدن ومديريات السودان، ومنها كانت مديرية البحر الأحمر الوليدة التى كانت جزءاً من مديرية كسلا، ونسبة لما لها من مقومات جعلت منها سلطة مايو مديرية قائمة بذاتها وشرعت في بناء التنظيم السياسي بها، وفي ختام هذا البحث توصل الباحث لعدد من النتائج والتوصيات وهي كالاتي:

النتائج:

1. شمل البناء السياسي لتنظيم الاتحاد الاشتراكي السوداني مديرية البحر الأحمر في شرق السودان، واصبحت أمانة المديرية جزءاً من المؤتمر القومي للتنظيم الذي يخطط ويراجع الاداء التنظيمي في كل مؤسسات الحزب في السودان.
2. استطاع هذا التنظيم الإقليمي ملء الفراغ السياسي في شرق السودان الذي احدثه حل الأحزاب السياسية من قبل حكومة مايو العسكرية 1969م، حيث أقبل المواطنين لاكتساب العضوية من كل مدن وقري المديرية مكونين بذلك الوحدات الاساسية للتنظيم.
3. لعب التنظيم دوراً كبيراً في التخطيط للعديد من المشروعات الاقتصادية بالمديرية في كافة القطاعات التي كانت موارد مهملة طيلة السنوات السابقة لقيام حكومة مايو.

4. خطط التنظيم للكثير من المشروعات الخدمية مثل توفير مياة الشرب التى تمثل المشكلة الكبرى لانسان المديرية بجانب توفير الرعاية الصحية بداية بنشر الشفخانات والمراكز الصحية الصغرى وإعادة تأهيل المستشفيات بالمديرية، بجانب التوسع في خدمات التعليم الابتدائي والثانوي، بل خطط التنظيم لقيام كلية خاصة بدراسة المعادن.

التوصيات:

يوصي الباحث باعادة دراسة سجل التخطيط الذي قدمه التنظيم ويمثل رؤية واضحة للمشروعات التى تحتاج لها المديرية، وخاصة أنها خطط تم تقديمها بواسطة العديد من بيوت الخبرة العالمية خاصة في مجال الاستفادة من الموارد المعدنية والثروات الأخرى.

وثائق غير منشورة:

- (ارشيف الاتحاد الاشتراكي السوداني) مكتبة السودان.
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ، المؤتمر القومى الأول، /م ق/1/ الجلسة الإفتتاحية ،1974/1/25م .
- الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومى الأول ، تقرير مديرية البحر الأحمر ، الجلسة الرابعة بتاريخ/27/يناير/1974م .
- الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ، المؤتمر القومى الأول ، تقرير مديرية الخرطوم ،الجلسة الخامسه بتاريخ27/يناير/1974م.
- الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومى الأول، تقرير مديرية البحر الأحمر، أمانة التنظيم والإدارة والمال) بتاريخ/27/يناير/1974م .
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول، تقرير مديرية البحر الأحمر،أمانة الانماء والخدمات. بتاريخ/27/يناير/1974م .
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول، تقرير مديرية البحر الأحمر ، أمانة المنظمات الفئوية.
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الأحمر ،أمانة المنظمات الجماهيرية.
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول، تقرير مديرية البحر الأحمر ،اتحاد نساء السودان.
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الأحمر ،أمانة الفكر والتوجية.
- الاتحاد الاشتراكي السوداني، الأمانة العامة ، المؤتمر القومي الأول، تقرير مديرية البحر الأحمر،أمانة الانماء والخدمات.

الهوامش:

(1) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ، المؤتمر القومي الأول، /م ق/1/ الجلسة الإفتتاحية ،1974/1/25م ص 1

(2) المصدر نفسه

(3) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ، المؤتمر القومي الأول، الجلسة ،الإتتاحية المصدر السابق، ص2

(4) المصدر نفسه

(5) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ، المؤتمر القومي الأول، المصدر السابق ص 2

(6) المصدر نفسه ص 3

(7) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ، المؤتمر القومي الأول ، تقرير مديرية الخرطوم،الجلسة الخامسه ، بتاريخ27/يناير/1974م ص 113

(8) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ، الجلسة الرابعة بتاريخ/27/يانير/1974م ، ص172

(9) المصدر نفسه

(10) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ،المصدر السابق ص 174

(11) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر، المصدر السابق، ص 174

(12) المصدر نفسه

(13) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر،المصدر السابق ص 175

(14) المصدر نفسه ص 281

(15) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ،المصدر السابق ص 182

(16) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ،المصدر السابق ص 188

(17) المصدر نفسه ص 188

(18) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر،المصدر السابق ص 188

(19) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير امانة التنظيم والادارة والمال ،مديرية البحر الاحمر ، ص 188

(20) المصدر نفسه، ص 183

(21) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر، أمانة المنظمات الفئوية ص 184

(22) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر،أمانة المنظمات الجماهيرية، ص 184

(23) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر،اتحاد نساء السودان، ص 184

(24) ص 185

(25) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر،أمانة الفكر والتوجية، ص 185،184

(26) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر،أمانة الانماء والخدمات ، ص 185

(27) المصدر نفسه ص 176

(28) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ،أمانة الانماء والخدمات ، ص 176

(29) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ، أمانة الانماء والخدمات ، المصدر السابق ص 177ص 180

(30) المصدر نفسه ص 177

(31) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ، أمانة الانماء والخدمات ، المصدر السابق ص 177ص 178

(32) المصدر نفسه، ص 176

(33) المصدر نفسه، ص 178

(34) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر، أمانة الانماء والخدمات المصدر السابق، ص188

(35) المصدر نفسه، ص 180

(36) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ، أمانة الانماء والخدمات المصدر السابق، ص 178

(37) الاتحاد الاشتراكي السوداني ، الأمانة العامة ،المؤتمر القومي الأول ،تقرير مديرية البحر الاحمر ، أمانة الانماء والخدمات المصدر السابق، ص 178ص 188

الأطماع البريطانية في الخليج العربي
(1615 – 1923 م)
(دراسة تاريخية تحليلية)

أ. محمد دخيل بن عويد الصاعدي

معيد - قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يتتبع البحث مراحل تطور النفوذ البريطاني في الخليج، والعقبات والصعوبات التي واجهته، وكيف تمكنوا من تحييد القوى المحلية ومهادنتها، ثم التدخل في شؤونها الداخلية والسيطرة على سياسة تلك الدول واقتصادها، إلى الحد الذي جعل من الخليج منطقة نفوذ بريطانية خالصة، وتعود الاطماع البريطانية في الخليج العربي مع تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام 1600 م وفي غضون ربع قرن استطاع البريطانيين وضع قدم لهم في الخليج العربي عبر تأسيس مصنع في بندر عباس، وسرعان ما بدأوا في مزاحمة البرتغاليين الذين سبقوهم في الوصول للخليج العربي، وتمكنوا من تعزيز نفوذهم على حساب البرتغاليين وبقية القوى الأوروبية، وازداد عمق ذلك النفوذ بعد التفاهمات مع مشايخ وامارات الخليج، وعقد معاهدات الصلح عام 1820 م والتي سرعان ما أصبحت معاهدات دائمة لا يمكن الفكاك منها، ومع عودة الأخطار الأوروبية بدأت بريطانيا بعقد معاهدات ثنائية مع مشايخ وامارات الخليج تمكنوا بموجبها من تحييد أي تغلغل أوروبي للمنطقة، كما تم التطرق لاكتشاف النفط في الخليج وأثر ذلك على العلاقات الخليجية – البريطانية، وقد استخدم الباحث المنهج التاريخيوالذي يعتمد على تحليل المصادر المتاحة واستخراج النصوص المتعلقة بالموضوع وتحليلها ومن ثم نقدها، كما هدف البحث إلى تسليط الضوء على مرحلة حرجة من تاريخ المنطقة والتي لا زالت آثارها شاهدة حتى اليوم، وقد توصل الباحث لعدد من النتائج والتي منها:غلبة الطابع التجاري على التواجد البريطاني في الخليج العربي، سيطرة السياسية البريطانية في الخليج على مشايخ وامارات الخليج عبر عقد اتفاقيات دائمة، تمكن بريطانيا من فرض نفوذها الكامل بعد معاهدات عام 1820 م على منطقة الخليج العربي.

كلمات مفتاحية: الخليج العربي، بريطانيا، السيطرة، التواجد، النفط، مشيخات الخليج، إمارات الساحل، الاستعمار، الأوروبي.

The British Ambitions in the Persian Gulf (16151923- AD) (Analytical historical)

Mohammed Dakhel Owayyed Alsaedi

Abstract:

The research traces the stages of the development of British influence in the Gulf, and how it was able to neutralize local forces to the extent that make the Gulf became a British region. The British began to crowd out the Portuguese and they strengthened their influence at the expense of the Portuguese and the rest of the European authorities, and their influence increased after understandings with the sheikhs and emirates of the Gulf, Britain began to conclude bilateral treaties with the sheikhs and emirates of the Gulf. Also, the research discusses the discovery of oil in the Gulf and its impact on Gulf-British relations. The researcher used the historical method, which depends on the analysis of the available sources. The research aimed to illuminate a critical stage in the history of the region, whose effects still exist today. The researcher reached some results which include, commercial nature prevails of the British presence in the Arabian Gulf, the British policy in the Gulf controls the sheikhs and emirates of the Gulf through the conclusion of permanent agreements, Britain becomes able to impose its full influence after the treaties of 1820 AD on the Arab Gulf region.

Keywords: The Arabian Gulf, Britain, control, presence, oil, Gulf sheikhdoms, coastal emirates, colonialism, European.

التواجد البريطاني في الخليج العربي:

لم يكن التواجد البريطاني في الخليج العربي وليد الصدفة، بل مر بالعديد من المراحل التي أخذت زمنا طويلا لينضج ويأخذ منحناه الاستعماري في بدايات القرن العشرين الميلادي، ولا أجد أفضل من رسالة المقيم السياسي في الخليج الكولونيل هاورث الى وزير خارجية حكومة الهند لتوضيح مراحل تواجد بلاده في الخليج العربي وابعاد ذلك التواجد بكل مرحلة، يرجع هاورث بداية التواجد البريطاني في الخليج العربي الى المصالح التجارية البريطانية؛ إذ أن حاجتهم لتصريف منتجاتهم الفائضة حتمت عليهم إيجاد أسواق جديدة لتصريفها:[1]

« يعود تاريخ مصالحنا في الخليج (العربي) إلى عام 1616، إذ كان من الضروري في عام

1615 إيجاد أسواق لتصريف منتوجاتنا الفائضة في مصنع سورات، وفي عام 1616 أبحرت السفينة «جيمس» وهي تقل بعثة يرأسها ادوارد كونك متجهة إلى بلاد فارس. وكانت النتيجة أننا قمنا في عام 1624 ببناء مصنع في بندر عباس. لذا كانت مصالحنا في البداية تجارية محضة «

بداية الأطماع البريطانية في الخليج العربي:

والحقيقة ان الاطماع البريطانية في الخليج العربي ابتدأت منذ تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام 0061 م،[2] ولم تكن بعثة ادوارد كونك الا استمرارا لتلك الاطماع فقد هدفت البعثة المتوجهة لبلاد فارس الى تصريف الاقمشة الصوفية البريطانية التي لم تلق رواجا في الهند،[3] وفتح أسواق جديدة لتجارة شركة الهند الشرقية، ووصلت البعثة الى بلاد فارس في 4 ديسمبر 6161 م، وطلبوا من الشاه عباس الأول منحهم ميناء ليكون قاعده لتجارتهم في الخليج العربي، ويبدوا ان الشاه أراد التحالف مع البريطانيين لطرد البرتغاليين من جزيرة هرمز حيث اعتبر وجودهم فيها تهديدا لسيادته.[4] ويبدوا انه بجانب البريطانيين وجه الهولنديون انظارهم نحو الخليج بعدما اسسوا شركة الهند الشرقية الهولندية (The Vereenigde Oost-Indische Compagnie VOC) عام 2061 م، ولمواجهة البرتغاليين عقد البريطانيون اتفاقية مع الهولنديين لتسليح سفنهم.[5] لتبدأ بذلك فصول الصراع الأوروبي في الخليج العربي.

الصراع الأوروبي في الخليج العربي:

فيذكر هاورث أنه خلال قرن ونصف استمر الصراع الأوروبي وكانت المصالح التجارية هي سبب تواجد البريطانيين الذي اخذ يتطور مع مرور الوقت ليأخذ طابعا عسكريا؛ هدفه الأساسي حماية المصالح التجارية، متمثلا في السفن المسلحة التي ترافق السفن التجارية وعدد من الحاميات العسكرية لتأمين المصانع:[6]

« خلال الـ 150 عاما التالية والتي أعقبت ذلك التاريخ، كانت مصالحنا متداخلة مع مصالح البرتغاليين أو الهولنديين أو الفرنسيين، وكانت تجارتنا تحميها سفن مسلحة، كما كانت القوات العسكرية تقوم بحماية المصانع التي قمنا بإنشائها في عام 1643 في البصرة، وفي بوشهر في عام 1763 . « والواقع ان المنافسة البرتغالية لم تشكل تحديا كبيرا للإنجليز، فقد أدت الوحدة البرتغالية الاسبانية 1580 – 1620 م الى صرف نظر الدولة الجديدة عن الخليج حيث ان الاستراتيجية الاسبانية كانت تنظر الى العالم الجديد كمناطق أكثر أهمية، مما أدى لاضمحلال وجودهم وقد استغل كل من البريطانيين والهولنديين ذلك لتثبيت مركزهم في الخليج، مع ان البرتغاليين كان لهم قصب السبق في التواجد في الخليج العربي قبل الانجليز والهولنديين بأكثر من قرن من الزمن،[7] الا انهم سرعان ما تقهقروا وانحصر تواجدهم في مسقط بعد ان هزموا في هرمز عام 1622 م، وبذلك بدأ النفوذ البريطاني والهولندي يحل محل النفوذ البرتغالي في الخليج بعد ان انشؤوا وكالات تجارية في بندر عباس.[8] وجدد الشاه عباس الأول الامتياز البريطاني التجاري ومنح الهولنديين امتيازا مماثلا، ليخلق نوعا من التنافس بين البريطانيين و الهولنديين للحد من نفوذهم من جهة،[9] ومن جهة أخرى للحصول على اكبر عائد من بيع الحرير الفارسي.[10] ولم يكن الصراع في بدايته يصب في صالح

الهولنديين؛ ذلك ان الشاه اخذ يحابي البريطانيين على حسابهم.[11]

غير ان الامر سرعان ما تبدل وانتهى التفوق البريطاني مع وفاة الشاه عباس الأول عام 1629 م؛ حيث أن نظام الحكم في بلاد فارس يقضي بانقضاء المعاهدات مع موت الحاكم؛ وبذلك تكون الآمال البريطانية تبددت وذهبت ادراج الرياح، واما الهولنديين فقد استطاعوا ان يصبحوا سادة التجارة في الخليج العربي بعد ان قدموا العديد من الرشاوي والهدايا لرجال الدولة في بلاد فارس، واستطاعوا ان يرهبوا الشاه صفي بقوتهم العسكرية؛ للحصول على اكبر قدر ممكن من الامتيازات التجارية على حساب البريطانيين،[12] الذين اجبروا على نقل مقر الشركة بشكل مؤقت من بندر عباس الى البصرة وذلك عام 1645 م.[13] ولم يتمكن البريطانيون من اقصاء الهولنديين الذين اخذوا يزاحمونهم في مستعمراتهم في الشرق، حتى بعد نشوب الحرب البريطانية – الهولندية الأولى 1652 – 1654 م، والثانية 1665 – 1667 م، وازداد التنافس الأوروبي في الشرق مع تأسيس لويس الرابع عشر لشركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664 م،[14] مما أدى الى تقارب بريطاني هولندي للتصدي للخطر القادم، وهكذا اصبح أعداء الامس حلفاء اليوم؛ غير ان التواجد الهولندي اخذ يضعف وينحسر تدريجيا نحو شمال الخليج العربي، متخذا من البصرة مقرا له حتى عام 1753 م عندما اخرجهم العثمانيون فتوجهوا نحو جزيرة خرج.[15] وأدت الاضطرابات السياسية في القرن الثامن عشر لحدوث أزمات اقتصادية اصابت التجارة بكساد كانت اثاره شديدة السوء على شركات الهند.[16]

التنافس البريطاني الفرنسي على الخليج العربي:

ومع تراجع النفوذ الهولندي سرعان ما حل الصراع البريطاني الفرنسي محل سابقه، وفي خضم الصراع واثناء حرب السنوات السبع 1756 – 1763 م استطاع الفرنسيون تدمير مقر الوكالة التجارية البريطانية في بندر عباس عام 1759 م،[17] فاضطر البريطانيون لنقل مقرهم للبصرة.[18] الا انهم تمكنوا في نهاية المطاف من انتزاع صلح باريس 1763 م، الذي تم بموجبة تنازل الفرنسيين عن جميع ممتلكاتهم في الهند.[19] مما عزز من موقع البريطانيين وثبت اقدامهم في الخليج، خصوصا وأن الهولنديين لم يستطيعوا الحفاظ على مواقعهم في بوشهر، وغادروا بندر عباس عام 1759 م،[20] مما اضطرهم أخيرا لمغادرة الخليج العربي أوائل عام 1766 م، بعد ان هاجم مير مهنا اخر معاقلهم في جزيرة خرج، واجبرهم على الاستسلام، وأدت الخسائر الفادحة التي لحقت بالهولنديين لصرف انظارهم بشكل تام عن الخليج.[21] ويمكن القول أن بريطانيا أصبحت سيدة الخليج في اعقاب صلح باريس1763 م، ذلك انهم تمكنوا من تحييد الفرنسيين مبكرا، ولم يعد لديهم مواقع تذكر في الخليج سوى قنصل البصرة الذي لم يكن له أهمية بالغة؛ حيث ان حكومة بلاده لا تدفع راتبه بانتظام، بالإضافة الى ان السلطات المحلية لم تكن تعامله كنظيرة البريطاني، وتركز الوجود الفرنسي في المحيط الهندي وتحديدا في موريشيوس واستمرت هذه الحالة حتى قيام الثورة الفرنسية عام 1789 م، فازدادت العلاقات البريطانية الفرنسية سوءا حتى أعلنت بريطانيا الحرب على فرنسا عام 1793 م، وانحاز الهولنديون الى جانب الفرنسيين. [22] وأصبح الفرنسيون ينظرون الى الخليج العربي كقاعدة

هجومية نحو الهند، فانشؤوا قنصلية فرنسية في مسقط، وأرسلوا بعثة الى بلاد فارس لمراقبة الطرق المؤدية الى الهند.[23]

الا ان الإجراءات المضادة التي اتبعها البريطانيون افضت الى منع الفرنسيين من إيجاد موطئ قدم لهم في مسقط،[24] أضف الى ذلك ان الساسة الفرنسيين أنفسهم كانوا ينظرون الى البحر الأحمر ومصر بأهمية اكثر من الخليج العربي، حيث انها من جهة اقرب الى موقع قوتهم في موريشيوس ومن جهة أخرى هي اقرب الى فرنسا نفسها مما يسهل عملية الامداد والهجوم،[25] ولو تم لهم السيطرة عليها لقطعوا الطريق بين بريطانيا ومستعمرتها في الشرق.[26] وتركز الصراع البريطاني الفرنسي في الخليج العربي بسلسة من الاشتباكات البحرية المحدودة، التي انقضت باحتلال البريطانيين لجزيرة موريشيوس قاعدة انطلاق الفرنسيين في المحيط الهندي عام 1810 م.[27] الا ان البريطانيين تنبهوا الى أهمية تامين الطرق الثلاثة المؤدية الى مستعمراتها في الشرق؛ وهي طريق الخليج العربي، وطريق البحر الأحمر، وطريق شمال بلاد فارس، وقد استولى البريطانيون على عدن عام 1839 م؛ لتأمين طريق البحر الأحمر،[28] بعد ان استطاعوا تامين مدخل الخليج بعد عقد جون مالكولم عدة معاهدات مع مسقط؛ تنص صراحًة على تدخل بريطانيا في علاقات مسقط الخارجية،[29] واما طريق شمال بلاد فارس فقد افضت جهود مالكولم الى توقيع معاهدة 1801 م؛ والتي من اهم بنودها تعهد الشاه بمحاربة الأفغان دفاعا عن المصالح البريطانية؛[30] واستطاع بذلك الانجليز تثبيت اقدامهم في الخليج العربي بشكل شبه كامل؛ ولم يتبق لهم من مناوئ سوى المشيخات والامارات العربية التي اخذت تغير من حين لأخر على السفن البريطانية ممهدتا لصراع عربي بريطاني كان من اهم سمات أوائل القرن التاسع عشر.

عرب الخليج والبريطانيين:

ومما لا شك فيه ان الانتصارات التي حققها عرب الخليج أواخر القرن الثامن عشر، كقبيلة كعب[31]، ومير مهنا عامي 1767 – 1768 م – الذي استطاع اخراج الهولنديين من جزيرة خرج عام 1765 - كانت تشجع بقية القبائل العربية البحرية لمهاجمة البريطانيين.[32] الذين واصلت هجماتهم البحرية ساحل مدراس الهندي.[33] بالإضافة الى أن البريطانيين اخذوا يضيقون الخناق على منافسيهم في تجارة الخليج؛ فعلى سبيل المثال، عمد البريطانيون بعد ان حالفوا مسقط وبلاد فارس الى المطالبة بحمل تصاريح بريطانية للمتاجرة في الخليج! ولم يكن الهدف من هذا الاجراء الا فرض نوع من التبعية على اشد منافسيهم، القواسم[34]، وكافة مرتادي الخليج، والسيطرة التامة على اسواقه.[35] وفي هذه الاثناء كانت الدولة السعودية الفتية تبسط سلطانها في عهد الامام عبد العزيز بن محمد (1765 – 1803 م) شرقي الجزيرة العربية فضموا الاحساء عام 1896 م، وأعلن حكام البحرين من آل خليفه ولائهم للدولة عام 1800 م،[36] ولحقهم بنو ياس[37]، ثم قبيلة نُعَيْم[38] في البريمي، والعتوب،[39] والقواسم في راس الخيمة عندما اصطلح شيخهم صقر بن راشد والقائد السعودي مطلق المطيري.[40] وأخيرا زعاب[41]وطينج، وبذلك يكون معظم الساحل الغربي للخليج العربي أصبح تحت النفوذ السعودي. ويؤكد هاورث أنه في أوائل القرن التاسع عشر زال خطر

المنافسين الأوروبيين وتعاظم خطر القراصنة العرب على التجارة البريطانية، فأصبح هدف الحكومة الحفاظ على حالة السلم في الخليج العربي، فيذكر:

« وعندما زال خطر المنافسين الأوروبيين، استمرت مشكلة حماية تجارتنا من القرصنة العربية، وخصوصا من القواسم، لذا، قمنا بتشكيل قوة بوليسية من البحرية الهندية (التي تم تشكليها توا) لحماية مصالحنا في الخليج «[42]. والواقع ان الخليج العربي بعد انضواء معظم شيوخه تحت لواء الدولة السعودية أصبح أكثر خطورة على سفن الانجليز بسبب تزايد الهجمات البحرية التي اعتبرها العرب آنذاك جهادًا شرعيا، يهدف لدفع البريطانيين عن بلادهم، في حين نظر لها البريطانيون كنوع من أنواع القرصنة البحرية تؤدي لزعزعة حالة الامن وحرية التجارة التي يسعون لفرضها.[43] ويمكن تلخيص وجهة النظر البريطانية في كتابات جون لوريمر في مؤلفه (دليل الخليج) الذي يرجع سبب تلك الهجمات الى « عداوة هذه القبائل العربية وجشعها «.[44]

ولا يختلف موقف حلفائهم في مسقط عن ذلك فهم يرون ذلك من عمليات القرصنة،[45] في حين يرى آخرون أن السبب في زيادة حالة التوتر هي « السياسة الاستعمارية والعدوانية التي انتهجها الانجليز «.[46] ولسنا هنا بصدد دراسة الادعاءات البريطانية من ان عرب الخليج كانوا مجرد قراصنة بحريين اذ ان هناك العديد من الدراسات التي تناولت تلك الادعاءات التي تكررت مع البحارة المسلمين في البحر الأبيض المتوسط، الا انه يمكن اعتبار ذلك بمثابة حرب استنزاف تهدف لمنع توغل القوى الاستعمارية الأوروبية في أراضيهم. وبالتالي يمكن اعتبار العداء العربي البريطاني في الخليج بانه تنافس على التجارة ازدادت حدته واصطبغ بصبغة إسلامية بتأثير الدولة السعودية والدعوة السلفية. وبدعوى القضاء على القرصنة كثفت بريطانيا من قوتها البحرية في الخليج العربي،[47] ثم أدت المناوشات البحرية مع العرب، الى ان جرد البريطانيون حملة عسكرية عام 1805 م لإجبارهم على عقد معاهدة؛[48] وعندما تمكن البريطانيون من القواسم لم يقتلوا أحدا منهم؛[49] لرغبتهم في عقد هدنة معهم، وتم عقد الهدنة عام 1806 م، ولم يمر عامين الا ونقضت وتجددت الهجمات على البريطانيين، وطالب القواسم بدفع اتاوة مقابل حرية التجارة في الخليج فما كان من البريطانيين إلا ان جهزوا حملة عسكرية لإخضاع القواسم عام 1809 م، ومع ان هذه الحملة فشلت في تحقيق أهدافها الا ان القواسم أوقفوا نشاطهم البحري بشكل مؤقت.[50]

معاهدة الصلح العامة في الخليج العربي 1820م:

وفي 1818 م تمكنت قوات محمد علي باشا من اسقاط الدولة السعودية وتدمير عاصمتها الدرعية، وضمت كل من نجد والاحساء للدولة العثمانية؛[51] فجهز البريطانيون حملة عسكرية كبرى عام 1819 م؛ استطاعت ان تجبر المشيخات العربية بقبول معاهدات ثنائية، اختلفت بنودها بما يناسب كل مشيخة، الا ان جميع المعاهدات نصت على وجوب تحرير الاسرى البريطانيين بالإضافة الى القبول المبدئي بالدخول بمعاهدة الصلح العامة مع بريطانيا.[52] والتي عقدت عام 1820 م، وتضمنت أحد عشر بندا نظمت العلاقة بين المشيخات العربية والزمتها بعدم التعرض للسفن البريطانية، بل والاعتراف بالسيادة البريطانية على الخليج؛ بإعطائهم حق تفتيش السفن

العربية، والزامهم بتقديم سجلات سنوية عن حركة السفن في الخليج لبريطانيا.[53] وهكذا استطاعت بريطانيا تقييد المشيخات والامارات العربية بمعاهدات عززت سيطرتها في الخليج لتتمكن من الحيلولة دون توغل منافسيها اليه. وفي هذا الوقت أصبحت أهمية التواجد البريطاني في الخليج استراتيجية وأصبح التوجه البريطاني تحركه الاعتبارات السياسية بدلا من المصالح التجارية وقد ارتبط هذا التحول بحماية المصالح البريطانية في الهند فقد أدت الحملة الفرنسية على مصر ومحاولات نابليون للهجوم على الهند عن طريق الخليج الى ازدياد أهمية الخليج الاستراتيجية، وأصبح البريطانيون ينظرون للخليج كبوابة خلفية للهند.[54] بالإضافة الى انه اصبح حلقة الوصل الأسرع بين بريطانيا والهند فيما عرف ببريد الصحراء[55] و أصبح البريد يصل لبريطانيا خلال خمسة اشهر مقارنة بطريق الرجاء الصالح الذي يستغرق احد عشر شهرا.[56]إضافة الى الأهمية التجارية السابقة. ويضيف هاورث أن سياستهم بين عامي 1820 – 1869 م اقتصرت على الحفاظ على الوضع الراهن، غير انه منذ عام 1880 م، بدأت بوادر تدخل أوروبي في الخليج العربي، من شأنه تهديد مصالح بريطانيا وعلى السلطات البريطانية منع هذا التغول بشتى الطرق والوسائل فيذكر:

« كانت سياستنا منذ عام 1820 وإلى عام 1869، تنصب على مكافحة القرصنة، ومنع وقوع الحروب التي كانت محصلتها القرصنة، وكانت كل اتفاقاتنا مع شيوخ الساحل المتهادن[57] وقطر والبحرين لهذا الغرض ... إلا أنه في عام 1880، بدأت روسيا تبدي اهتمامها بالخليج [العربي]، ... أصبح من الواضح في عام 1899 – 1900 التهديد الذي تواجهه الهيمنة البريطانية على الخليج [العربي]، مع تهديد أمن الهند البريطانية بسبب سياسة القوى الأجنبية، وخصوصا روسيا وفرنسا وألمانيا، إذ كانت مخططات روسيا البحرية في الخليج [العربي]، وخططها الخاصة بإقامة سكة حديد في بلاد فارس، والمشروع الفرنسي لإقامة قاعدة بحرية في خليج عمان، والامتيازات التي حصلت عليها المانيا لإنشاء سكة حديد من البحر المتوسط إلى الخليج [العربي]، كلها ظروف بالغة الأهمية. ... إقامة قاعدة بحرية، أو ميناء محصن في الخليج [العربي] من قبل أي قوة أخرى نتعبره خطرا حقيقيا على المصالح البريطانية، وعلينا أن نقاومها بكل الوسائل «[58].

اتخذت بريطانيا موقفا أكثر جدية بعد معاهدة 1820 م، فارتأت ان تقوم بتعيين ممثل لها في ساحل عمان ليشرف على شؤونها ويكون حلقة وصل بين معتمدها في بوشهر وشيوخ الساحل، واتخذت من الشارقة مقرا للوكيل البريطاني في الساحل،[59] ومنذ ذلك الوقت لعب البريطانيون دور الوسيط بين شيوخ ساحل عمان حيث ان معاهدة عام 1820 م، لم تتطرق الى منع الحروب البحرية؛ بل منعت الاعتداء على السفن في حالة السلم، وبذلك اصبح البريطانيون يتطلعون لعقد المزيد من المعاهدات التي تساعد على استقرار شواطئ الخليج العربي، ولذلك دعوا مشيخات الخليج العربي لعقد معاهدة عدم اعتداء عام 1835 م، الزمت كافة الأطراف بوقف الاعتداءات لسنة ونصف، وتم تجديدها بعد ذلك بشكل سنوي حتى عام 1843 م، والذي جددت فيه معاهدة الهدنة البحرية لعشر سنوات، وما ان انقضت في عام 1853 م، حتى جددت المعاهدة بشكل دائم، وعرفت بمعاهدة السلام البحري الدائم التي عززت من مكانة بريطانيا في الخليج.[60] وضمت هذه

المعاهدة ثلاث بنود رئيسية، الأول وقف الحروب البحرية بشكل تام، والثاني ينص على معاقبة من يخرق المعاهدة، واما البند الثالث فيقضي بأن العقاب لا يتم الا بإشراف المقيم البريطاني،[61] وتعد هذه أول معاهدة يوقعها حاكم الهند مع مشيخات الخليج، والتي مكنت بريطانيا من انشاء خط التلغراف الذي يربط الهند بأوروبا عبر الخليج، حيث لم يكن باستطاعة بريطانيا المحافظة على سلامة التلغراف لولا ذلك النفوذ.[62] وفي هذه الفترة لم يكن لدى الدول الأوروبية مطامع ونفوذ يذكر في الخليج باستثناء فرنسا التي استطاعت عقد معاهدة تجارية مع مسقط عام 1844 م.[63] ومع ذلك فان البريطانيين لم ينعموا بالهدوء في الخليج كثيرا، فقد وجهت الدولة العثمانية انظاراها نحو شرقي الجزيرة؛ لتعزز من سلطتها المركزية بعد خسارتها لأراضيها في أوروبا، وادى افتتاح قناة السويس عام 1869 م، لان يصبح خط الملاحة مباشرا بين إسطنبول والبصرة وبذلك ارادت الدولة العثمانية بسط نفوذها في الخليج،[64] وحين تولي مدحت باشا ولاية بغداد اخذ يتحين الفرصة للهجوم على الاحساء، وحانت الفرصة اثناء الصراع الذي تم بين عبدالله واخيه سعود أبناء فيصل بن تركي؛ بعد وفاة والدهم،[65] فأرسلت عام 1871 م، حملة عسكرية استطاعت ضم الاحساء وقطر، وحال اعتراض المقيم البريطاني في البحرين دون تقدم الاتراك لها الذين بدأوا في مزاحمة البريطانيين في الخليج فبعد ان ضموا الاحساء وقطر اقاموا قنصلية في بو شهر،[66] وكإجراء بريطاني مضاد ضد التحرك العثماني، عقدت اتفاقية مع البحرين عام 1881 م، تمنع البحرين من إقامة أي علاقات خارجية دون موافقة السلطات البريطانية.[67]

زيادة التنافس الدولي في الخليج:

وازداد التنافس الدولي في الخليج في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي مع دخول الروس على ميدان المنافسة في الخليج فأقاموا قنصلية في بغداد عام 1881 م، وتبعهم الامريكيون فافتتحوا قنصليتهم في بغداد عام 1889م،[68] الذين ظل دورهم مقتصرا على دراسة المنطقة وبعيدا عن شؤونها السياسية؛ فافتتحوا بعثة الكنسية الأميركية الإصلاحية مركزين لها في بوشهر عام 1891 م، والبحرين عام 1893م. وما لبثت ان انضمت المانيا الى خضم التنافس عام 1894 م، بفتحها قنصلية في بغداد، ثم وكالة في بوشهر عام 1897،[69] ومع زيادة اهتمام الدول نجد ان فرنسا خفضت من تواجدها فأقفلت قنصليتها في البصرة عام 1883م.[70] وأمام هذا الاجتياح الدولي نحو الخليج رأت بريطانيا ان تقوم بأجراء احترازي يضمن سلامة موقعها في الخليج، فأقدمت على عقد عدد من المعاهدات مع المشايخ العربية تضمنت تعهداتهم بعدم إقامة أي علاقات خارجية مع الدول الأجنبية دون موافقة بريطانيا فجددت معاهدة عام 1881 م مع البحرين، واقامت معاهدات مماثلة مع مشايخ الساحل وسلطان مسقط عام 1891، غير ان الخطر كان متوجها شمال الخليج العربي وتحديدا في الكويت، اذ بلغ التنافس أشده مع سعي كل من روسيا وألمانيا للحصول على امتياز ربط الخليج بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق سكة حديد تكون انطلاقتها من الكويت[71] وفي عام 1896 م حدث انقلاب انتهى بتولي الشيخ مبارك الصباح[72*] للسلطة في الكويت، فقبل به العثمانيين على مضض وارادوا استغلال ذلك الحدث وتعميق سلطتهم في الكويت بحكمها بشكل

مباشر فما كان من الشيخ إلا أن طلب الحماية البريطانية التي قوبلت بالرفض في بادئ الأمر،[73] إلا أن بريطانيا سرعان ما ابدلت سياستها تجاه الكويت؛ وكان وراء هذا التحول السريع اللورد كيرزون، فقد عزم بعد تولية حكومة الهند على عدم ترك المجال لأي دولة أجنبية في دخول الخليج، لأنه كان ينظر اليه كمنطقة نفوذ بريطانية خالصة، وبالتالي فان مشروع ربط الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط من شأنه ان يعرقل طريق التجارة الهند ويزعزع النفوذ البريطاني فيجب تقويضه وقطع الطريق على كافة الدول الأجنبية فعقدت اتفاقية حماية الكويت عام 1899 م؛ التي أصبحت بموجبها كافة الشؤون الخارجية بيد البريطانيين؛ فلا يتصل شيخ الكويت او يمنح امتيازا لأي دولة أجنبية دون موافقة بريطانيا.[74] وبالنسبة لعمان فقد سبق وان عقد سلطان مسقط اتفاقا عام 1891 م، مع بريطانيا يقضي بعدم منح الدول الأجنبية أي امتياز، الا ان السلطان لم يلتزم بتعهداته للسلطات البريطانية فمنح الفرنسيين امتياز إقامة مستودع للفحم في بلاده، فساءت العلاقة البريطانية العمانية حتى عام 1902 م، العام الذي جدد السلطان تعهداته السابقة للبريطانيين،[75] وفي سبيل تثبيت بريطانيا لنفوذها في الخليج العربي ومراقبته احواله عن كثب قامت بفتح وكالة لها في البحرين عام 1893 م،[76] ثم اوفدت الكابتن نوكس كأول معتمد سياسي في الكويت عام 1904 م.[77] وينتهي هاورث الى انه بعد الحرب العالمية الأولى زال الخطر الروسي القيصري والعثماني في الوقت الذي ازدادت أهمية الخليج العربي الاستراتيجية، حيث أصبحت شركة النفط الانجلو فارسية (APOC) هي المسؤولة عن امداد البريطانيين بجزء كبير من احتياجهم النفطية، بالإضافة الى انه أصبح طريقا جويا للشرق، الامر الذي يوجب عليهم تغيير سياستهم في الخليج؛ وتعزيز تواجدهم عسكريا، فيذكر:

« حتى عام 4191 م، عام الحرب الذي احتللنا فيه البصرة وحصلنا بنتيجة الحرب على الانتداب في العراق، واختفت روسيا القيصرية وتركيا ... كان يتم امداد قواتنا البحرية بجزء كبير من احتياجاتها من النفط والبنزين، واحتياجات بلادنا من النفط المعد في رأس الخليج [العربي]، كما وأصبح من الواضح أيضا، بأن للخليج [العربي] أهمية استراتيجية من الدرجة الأولى، نظرا لوقوعه بين العراق والهند، ولعلاقته بالطريق الجوي إلى الشرق ... إذا ما سمحنا لابن سعود بأن يستحوذ على المشيخات العربية على الساحل، فلا يمكننا بعد ذلك استخدام هذا المجال وستنقطع خطوطنا الجوية. لذا، يتوجب علينا تشديد قبضتنا على المشيخات. كما يتوجب علينا احتلال شبه جزيرة موسيندام، للسيطرة على الخليج ولحماية تدفق النفط. ... تتمتع البحرين بميناء ممتاز وبمناخ جيد جدا أفضل من شبه جزيرة موسندام، ويجب ان تكون مقرا لأسطولنا البحري «[78].

تعهدات حق التنقيب عن النفط لبريطانيا:

الظهور النفطي في المنطقة:

ترجع الاكتشافات النفطية في المنطقة الى عام 6481 م، حينما اكتشف المهندس الألماني الدكتور روربـاخ (Rohrbach) النفط في الموصل ثم تبعه اكتشاف الجيولوجي مايسنر في مندلي عام 1781 م،[79] ثم نشرت عام 2981 م المجلة الفرنسية (Annales des Mines) المتخصصة بعلوم

الجيولوجيا تقريرا يفيد باحتمالية وجود النفط في إيران.[80] وبذلك يكون ظهور النفط في الشرق الأوسط تزامن مع توسع الصراع الدولي الذي دار بين الدول الاستعمارية حول النفوذ والثورة، وكانت الولايات المتحدة الامريكية أولى الدول التي تنبهت لأهمية النفط واستخدمته كوقود قبل غيرها من البلدان واسست فيها شركة روكفلر أول شركة للنفط في العالم عام 2681 م، وتبعتها في شركة النفط الملكية الهولندية عام 0981 م، التي توجهت للتنقيب عن النفط في اندونيسيا، واسست في بريطانيا اول شركة نفطية عام 2091 م وهي شركة نفط بورما (Burmah Oil Company)[81]، ومع تأخر بريطانيا في دخول عصر النفط، الا أن الساسة والقادة البريطانيين تنبهوا مبكرا لأهمية النفط وكان من ابرزهم الاميرال فيشر[82]، الذي نادى منذ عام 2881 م بأهمية النفط للأسطول البحري مؤكدا انه يزيد من فاعلية الاسطول بمقدار الثلث، ونبه لأهمية النفط بقوله « استعدوا لحرب النفط ».[83] وتقدم فيشر باقتراح استبدال الفحم بالنفط الا آن وزير البحرية آنذاك الاميرال سيلبورن[84] عارض ذلك قائلا « ان استبدال الفحم بالنفط امر مستحيل، لأن النفط متواجد بكميات محدودة، فالأفضل استخدامه كوقود ثانوي ».[85] ومهما يكن من امر فقد كانت بريطانيا أولى الدول الأوروبية التي حصلت على امتياز نفطي في المنطقة، وتمثل ذلك في الامتياز الذي حصل عليه البارون يوليوس دي رويتر (Julius de Reuter) عام 2781م، وبعد فشلها في العثور على النفط تم الغائه في عام 9981م، ثم بعد عامين استطاع مواطن بريطاني يدعى وليم دارسي (William Knox D'Arcy) من الحصول على الامتياز.[86]

أ – النفط في إيران:

في عام 1091م، وفي الوقت الذي كانت إيران تمر فيه بظروف اقتصادية وسياسية سيئة وتعاني من الديون الأجنبية استطاع دارسي (D'Arcy) الحصول على امتياز للبحث والتنقيب عن النفط في إيران،[87] وكان الامتياز شاملا اذ ينص على حق الانتفاع بالاستكشاف والاستخراج والتصدير على جميع الابار النفطية وطبقات الاوزوكرايت[88*]، الغاز الطبيعي، والاسفلت،لمدة ستين عاما، على أن تأول وتم اصدار المرسوم الملكي لاعتماد الامتياز عام 2091 م.[89] وقد شمل الامتياز كامل إيران ماعدا المقاطعات الشمالية.[90]

في عام 3091 م، تم تأسيس اول شركة استكشاف (First Exploration Company) برأس مال قدره 000،006 $. غير ان عمليات البحث واجهة هجمات من افراد القبائل البختيارية وللتغلب على تلك الصعاب قامت شركة دارسي بتأسيس شركة أخرى عرفت باسم شركة بختياري للنفط (Bakhtiari Oil Company) برأس مال قدره 000،004 $ قدمت شركة دارسي 3% من أسهم الشركة بالإضافة الى دفع رسم سنوي لأفراد القبيلة مقابل حماية الامدادات والمعدات، الا انه خلال عدة سنوات لم تتمخض علمية البحث والتنقيب عن أي اكتشاف ذو أهمية؛ ومع تزايد خسائر الشركة التي بلغت آنذاك قرابة الربع مليون جنيه، وفشل دارسي (D'Arcy) في جلب مستثمرين من لندن، لذلك قرر بيع الامتياز لمستثمر اجنبي، غير ان تعيين اللورد جون فيشر وزيرا للبحرية[91]، والذي كانت أولى اعماله تعيين لجنة تدرس إمكانية تحويل الوقود المستخدم في البحرية من الفحم الى

النفط، امرا غير من مجرى الاحداث، ففي الوقت الذي أراد دارسي (D'Arcy) الخروج من فارس وبيع حق الامتياز، أدت جهود الادميرال فيشر الى ان اتصل اللورد ستراثكونا(Strathcona) بشركة نفط بورما (BOC) لتأسيس نقابة مشتركة مع شركة دارسي (D'Arcy) بهدف إدارة امتياز فارس، وهكذا تم تأسيس شركة الامتيازات النقابية المحدودة (The Concessions Syndicate Limited) عام 5091 م، غير ان اعمال الشركة الجديدة لم تسر بشكل جيد؛ حتى أراد المستثمرون إيقاف العمل بعد الخسائر المتتابعة، إلا ان تفجر النفط في 62 مايو 8091 م، أدى الى استمرار اعمال الحفر والتنقيب.[92] وكان دارسي (D'Arcy) قد باع حصته لشركة نفط بورما (BOC) قبل عام واحد فقط.[93]

ازدادت وتيرة العمل، فحفرت العديد من الابار في المناطق المجاورة لترتبط بعبدان حيث أنشئ فيها مصفاة ومرفأ للنفط،[94] ثم تأسست شركة النفط الانجلو فارسية (APOC) عام 9091م، برأس مال قدره 000,000,2$ كان نصيب شركة نفط بورما (BOC) 5.82%، وشركة الامتيازات النقابية المحدودة (CSL) 02%، و اللورد ستراثاكونا (Lord Strathcona) 5.1%،[95] واستحوذت شركة النفط الانجلو فارسية (APOC) على شركة الامتياز الاولى (FEC) بالكامل، وبالتالي أصبحت تملك حق الامتياز وتملك اغلبية شركة بختاري، وحين تطلب توسع الشركة المزيد من الأموال استطاعت الحكومة البريطانية توفيرها مقابل زيادة حصتها من الشركة، ففي عام 4191 م، أصبحت الحكومة البريطانية تملك 5.25% من شركة النفط الانجلو فارسية. وكان الفضل يعود لوزير البحرية[96] حينها ونستون تشرشل.[97]

ب – النفط في العراق:

كان العراق آنذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية، التي كان لديها علم مسبق بالتواجد النفطي في شمال العراق؛ لترسبه فوق سطح الأرض، ولذلك قام السلطان عبد الحميد الثاني بإصدار فرمان عام 1888م يعطي لنفسه حق الامتياز في التنقيب عن النفط في وسط وشمال العراق، وتعاقد السلطان مع شركة ألمانية تدعى شركة سكة حديد الاناضول أوائل القرن العشرين.[98] ويرجع اهتمام الألمان بالامتيازات النفطية في العراق إلى بعثة وصلت العراق عام 1871 م وأوضحت ان العراق منطقة نفطية واعدة، فتوالت المسوحات ففي عام 1895 م كان الفرنسيون يجرون مسوحات شاسعه في مناطق شمال العراق، الا ان الالمان استطاعوا في نهاية الامر الحصول على امتياز للتنقيب عن النفط عام 1903 م، ويبدوا ان السلطان لم يرغب في اطلاق يد الدول الأجنبية في الدولة فكان الامتياز للتنقيب عن النفط محدود المساحة على جانبي سكة الحديد المزمع انشائها، بالإضافة الى ان السلطان في عام 1904 م، قام بإصدار فرمان يقرر بموجبه تحويل ملكية الأراضي النفطية من الدولة الى ملكيته الشخصية، الامر الذي زاد في مصاعب امتياز الالمان.[99] وفي عام 1907 م الغى السلطان عبد الحميد الامتياز الألماني الذي سبق وان حصلت عليه شركة سكة حديد الأناضول.[100]

غير ان باب الاستثمار الأجنبي سرعان ما فتح مجددا بعد انقلاب تركيا الفتاة عام

8091م، وخلع السلطان، وتعديل قانون تملك الدولة للأراضي النفطية، مما أدى الى تزاحم الراغبين في الحصول على امتياز نفط العراق.[101] فتقدم الالمان عن طريق البنك الألماني (Deutche Bank)، والبريطانيون عن طريق شركة النفط الانجلو فارسية (APOC)، والهولنديون عن طريق شركة رويال شل الهولندية (Royal Dutch Shell Petroleum Company)، والأمريكيون عن طريق مجموعة تشيستير.[102] وقد ساعد دخول الأمريكيين ساحة الصراع لتوحيد الجهود البريطانية – الألمانية لمجابهتهم،[103] فأسست بريطانيا البنك الوطني التركي (Bank Of Turkey National) في لندن، للمشاركة في مشاريع النفط في العراق، وأجريت مناقشات حول ذلك مع البنك الألماني (DB) – بصفته صاحب حقوق الامتياز السابق – نتج عنها تأسيس شركة الامتيازات الأفريقية والشرقية المحدودة (African and Eastern Concession Syndicate) عام 1191 م، والتي عرفت فيما بعد بشركة النفط التركية Turkish Petroleum Company)).[104] وبعد ان تمكن البريطانيين من اقصاء الأمريكيين من منافستهم في نفط العراق، توجهت انظارهم نحو حلفائهم السابقين، فاخذوا يعدون اتفاقية تخول لهم الحصول على اكبر حصة في شركة النفط التركية (TPC) عن ونتج عن المفاوضات التي أجريت بين شركة النفط التركية (TPC) والحكومتين العثمانية والبريطانية، اتفاقية سميت « الترتيبات لدمج المصالح في الامتيازات النفطية لشركة النفط الانجلو فارسية (APOC) وشركة النفط التركية « وتعرف اختصارا باتفاقية وزارة الخارجية البريطانية عام 4191 م،[105] وبموجب هذه الاتفاقية اصبحت شركة النفط الانجلو فارسية (APOC) الممثل الرئيس لمصالح بريطانيا في شركة النفط التركية (TPC) بدلا من البنك الوطني التركي (BTN)، وتم اعادت توزيع حصص شركة النفط التركية (TPC) كالجدول رقم (1).[106]

ثانيا: تعهدات حق التنقيب عن النفط:

بعد ظهور النفط في المنطقة احتدم الصراع بين بريطانيا والقوى الدولية حول منابعه، خصوصا مع تعاظم أهميته، وفي الوقت نفسه حالت الأوضاع السياسية المضطربة في شرقي الجزيرة العربية عائقا يحول دون استكشاف أراضيها، على الرغم من ان الدراسات الجيولوجية اثبتت ان الطبقات الصخرية في دول الخليج العربي مشابهه لتلك المناطق التي عثر على النفط فيها في بلاد فارس.([107]) فما كان من بريطانيا الى ان سعت الى عقد عدد من المعاهدات والاتفاقيات مع دول الخليج العربي يحق لها بموجبها استغلال واستخراج النفط، بالإضافة الى حق رفض الاستثمار الأجنبي في منابع النفط في دول الخليج.([108]) رغبة منها في التصدي لنشاط صائدي الامتيازات، والحيلولة دون تغول الدول الأجنبية في الخليج بجعل الامتيازات النفطية حكرا على الشركات البريطانية، واشتراط موافقة ممثل الحكومة في الخليج.[109]

أ – الكويت 1913 م:

أدى موقع الكويت بالقرب منابع النفط في العراق وإيران الى ان تكون من أولى الدول التي توقع اتفاقية مع بريطانيا بخصوص حقوق استخراج النفط، حيث لم تكن الكويت تبعد عن مصافي النفط في عبادان سوى 40 ميلا، ولذلك اوعزت الحكومة البريطانية الى المقيم البريطاني في

الخليج العربي السير بيرسي كوكس الى ان يراسل الشيخ مبارك، بطلب ارساله لتعهد خطي يلزمه بعدم عقد أي امتياز نفطي الا بموافقة الحكومة البريطانية.[110] وكان رد الشيخ على رسالة كوكس بانه لن يعطي امتياز النفط في بلاده دون موافقة الحكومة البريطانية،[111] وعرف هذا التعهد باتفاقية النفط عام 1913م، ولم تلبث بريطانيا حتى اوفدت العديد من المهندسين والجيولوجيين مزودين بأجهزة للبحث واستكشاف النفط، وعلى الرغم من تقديم شيخ الكويت لهم كافة المساعدات الا أن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون تقدم عمليات البحث والتنقيب.[112]

ب – البحرين 1915 م:

استطاع البريطانيون ان يحصلوا على تعهد من شيخ البحرين عام 1915م، بانه في حال تواجد النفط في بلاده؛ فانه يمتنع عن استثماره بنفسه ولن يقبل باي عرض امتياز دون استشارة الوكيل البريطاني في البحرين، وموافقة الحكومة البريطانية.[113]

ج – السعودية 1915م:

أدى ضم الملك عبد العزيز للأحساء لان تفكر بريطانيا في عقد اتفاق معه تلزمه فيه بعدم منح حق تنقيب النفط في بلاده إلا لمن ترتضيه الحكومة البريطانية،[114] في مقابل سنوي قدره 5000 جنيه إسترليني، ضمن ما عرف باتفاقية دارين عام 1915م.[115]

د – قطر 1916 م:

تمسكت الدولة العثمانية بسيادتها في قطر حتى عام 1913 م؛ عندما تخلت عن ادعائها بالسيادة على قطر بموجب الاتفاق العثماني – البريطاني، وفي عام 1916 م أصبحت قطر تحت الحماية البريطانية بعد ان تنازل الشيخ عبد الله بن جاسم عن سيادة بلاده الخارجية.[116]

ه - امارات ساحل عمان 1922م:

استطاعت بريطانيا الحصول على تعهدات من شيوخ وأمراء إمارات ساحل عمان في عام 1922 م، بعدم منح امتيازات استكشاف واستغلال النفط في بلادهم دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية.[117]

و - عمان 1923م:

تمكنت بريطانيا عبر قنصلها في مسقط راى (Rae) من اخذ تعهد من سلطان مسقط تيمور بن فيصل في عام 3291م، يلتزم فيه السلطان بعدم منح امتيازات استكشاف النفط دون استشارة الحكومة البريطانية، وذلك بعد ظهور اشاعات بتواجد النفط في عمان، فأرسل الوكيل البريطاني يطلب من السلطان التعهد بعدم منح الامتياز لاحد دون موافقة الحكومة البريطانية، فوافق السلطان.[118] وهذه المعاهدات التي عقدت بين دول الخليج العربي وبريطانيا، كانت في مجملها مكملة لاتفاقيات سابقة ابتدأت مع اتفاقية 1820م، التي لحقها سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات انتهت بتعهدات حق التنقيب عن النفط، وبذلك تكون بريطانيا اخذت تتدخل في شؤون دول الخليج شيئا فشيئا حتى سلبتها جزءا من سيادتها في استغلال مواردها الاقتصادية، بعقد معاهدات غير متكافئة، اكدت بريطانيا، سيادتها على الخليج، واحكمت سيطرتها على مصادر

النفـط المحتملـة.

وبذلـك يكـون التواجـد البريطـاني في الخليـج العـربي أوائـل القـرن العشريـن، أصبـح أكـثر صلابـة مـع المعاهـدات الثنائيـة مـع مشـايخ الخليـج، وتقهقـر القـوى المناوئـة لـه في اعقـاب الحـرب العالميـة الأولى، وأصبـح الخليـج يقـع ضمـن نطـاق النفـوذ البريطـاني.

الخاتمة:

مـر التواجـد البريطـاني في الخليـج العـربي بكثـير مـن المراحـل التـي اخـذت وقتًـا طويـلا ليتحـول مـن المنحـى التجـاري للمنحنـى الاسـتعماري، والواقـع ان تلـك البريطانيـين لم يجـدوا الطريـق ممهـدا لبسـط نفوذهـم عـلى الخليـج؛ بـل واجهـوا منافسـة الـدول الأوروبيـة الأخـرى، إضافـة إلى تمـرد بعـض السـكان المحليـين ومحاولـة إجبارهـم عـلى الخـروج مـن الخليـج، وقـد اسـتطاع البريطانيـين التغلـب عـلى كل تلـك العقبـات وعقـد العديـد مـن المعاهـدات مـع مشـايخ وإمـارات الخليـج العـربي، الأمـر الـذي أدى لتعزيـز نفوذهـم، ومـع عـودة القـوى الأوروبيـة لمـسرح الأحـداث في الخليـج بناهيـة القـرن التاسـع عـشر؛ بـدأت بريطانيـا في عقـد معاهـدات ثنائيـة مـع مشـايخ وامـارات الخليـج، مكنتهـا مـن تعميـق نفوذهـا ومنـع كافـة الـدول الأوروبيـة مـن التغلغـل في المنطقـة، خصوصـا مـع زيـادة أهميتهـا بعـد اكتشـاف النفـط، وبلـغ النفـوذ البريطـاني أوجـه في أعقـاب الحـرب العالميـة الأولى.

النتائج :

وخلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي منها:

غلـب الطابـع التجـاري عـلى التواجـد البريطـاني في الخليـج العـربي أول الأمـر، وسرعـان مـا أخـذ طابعًـا عسـكريًا لتأمـين تلـك المصالـح، وقـد بـدأ النفـوذ السـياسي منـذ القـرن التاسـع عـشر.

استطاع البريطانيين طرد البرتغاليين وبقية القوى الأوروبية من الخليج العربي.

عمـدت السياسـية البريطانيـة في الخليـج العـربي عـلى السـيطرة عـلى مشـايخ وامـارات الخليـج عـبر عقـد اتفاقيـات دائمـة منـذ منتصـف القـرن التاسـع عـشر؛ لضـمان فـرض سـيطرتهم لأقـصى مـدة.

تمكنـت بريطانيـا مـن فـرض نفوذهـا الكامـل بعـد معاهـدات عـام 1820 م عـلى منطقـة الخليـج العـربي، وعـززت معاهـدات الصلـح ذلـك النفـوذ،

غـيرت بريطانيـا مـن سياسـتها تجـاه مشـايخ وامـارات الخليـج القائمـة عـلى عـدم التدخـل في شـؤون تلـك الـدول بعـد ظهـور الأخطـار الأوروبيـة أواخـر القـرن التاسـع عـشر.

أدى ظهـور النفـط في الخليـج العـربي لزيـادة اهتـمام بريطانيـا بتعزيـز نفوذهـا لـدى مشـايخ وامـارات الخليـج، ونجحـت بريطانيـا في احتـكار امتيـازات النفـط في الخليـج.

أصبـح التواجـد البريطـاني في الخليـج العـربي منـذ أوائـل القـرن العشريـن أكـثر صلابـة مـع المعاهـدات الثنائيـة مـع مشـايخ الخليـج، وتقهقـر القـوى المناوئـة لـه في اعقـاب الحـرب العالميـة الأولى، وتمكنـت بريطانيـا مـن جعـل الخليـج بمثابـة بحـيرة بريطانيـة.

قائمة الملاحق:

الجدول رقم (1) :[119]

أسهم شركة النفط التركية (TPC)	
%5.74	شركة النفط الانجلو فارسية (APOC)
%52	البنك الألماني (Deutche Bank)
%5.22	شركة البترول الانجلوساكسونية[120]*
%5	كالوستغولبينكيان (CalousteGulbenkian)[121]**

الهوامش:

1. FO37112247/

رسالة المقيم السياسي في الخليج الكولونيل هاورث الى وزير خارجية حكومة الهند، مؤرخ 10 سبتمبر 1927 م. نقلا عن : الأعظمي، وليد حمدي، الكويت في الوثائق البريطانية 1752 – 1960،(لندن: Riad El-Rayyes Books Ltd، 1991 م) ص ص 47-54.

2. عادل محمد خضر، الصراع الدولي في الخليج العربي، في الندوة العلمية العالمية الرابعة لمركز دراسات الخليج: جامعة البصرة - مركز دراسات الخليج العربي وجامعة الكويت - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية البصرة: جامعة البصرة ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت، مج 2 (1981): ص 311.
3. عبدالأمير امين، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي، جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي، ع 8، (1977 م) ص 19.
4. ج.ج لوريمر، ترجمة قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر، دليل الخليج، ج 1 (د.م: د.د، د.ت) ص ص 34.33،42.
5. سعيد رعفيت، النشاط التجاري الهولندي في الخليج العربي بين عامي (1623م – 1766م)، رسالة ماجستير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط: (2015 م): ص ص 8-9.
6. FO37112247/

رسالة المقيم السياسي في الخليج الكولونيل هاورث الى وزير خارجية حكومة الهند، مؤرخ 10 سبتمبر 1927 م. نقلا عن : الأعظمي، مرجع سابق، ص ص 47-54.

7. ناتاليا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، ترجمة سمير سطاس، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والنشر، 1427 هـ - 2006 م) ص 70.
8. ابن سلوت، ترجمة: محمد الفريح، عند الباب الخلفي للمشرق : التنافس الإنجليزي الهولندي في الخليج العربي 1623 – 1766م، دارة الملك عبد العزيز، مج 27، ع 1، (2001 م) ص 158.
9. تومانوفيتش، مرجع سابق، ص 95.
10. سعيد رعفيت، النشاط التجاري الهولندي في الخليج العربي بين عامي (1623م – 1766م)، رسالة ماجستير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط: (2015 م): ص 15.
11. عادل محمد خضر، مرجع سابق، ص 311.
12. ارنولد ويلسون، تاريخ الخليج، ترجمة أمين عبد الله، ط 4، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2016م)
13. جاكلين إسماعيل، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية: جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي س 4, ع 16 (1978)، ص 12.
14. لوريمر، مرجع سابق، ص 80.

15. سليم التكريتي، الصراع على الخليج العربي، (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد، 1966م)، ص ص 46،47.
16. ابن سلوت، مرجع سابق، ص 179.
17. لوريمر، مرجع سابق، ص 135.
18. عبدالأمير امين، مرجع سابق، ص 23.
19. العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج الفارسي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت)، ص 21.
20. ارنولد ويلسون، مرجع سابق، ص 163.
21. رعفيت، مرجع سابق، ص 86.
22. لوريمر، مرجع سابق، ص ص 246،247.
23. العقاد، مرجع سابق، ص 33.
24. جاكلين إسماعيل، مرجع سابق، ص 13.
25. العقاد، مرجع سابق، ص ص 32،33.
26. التكريتي، مرجع سابق، ص 58.
27. لوريمر، مرجع سابق، ص 274.
28. التكريتي، مرجع سابق، ص 60.
29. ارنولد ويلسون، مرجع سابق، ص ص 178-180.
30. تومانوفيتش، مرجع سابق، ص ص 143-144.
31. قبيلة بني كعب: يبلغ عددهم في العراق ثمانية آلاف وفي عمان ألف، ويسكنون محظة في الجو، ووادي القور، سنيون وغافريون. للمزيد: س.ب مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط2، (وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان: 1437 هـ - 2016 م) ص 220.
32. عبدالأمير امين، مرجع سابق، ص 23.
33. التكريتي، مرجع سابق، ص 58.
34. قبيلة القواسم: قبيلة قوية تسكن على الساحل، وفي رأس الخيمة، وخورفكان، عملهم الأصلي الصيد، وهم فرع من قبيلة المعاول التي تسكن ساحل الاحواز من برودستان الى بندر عباس، عددهم عشرون الفا، مذهبهم سني، وغافريون، اول شيوخهم هو الشيخ رائد بن مطر، للمزيد: مايلز، مرجع سابق، ص 222.
35. ميخين ليونوفيتش، ترجمة سمير سطاس، حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر (دبي: مكز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1429 هـ - 2009 م) ص 217.
36. محمد مرسي عبد الله،امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1793 – 1818، ج 1(القاهرة: المكتبة المصرية الحديث، 1978 م)، ص ص 130-131.
37. قبيلة بني ياس: قبيلة كبيرة، نشأت حديثا في عمان عددها خمسة الاف من البدو والحضر،

ومعظمهم من صيادي اللؤلؤ، لها مدينتان اساسيتان هما أبو ظبي ودبي على الساحل، ويمتد نفوذهم حتى البريمي. للمزيد: مايلز، مرجع سابق، ص 228.

38. قبيلة النعيم: يسكنون الظاهرة وعددهم عشرون الفا، مذهبهم سني، وغافريون، يسكنون البريمي، ضنك، القابل، السنينة، حفيت. للمزيد: مايلز، مرجع سابق، ص 223.
39. حميد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين 1198-1291هـ 1783-1874م، تحقيق: محمد صالح و محمود السليمي، ج 2، ط 6، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1437هـ 2016م) ص 354.
40. حسن الريكي، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبدالله العثيمين، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1426هـ 2005م)، ص ص 142-143.
41. قبيلة الزعاب: قبيلة هناوية عددها مائتان تسكن ثلاث قرى في الباطنة رشاد الزعاب، الروضة، القشدة، وخم سنيو المذهب. للمزيد: مايلز، مرجع سابق، ص 228.
42. FO37112247/

رسالة المقيم السياسي في الخليج الكولونيل هاورث الى وزير خارجية حكومة الهند، مؤرخ 10 سبتمبر 1927 م. نقلا عن : الأعظمي، مرجع سابق، ص ص

43. محمد مرسي، مرجع سابق، ص 173.
44. لوريمر، مرجع سابق، ج 1، ص 207.
45. بن رزيق، مرجع سابق، ص 440.
46. ناتاليا، مرجع سابق، ص 220.
47. عبد الله منسي، محاولات بريطانيا دعم سيطرتها على الخليج العربي بين الحربين العالميتين، (جدة: السروات، 1429 هـ) ص 15.
48. أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت الحديث 1163 – 1385 هـ / 1750 – 1965 م، (الكويت: ذات السلاسل، 1984 م)، ص 158.
49. الريكي، مرجع سابق، ص 233.
50. التكريتي، مرجع سابق، ص ص 63-64.
51. جاكلين إسماعيل، مرجع سابق، ص 14.
52. العقاد، مرجع سابق، ص 80.
53. المرجع السابق، ص ص 82-84.
54. عبدالأمير امين، مرجع سابق، ص 25.
55. بريد الصحراء او البريد البري عرفت أهميته اثناء حرب السنوات السبع، ذلك ان الطريق بين الهند وبريطانيا مرورا بالبصرة وحلب طريقا أقصر وامن. انظر: لوريمر، مرجع سابق، ص 259.
56. العقاد، مرجع سابق، 22
57. الساحل الغربي للخليج العربي، أطلق عليه البريطانيون ساحل القراصنة حتى معاهدة 1820

م، ثـم عـرف لديهـم بالسـاحل المهـادن او المتصالـح، وتسـميته العربيـة هـي الـسر أو الشـميليَّة، ويعـرف أيضـا بسـاحل عـمان. للمزيـد انظـر: مايلـز، مرجـع سـابق، ص 259.

58. FO37112247/

رسـالة المقيـم السـياسي في الخليـج الكولونيل هـاورث الى وزيـر خارجيـة حكومـة الهنـد، مـؤرخ 10 سـبتمبر 1927 م. نقـلا عـن : الأعظمـي، مرجـع سـابق، ص ص 49-51.

59. عيـسى راشـد سـعيد ابـن فـلاح، سـلطان بـن صقـر القاسـمى ودوره السـياسى فى الخليـج العـربى «1803 – 1866»، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، الجامعـة الاردنيـة، عـمان، (2001 م)، ص ص 186-187.

60. المرجع السابق، ص ص 189-190.

61. IOR/R/15736/1/

62. النص العربي لمعاهدة الصلح الدائمة عام 1853 م.

63. العقاد، مرجع سابق، 121.

64. لوريمر، مرجع سابق،، ص 365.

65. العقاد، مرجع سابق،ص 169.

66. أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ص 248-249.

67. لوريمر، مرجع سابق،، ص 383.

68. أحمـد العقبـي، التنافـس الإنجليـزي الفرنـسي في شـبه الجزيـرة العربيـة في القـرن الثالـث عـشر الهجـري التاسـع عـشر الميـلادي، (الريـاض: دارة الملـك عبـد العزيـز 1430 هــ)، ص 377، يذكـر لوريمير ان ذلـك تـم في عـام 1880 م، انظـر: لوريمـر، مرجـع سـابق، ج 3، ص 1389.

69. لوريمر، مرجع سابق، ص 468.

70. لوريمر، مرجع سابق، ص ص 480، 495-496.

71. لوريمر، مرجع سابق، ص 451.

72. أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 321.

72 * مبـارك بـن صبـاح جابـر الصبـاح 1254 - 1334 هــ / 1838 – 1915 م: أمـير الكويـت، نشـأ فيهـا وحكمهـا منـذ عـام 1313 هــ وكان سـابع حكامهـا مـن آل الصبـاح، للمزيـد انظـر: خـير الديـن الـزركلي، الأعـلام قامـوس تراجـم لأشـهر الرجـال والنسـاء مـن العـرب والمسـتعربين والمسـتشرقين، ج 5، ط 15، (بـيروت: دار العلـم للملايـين، 2002م)، ص 270.

73. لوريمر، مرجع سابق،، ص 501.

74. العقبي، مرجع سابق، ص ص 351-355.

75. لوريمر، مرجع سابق، ص ص 557-559.

76. العقبي، مرجع سابق، ص 377.

77. أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 329.

78. FO37112247/

رسالة المقيم السياسي في الخليج الكولونيل هاورث الى وزير خارجية حكومة الهند، مؤرخ 10 سبتمبر 1927 م. نقلا عن : الأعظمي، مرجع سابق، ص ص 51-53.

79. التكريتي، مرجع سابق، 97.

80. Fereidun Fesharaki, The Development of The Iranian Oil Industry 190171-, MASTER, University of Surrey, London: (1974) P 17.

81. شركة نفط بورما: تاسست في عام 1902م لاستثمار النفط في بورما وآسام، وتعد ثاني اكبر شركة نفط بريطانية، برأس مال قدره 2،500،000 جنيه إسترليني، انظر: راشد البراوي، حرب البترول في الشرق الأوسط، ط4، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1953م) ص 29. انظر: The History of the British Petroleum Company: Volume 1, The Developing Years. p 107.

82. اللورد فيشر، كان آنذاك اميرالا في البحرية البريطانية.

83. التكريتي، مرجع سابق، ص ص 96.97

84. اللورد سيلبورن، وزير البحرية.

85. Barry Gough, Churchill and Fisher: The titans at the Admiralty who fought the First World War, (Toronto: James Lorimer & Company Ltd., Publishers, 2017) P 175.

86. United States. Energy Information Administration. Office of Oil and Gas, The Petroleum Resources of the Middle East foreign Energy Supply Assessment Program series, (Washington: The Office, 1983) P 23.

87. أحمد الصباب، المملكة العربية وعالم البترول، (جدة: دار عكاظ للطباعة والنشر، 1399 هـ - 1979 م) ص 33.

88. * الشمع المعدني.

89. Fereidun Fesharaki, The Development Of The Iranian Oil Industry 190171-, MASTER, University Of Surrey, London: (1974) P 18.

90. راشد البراوي، مرجع سابق، ص 51.

91. وزير للبحرية البريطانية.

92. Fereidun Fesharaki, The Development Of The Iranian Oil Industry 190171-, MASTER, University Of Surrey, London: (1974) P.P 1921-.

93. United States. Energy Information Administration. Office of Oil and Gas, The Petroleum Resources of the Middle East foreign Energy Supply Assessment Program series, (Washington: The Office, 1983) P 23.

94. جورج لونزوسكي، البترول والدولة في الشرق الأوسط، ترجمة: نجدة هاجر، إبراهيم عبد الستار، (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1961) ص16.

95. R.W Ferrier, The History of the British Petroleum Company: Volume 1, The Developing Years 1901 – 1932(United Kingdom: university of cambridge press, 1982) p 107.

96. يمكن تفسير اهتمام قادة البحرية البريطانية بالنفط لمزايا استخدامه من حيث زيادة نطاق عمل القطعة البحرية بما نسبته 50%، بالإضافة الى تخفيض عدد افراد الطاقم البحري. للمزيد انظر:

97. Barry Gough, Churchill and Fisher: The titans at the Admiralty who fought the First World War, (Toronto: James Lorimer & Company Ltd., Publishers, 2017) P P 175-185.

Fereidun Fesharaki, The Development Of The Iranian Oil Industry 190171-, MASTER, University Of Surrey, London: (1974) P 22.

98. عبد العزيز بن سلمان، مفاوضات الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود- طيب الله ثراه – مع الامتيازات البترولية في المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية في مئة عام، بحوث ودراسات، ج 9، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2007 م)ص ص 13-14.

99. رغد العودات، التنافس البريطاني- الفرنسي- الألماني على النفط العراقي منذ 1908 حتى 1925، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان: (2012 م): ص ص 43-45.

100. عمار السمر، شمال العراق 1958 – 1975: دراسة سياسية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012 م)، ص 8.

101. دافيد فيني، بترول الصحراء، ترجمة إسماعيل الناظر، (بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، 1960 م) ص 46.

102. عبد العزيز بن سلمان، مفاوضات الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود- طيب الله ثراه – مع الامتيازات البترولية في المملكة العربية السعودية، ج 9، ج 9، ص 14.

103. التكريتي، مرجع سابق، ص 100.

104. رغد العودات، مرجع سابق ص ص 52-53.

105. عمار السمر، مرجع سابق، ص 8.

106. رغد العودات، مرجع سابق ص 54.

107. العقاد، مرجع سابق، ص 215.

108. كوثر عبد الحسن، الصراع البريطاني – الأمريكي على نفط الكويت، جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مج 39، ع 1، (2011 م) ص 205.

109. عبدالله منسي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه عمان فيما بين الحربين العالميتين 1337-1358هـ / 1919-1939 م ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جده: (1412هـ/ 1992م): ص 334.

110. كوثر عبد الحسن، مرجع سابق، ص 207.

111.IOR/R/15512/1/

112.رسالة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت إلى المقيم البريطاني في الخليج بيرسي كوكس، مؤرخة في 28 ذو القعدة 1331هـ الموافق 29 أكتوبر 1913م.

113. بدر الدين الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، ط2 (الكويت: ذات السلاسل، 1973م) ص 292.

IOR/R/15740/1/

رسالة من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين إلى الوكيل السياسي فيها، مؤرخة في 18 جمادى الثاني 1333هـ الموافق 13 مايو 1915م.

114. دافيد فيني، مرجع سابق، ص 54.

115. هارفي أوكونور، الأزمة العالمية في البترول، ترجمة عمر مكاوي، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م) ص 395.

116.عبد الله منسي، محاولات بريطانيا، ص 25.

117.عبد الله منسي، سياسية الولايات، ص 342.

118.IOR/R/1524/6/

رسالة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت إلى المقيم البريطاني في الخليج بيرسي كوكس، مؤرخة في 21 جمادى الأولى 1341هـ الموافق 21 فبراير 1923م.

119. رغد العودات، مرجع سابق ص 54.

120.* شركة البترول الأنجلوساكسونية (Anglo – Sakson Oil Company) أحد فروع شركة شل الهولندية الملكية ومقرها لندن. وكانت اكبر شركة نفط في بريطانيا، برأس مال قدره 3،500،000 جنيه إسترليني، انظر: The History of the British Petroleum Company: Volume 1, The Developing Years . p 107. انظر: رغد العودات، مرجع سابق، ص 50.

121.** كالوست غولبينكيان (Calouste Gulbenkian): ممثل شركة البترول الانجلوساكسونية في إسطنبول، وكان له دور كبير في تأسيس شركة نفط العراق. للمزيد: رغد العودات، مرجع سابق، ص 50 وما بعدها.

المصادر والمراجع:

أولا: الوثائق:

(1) 12247/FO371

(2) رسالة المقيم السياسي في الخليج الكولونيل هاورث الى وزير خارجية حكومة الهند، مؤرخ 10 سبتمبر 1927

(3) 512/1/IOR/R/15

(4) رسالة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت إلى المقيم البريطاني في الخليج بيرسي كوكس، مؤرخة في 28 ذو القعدة 1331هـ الموافق 29 أكتوبر 1913م.

(5) 736/1/IOR/R/15

(6) النص العربي لمعاهدة الصلح الدائمة عام 1853 م.

(7) 740/1/IOR/R/15

(8) رسالة من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين إلى الوكيل السياسي فيها، مؤرخة في 18 جمادى الثاني 1333هـ الموافق 13 مايو 1915م.

(9) 24/6/IOR/R/15

(10) رسالة من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت إلى المقيم البريطاني في الخليج بيرسي كوكس، مؤرخة في 21 جمادى الأولى 1341هـ الموافق 21 فبراير 1923م.

(11) ثانيا: المصادر العربية:

(12) ابن سلوت، ترجمة: محمد الفريح، عند الباب الخلفي للمشرق: التنافس الإنجليزي الهولندي في الخليج العربي 1623 – 1766م، دارة الملك عبد العزيز، مج 27، ع 1، (2001 م).

(13) ابن فلاح، عيسى راشد سعيد، سلطان بن صقر القاسمى ودوره السياسى فى الخليج العربى «1803 – 1866»، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان، (2001 م).

(14) أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت الحديث 1163 – 1385 هـ / 1750 – 1965 م، (الكويت: ذات السلاسل، 1984 م)،

(15) إسماعيل،جاكلين، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية: جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي س 4, ع 16 (1978).

(16) الأعظمى، وليد حمدي، الكويت في الوثائق البريطانية 1752 – 1960، (لندن: Riad El-Rayyes Books Ltd، 1991 م).

(17) امين، عبدالأمير، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي، جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي، ع 8، (1977 م).

(18) أوكونور، هارفي، الأزمة العالمية في البترول، ترجمة عمر مكاوي، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م).

(19) البراوي، راشد، حرب البترول في الشرق الأوسط، ط4، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1953م).

(20) التكريتي، سليم، الصراع على الخليج العربي، (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد، 1966م).

(21) تومانوفيتش،ناتاليا، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، ترجمة سمير سطاس، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والنشر، 1427 هـ - 2006 م).

(22) الخصوصي، بدر الدين، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، ط2 (الكويت: ذات السلاسل، 1973م).

(23) خضر، عادلمحمد، الصراع الدولي في الخليج العربي، في الندوة العلمية العالمية الرابعة لمركز دراسات الخليج: جامعة البصرة - مركز دراسات الخليج العربي وجامعة الكويت - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية البصرة: جامعة البصرة ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت، مج 2 (1981).

(24) رزيق، حميد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين 1198-1291هـ 1783-1874م، تحقيق: محمد صالح ومحمود السليمي، ج 2، ط 6، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1437هـ2016م).

(25) رعفيت، سعيد، النشاط التجاري الهولندي في الخليج العربي بين عامي (1623م – 1766م)، رسالة ماجستير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط: (2015 م).

(26) الريكي، حسن، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد الله العثيمين، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1426هـ 2005م).

(27) الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 5، ط 15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م).

(28) سلمان، عبدالعزيز، مفاوضات الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود- طيب الله ثراه – مع الامتيازات البترولية في المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية في مئة عام، بحوث ودراسات، ج 9، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2007 م).

(29) السمر، عمار، شمال العراق 1958 – 1975: دراسة سياسية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012 م).

(30) الصباب، أحمد، المملكة العربية وعالم البترول، (جدة: دار عكاظ للطباعة والنشر، 1399 هـ - 1979 م).

(31) عبد الحسن، كوثر، الصراع البريطاني – الأمريكي على نفط الكويت، جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مج 39، ع 1، (2011 م).

(32) عبد الله، محمد مرسي، امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1793 – 1818، ج 1(القاهرة: المكتبة المصرية الحديث، 1978 م).

(33) العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج الفارسي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت).

(34) العقبي،أحمد، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز 1430 هـ).

(35) العودات،رغد، التنافس البريطاني- الفرنسي- الألماني على النفط العراقي منذ 1908 حتى 1925، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان: (2012 م).

(36) فيني،دافيد، بترول الصحراء، ترجمة إسماعيل الناظر، (بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، 1960 م).

(37) لوريمر، ج.ج، ترجمة قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر، دليل الخليج، ج 1 (د.م: د.د، د.ت).

(38) لونزوسكي، جورج، البترول والدولة في الشرق الأوسط، ترجمة: نجدة هاجر، إبراهيم عبد الستار، (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1961).

(39) ليونوفيتش، ميخين، ترجمة سمير سطاس، حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر (دبي: مكز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1429 هـ - 2009 م).

(40) مايلز، س.ب، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط2، (وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان: 1437 هـ - 2016 م).

(41) منسي، عبد الله، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه عمان فيما بين الحربين العالميتين 1337-1358هـ / 1919-1939 م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جده: (1412هـ/ 1992م).

(42) منسي، عبدالله، محاولات بريطانيا دعم سيطرتها على الخليج العربي بين الحربين العالميتين، (جدة: السروات، 1429 هـ).

(43) ويلسون، ارنولد، تاريخ الخليج، ترجمة أمين عبد الله، ط 4، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2016م).

ثالثا: المصادر الأجنبية:

(44) Barry Gough, Churchill and Fisher: The titans at the Admiralty who fought the First World War, (Toronto: James Lorimer & Company Ltd., Publishers, 2017.

(45) Fereidun Fesharaki, The Development Of The Iranian Oil Industry 1901-71, (MASTER, University Of Surrey, London: (1974).

(46) R.W Ferrier, The History of the British Petroleum Company: Volume 1, The Developing Years 1901 – 1932(United Kingdom: university of cambridge press, 1982).

(47) United States. Energy Information Administration. Office of Oil and Gas, The Petroleum Resources of the Middle East foreign Energy Supply Assessment Program (series, (Washington: The Office, 1983).

الديمقراطية الزائفة: استنتها بريطانيا في السودان وورثتها النخب الطائفية : الدروس المستفادة

أ.د ميمونه مرغني حمزه

كلية الآداب – جامعة النيلين

المستخلص:

بعد أربعة عقود من الاحتلال اجبرت بريطانيا لوضع مشروع لاش اك السودانيين في حكم بلادهم بدأت بالمجلس الاستشاري دون مراعاة لوضع المجتمع وما يحتاجه من تأهيل اقتصادي واجتماعي قبل ان يدخل في هذه التجربة، طبيعي ان تنتهي التجربة بالفشل وكل المحاولات الاخري التي حاولت بريطانيا تطبيقها لان بريطانيا لم تكن جادة في بناء نظام ديمقراطي في السودان بل اعتبرتها وسيلة لاحكام قبضتها. كانت النتيجة كارثية إذ اصبحت إجراءات بريطانيا موروث سياسي دعمته النخب الطائفية.

الكلمات المفتاحية : الديمقراطية ، التراث السياسي، الطائفية ، النخبة

The Fake Democracy advocated by Britain and supported by sectarian elite in the Sudan Acquired Lessons

Prof. Maimouna Marghani Hamza

Abstract:

After four decades Britain was obliged to set a scheme for participation of the Sudanese in the rule of their country.starting with setting the Advisory council without . Realizing that the society needs to be prepared economically and socially before embarking in such a scheme, naturally it failed and all other trials because

Britain was not serious to build a democratic regime in the

Sudan but considered it a means to.strengthen its hold. The result was disastrous as it became a political heritage followed by sectarian elite.

Key words : Democracy - Political- heritage - sectarian

مقدمة:

بعد اكثر من أربعة عقود من الاحتلال قررت بريطانيا تطبيق نظام ديمقراطي للحكم في السودان وبريطانيا هي رائدة الديمقراطية ليس في اوربا بل في العالم اجمع وبالتالي هناك ادراك تام من ضرورة إيجاد مرحلة تأهيل واعداد تسبق التطبيق امتدت لاكثر من قرنين في بريطانيا فهل تمت تهيئة البيئة السودانية لضمان نجاح التجربة واستدامتها ؟ هل سعت بريطانيا لايجاد بيئة سياسية واقتصادية وتعليمية لكي يستفيد السودان من هذا النظام المستحدث ام ان الاجراء كان مجرد تمويه قصد به تثبيت اقدامها في السودان ؟وما قامت به بريطانيا شكل ضررا كبيرا علي السودان لان هذه التجربة أصبحت جزء من الإرث السياسي سارت عليه النخب الطائفية ودعمته خدمة لمصالحها تماما كما فعلت بريطانيا وبسبب فساد الأساس طبيعي ان تفشل التجربة فيما بعد .

احكمت بريطانيا قبضتها علي السودان باجازة اتفاقية الحكم الثنائي وهو ثنائي شكلا وانما موضوعا هو حكم منفرد لبريطانيا . وضع كرومر القنصل العام هذه الاتفاقية التي تؤمن مصالح بلاده في السودان وسمها بالحكم الثنائيلايهامالحكومة المصرية انها شريكة في حكم السودان [1]. في الواقع لم يرغب كرومر في ابعاد مصرنهائيا عن السودان لانه كان يخطط كي تتحمل كل تكلفة الإدارة اذ توقع كرومر ان يجد خزينة خاوية وهو لا يريد ان يتحمل دافع الضرائب البريطاني أي أعباء لان بريطانيا لم تكسب شيئا من عملية الغزو كما ادعي. ثم تحايل علي مصر مرة اخري بوضع السلطة المدنية والعسكرية في يد موظف لم تحدد جنسيته * علي ان تختاره بريطانيا ويعين

بمرسوم من الخديو ي بمعني انه يصبح موظفا في الحكومة المصرية هي التي تدفع له راتبه وتتحمل جميع مخصصاته . اما تكاليف الإدارة يجب ان تدفعها الخزينة المصرية لان الغزو تم من اجل مصر وظلت بالفعل تدفع تكاليف الإدارة حتي 1913 وقد اوقفتها بريطانيا حتي لا تتخذها الحكومة المصرية ذريعة للمطالبة بالاشتراك الفعلي في حكم السودان .

الجهاز الإداري الحاكم :

تأسست ما سمي بحكومة السودان علي راسها الحاكم العام يعاونه ثلاثة سكرتيرين بريطانيين وقسمت السودان الي مديريات عينت عليها مديرين من البريطانيين ويساعدهم مفتشين من البريطانيين أيضا . وفي 1910 أسس الحاكم العام مجلس الحاكم العام لم يفكر الحاكم العام اشراك أي سوداني فيه كبادرة لاسهامهم في السلطة حتي في هذا

المستوي من مستويات الإدارة تأهيلا لهم واستعدادا لتطبيق الحكم الديمقراطي

لقدحرصت بريطانيا علي حرمان الشعب من ابسط حقوق الانسان – حرية التعبير رغم ان مقاومة الاستبداد كان ضمن اعلان حقوق الانسان الذي اقرته الثورة الفرنسية وهللت له اوربا ذلك لان بريطانيا تسعي لاستدامة سيطرتها فقضت علي الانتفاضات التي قامت ضدها قبلية او دينية وقد ظهرت هذه في كل ارجاء السودان منذ العقد الأول من الاحتلال فاستخدمت الطيران والمدفعية لقمعها وشكلت المحاكم الصورية لاعداماالمقاومين.ولكنها احتاجت لمن يساندها فوجدت ضالتها في زعماء الطوائف الدينية ورجال القبائل فاغرتهم بالامتيازات من اجل تنفيذ سياستها . طلبت منهم عند اندلاع الحر ب العالمية الاولي لقيام بطواف حول أقاليم السودان لافشال نداء الجهاد الذي اطلقه السلطان العثماني يدعو فيه المسلمين لمساندة إسطنبول وقد نجح المخطط البريطاني فلم تظهر أي استجابة لنداء الجهاد الا من علي دينار فكان ان أرسلت حملة عسكرية قضت علي سلطنة الفور .*والمثير للدهشة ان هؤلاء الزعماء الذين نفذوا رغبات بريطانيا كانت بلا مقابل لم يستغلوا هذا الظرف للمطالبة باي مكاسب يستفيد منها الشعب قنعوا بالامتيازات التي تغدقها عليهم دون اكتراث للشعب ولا مجرد تفكير في اشراكه في الحكم بل العمل علي إبقائه بيئة سياسية غير قابلة للتطور . ربما يفسر هذا الموقف بتماهي مصالح بعض الزعماء مع مصالح بريطانيا مثلا موضوع إزالة الوجود المصري من السودان .وقد استماتت بر يطانيا في استغلال الزعماء في موضوع العداء لمصر اذ خطط ونجت الذي اصبح مندوبا ساميا في القاهرة ترتيب لزيارة وفد سوداني لبريطانيا تحت ذريعة تهنئة الملك جورج الخامس بالانتصار في الحرب العالمية الاولي لكن السبب الحقيقي كان ان يعبر الوفد عن مساندة مطلقة للاحتلال ورفضصريح لاي وجود مصري في السودان [2]. جاءت كلمات الوفد جميعها في هذا السياق حتي وصف محمد عمر بشير ان الوفد فعليا كان ناطق باسم حكومة السودان االبريطانية .

لم تسع بريطانيا لتأمين سبل العيش الكريم لاصحابالبلاد بل سعت لاستغلال الموارد لتامين مصدر دخل للصرف علي ادارتها وتامين رواتب ومخصصات لموظفيها . فرضت الضرائب علي الأراضي الزراعية والسكنية وادخلت محاصيل نقدية علي رأسها القطن لتلبية احتياجات مصانعها .[3].

عند اشتعال ثورة 1924 وصفها زعماء الطائفية بانها ثورة الغوغاء والرعاع رغم ان القائمة التي وجدتها المخابرات بها 104 من أسماء الأعضاء 39 من الموظفين و23 من الضباط و11 من الحرفيين واثنين من القضاة وامام مسجد الخرطوم وطلاب ومعلمين وينتمون الي 22 قبيلة بينهم جعليين وشايقية ودينكا

تعاملت الحكومة مع الثورة باسلوبهاالمعتاد فعندما تحصن الثوار في المستشفى العسكري قامت بجلب المدفع الوحيد الموجود في الخرطوم واطلق 30 قنبلة هدمت المستشفى علي رؤوس الثوار [5] .

الغريب ان لم تواجه بريطانيا مقاومة حقيقية الا بعد اكثر من عقدين رغم ان مجتمعات فرضت بريطانيا سيطرتها عليها سارعت بالثورة ضدها مباشرة منها العراق التي رغبت بريطانيا وضعه تحت انتدابها 1920 ولكن اندلعت ثورة شعبية مباشرة أجبرت بريطانيا علي تعليق صك الانتداب . وفي مصر أجبرت ثورة1919 بريطانيا الغاء الحماية بعد ثلاثة سنوات فقط . هل لضمان مساندة الزعامات الطائفية دورا في إبقاء السودان مستكينا للسلطة البريطانية لاكثر من عقدين اخرين ؟

تنفست بر يطانيا الصعداء بعد القضاء علي ثورة اللواء الابيض وقدرت مواقف حلفائها فمنحت السيد عبد الرحمن المهدي وسام الإمبراطورية «بمرتبة فارس « اسوة بما منح للسيد علي المرغني سابقا [6]. الا انها واصلت سياسة الكبت والقمع بل قررت عقوبة جماعية علي الطبقة المتعلمة علي أساس انها مسؤولة عن ثورة اللواء الأبيض فاغلقت المدرسة الحربية في الخرطوم وقلصت القبول في كلية غوردونلاغلاق كل منافذ الوعي السياسي ولم تفتح أي مدرسة حتي 1929 وأغلقت مدرسة نواب المامير ،غير ان الإرادة الصلبة أدت الي ابتداع وسائل اخري للمقاومة وان تراجعت لفترة من الوقت ، فانغلق الأفق السياسي لعقدين اخرين وهو ما ارادته بريطانيا . فلم تتوفر بيئة سياسية متوقع ان تستجيب لاي مشاركة من الشعب ناهيك عن تطبيق ديمقراطية .

في اطار سياسة بقاء الشعب السوداني في القاع وضعت الحكومة سياسة تعليمية تحقق اهداف المستعمر وليس ذلك النوع من التعليم الذي يتيح للطالب التعرف علي فروع المعرفة ويفتح ذهنه لما يدور في العالم حوله . فتحت مدرسة أولية في امدرمان 1900 واخري في الخرطوم وحلفا وسواكن وبربر تدريجيا وحسب المنهج الذي وضعه جيمس كري لتخريج طلاب يشغلون الوظائف الدنيا في الخدمة المدنية وقد خصص للتعليم 1% من ميزانية الحكومة[7] ولم يجد الا 1 % من التلاميذ في سن التعليم مكانا لهم في تلك المدارس , (تقرير وفد السودان للأمم المتحدة)[8] .حرصت الحكومة علي السير في هذه السياسة للعقود القادمة اذ لاشي يمكن ان يفتح المدارك ويغذي الوعي السياسي مثل ما يفعل التعليم .

حرصت الإدارة علي استمرار كلية غوردونالتي وصفتها في دعاية .الاكتتاب بانها ستكون منارة للحضارة الاوربية في افريقيا وقد تم جمع أموال التأسيس من البريطانيين والمستعمرات اما مال التسيير فكان يتحمله دافع الضرائب السوداني[9].

غير ان الالتحاق بالكلية لم يكن متاح في منافسة عادلة بل يخضع لمعايير يضعها الحاكم العام فتقبل الكلية أبناء الاسر المتعاونة مع الإدارة وأبناء زعماء القبائل فتم تحديد الدور الذييمكن ان تقوم به الكلية في نطاق ضيق في بيئة اصلا في غاية الضيق .

هل كانت البيئة الاقتصادية مواتية لتطبيق نظام حكم يتيح ممارسة الشعب لحقه الطبيعي في إدارة بلاده كما يقول المنطق السوي ؟ المنطق الاستعماري غير سوي يهدف فقط لاستمرار وجوده وتثبيت اقدامه ولا مكان للشعب وكيفية حكم البلاد .

رغم ما كان لبريطانيا من خبرة في المجال الاقتصادي والصناعي وهي مهد الثورة الصناعية التي انتشرت منها الي اورباوالعالم ولكن السودان لم يكن في دائرة الاستفادة من هذا التطور المهم . السودان مؤهل فقط لخدمة مصالح الإمبراطورية خاصة انه يتمتع باراضى شاسعة صالحة للزراعة وتتوفر فيه المياه كما ان السكان يعتمدون علي الزراعة في معيشتهم فلماذا لا تفرض عليهم ضرائب توفر دخل ثابت للإدارة الجديدة .؟ اول قرره اتخذه الحاكم العام كان موضوع تسوية الملكية الزراعية[10].واوكل الحاكم العام لمديري المديريات تحديد الفئات علي الأراضي حسب نوعيتها وكان الغر ض الأساسي تغذية الخزينة فظهر ان المتحصل من هذه الضريبة في تصاعد مستمر فارتفع العائد من 3 الف جنيه في 1898 الي 576 الف جنيه في 1904. ووجه الحاكم العام الي التشدد فيالتحصيل وقد تصل العقوبة علي المتراخين الي مصادرة الأرض [11] .لم يكن هناك أي توجه لتحسين أساليب الزراعة اوادخال محاصيل جديدة ومعروف ان بريطانيا كان لها باع طويل في هذا المجال في بلادها لكن هذا خارج دائرة اطماعها . ونجدها مرة اخري تركز اهتمامها علي المتعاونين معها فحصل السيد عبد الرحمن علي مساحات شاسعة من الأراضي ممتدة من القطينة حتي الجزيرة أبا اعترافا بدوره المساند لبريطانيا في الحرب العالمية الاولي ومنح مزيد من الأراضي في منطقة الجزيرة كما منح السيد علي أراضي في منطقة العليابوالدامر وان كانت متواضعة بالنسبة لما حصل عليه المهدي وقد فسر هذا بان المهدي كانت له تطلعات سياسية فارادت اشغاله بالحوافز الاقتصادية خلاف للسيد علي الذي أراد ان يحافظ علي مكانته الروحية بين مريديه .[12]

اما اخطر ما قامت به الحكومة في المجال الزراعي فهو الدعوة للأجانب للاستثمار الزراعي في السودان فقد ظهرت الفكرة منذ عهد ونجيت علي أساس ان تطوير الزراعة يوفر دخل ثابت للادارة حتي لا تستمر في الاعتماد علي دعم الحكومة المصرية وكان هذا هاجس حكومة السودان ان تستغل الحكومة المصرية الدعم المالي لتحقيق مكاسب سياسية بعد ان حرمتها اتفاقية الحكم الثنائي من أي مكاسب . سيوجه المستثمرون لتنفيذ سياسة زراعية تخدم اهداف بريطانيا بالتأكيد . كان الاهتمام اكثر بزراعة القطن عندما قررت لجنة التجارة البريطانية انشاء حزام لزراعة القطن في المستعمرات البريطانية الممتدة عل خط 40 درجة جنوب وشمال خط الاستواء فنشطت التجارب في السودان علي أساس انه يقع في هذا الحزام. أرسلت عينات من القطن من المزارع التجريبية الي ممثلي شركات القطن في الإسكندرية التي اوصت بجودته وضرورة الاهتمام بزراعته . وضعت الحكومة خطة لزراعة القطن بدعوة مستثمرين أجانب فتم وضع اعلان في الصحف

المصرية والبريطانية ليدعو رجال الاعمال لتقديم طلبات في هذا المشروع . حصل مستثمر امريكي -لي هنت - علي قطعة ارض جنوب الدامر « منطقة الزيداب « علي ان يزرع القطن بالشراكة مع مستثمر ين بريطانيين وامريكيين وقد كونوا شركة باسم شركة السودان للتجارب الزراعية وحققت أرباحا طائلة مما أهلها لاجراء تجارب علي زراعة القطن في كل انحاء السودان [13] وقد استخدمت الشركة مزارعين من جنسيات مختلفة اغريق ومصريون وسوريون وعدد قليل من السودانيين وقد اقترح هنت جلب عدد من الزنوج الامريكيين للعمل في المشروع . وكانت العقود في صالح تلك الشركات وهي تشمل إعفاءات ضريبية وامتيازات في التسويق الخ ...وقد انصب اهتمام بريطانيا علي زراعة القطن بسبب حاجة مصانع النسيج في بلادها وقد توقف تزويدها بالقطن الأمريكي فاجاز مجلس العموم البريطاني قرضا للسودان في حدود 3 مليون جنيه خصيصا لزراعة القطن وهو اكبر قرض تقدمه بريطانيا لاحدي مستعمراتها [14] .

غير ان الظروف الدولية وما بدأ يظهر في اوربا من تهديد للسلام اجبر بريطانيا بعد أربعة عقود لتستمع لصوت الشعب فقد ظهرت النازية في المانيا والفاشستية في إيطاليا فارادت بريطانيا التفرغ لهذا الخطر الداهم ولا تنشغل بسواه خاصة بالنسبة للمستعمرت وكان موسوليني قد احتل الحبشة وهدد بإقامة خط اخضر يمتد من مستعمرة إيطاليا في طرابلس الغرب الي القرن الافريقي عبر مصر والسودان وهذا ما دفع بريطانيا بتوقيع معاهدة 1936 مع مصر . وقد اثمرت هذه الظروف عن ميلاد مؤتمرالخريجين العام في 1938 . فارسلت اللجنة التنفيذية خطابا للحكومة في 2 مايو 1938 تخطرها بقيام الموتمر . انسجاما مع سياسة التهدئة جاء رد الحكومة إيجابيا علي أساس ان يحصر المؤتمر نشاطه في الأمور الخاصة بعضويته بعيدا عن السياسة ، كما انها خشيت ان يتحول المؤتمر الي حركة سرية او يتجه نحومصروفي الحالتين يشكل خطرا كبيرا علي وضعها .لكنها سرعان ما ادركت الخطر الذي بدا يمثله المؤتمر من حيث ازدياد شعبيته بشكل لافت فارادت ان تسحب البساط من تحت اقدامه عندما اقترح الوزير ستانفورد كر بس الذي عبرالسودان في طريقه الي الهند علي دوجلاس نيوبولد تأسيس مجلس استشاري للسودان . بحثت الحكومة الفكرة وأصدرت قانون المجلس الاستشاري لشمال السودان في1943 وكانت هذه بداية لما اعتبرته بريطانيا تطبيق للديموقراطية في السودان من وجهة نظرها .فشكل الحاكم العام لجنة من كبار الموظفين البريطانيين في يناير1943 وبعد ان عقدت ثلاثة جلسات فقط قدمت قانون المجلس الاستشاري لشمال السودان واقترحت عضوية من 30 قلصت فيما بعد الي 28عضوا يمثلون الشعب السوداني ، واقعيا 18 من هؤلاء يتم تعينهم بتوصية من مديري المديريات البريطانيين.وعشرة يختارهم الحاكم العام من العاملين في القطاعات المهنية ، فالمجلس عبارة عن هيئة استشارية تحت مسمي سوداني يساعد الحكومة في تنفيذ مخططاتها. وقد تشكلت العضوية من العمد ونظار القبائل وبعض الموظفين وقد وصف هدلستون في الجلسة الافتتاحية بان هذه اول هيئة تمثيلية في تاريخ السودان استخفافا بالشعب ، كما اعلن ان بريطانيا تخطط لقيام اليات للحكم الذاتي وان الدمقراطية ستكتمل عندما يحكم السودانيون انفسهم خلال عشرين عاما .[15].

ظهرت معارضة قوية ضد المجلس فهو ابعد ما يكون عن تمثيل السودانيين ويتحكم الحاكم العام والسكرتير الإداري في كل اعماله . قاطعه حزب الاشقاء الذين سيطروا علي المؤتمر واعتبروه محاولة لايهام العالم ان بريطانيا تطبق الديموقراطية في السودان ووصفه احمد خير بانه الية لتنفيذ المخططات البريطانية يضم أعضاء ينفذون ما يطلب منهم .

بسبب التطورات الدولية وازدياد الوعي السياسي بظهور الصحافة والاتصال بالخارج بدأت تظهر توجهات لتشكيل أحزاب في البداية اتخذت تكتلات داخل مؤتمر الخريجين فظهر حزب الاشقاء في 1943 وتمكن من كسب قاعدة جماهيرية عريضة كما حصل علي تأييد السيد علي المرغني زعيم طائفة الختمية , وقد حدثت عدة انقسامات داخل هذا الحزب لكنها كانت في عمومها معادية لبريطانيا وسياساتها في السودانومتفاربة مع مصر.دفع هذا الحكومة لتشكيل حزب موال لها – حزب الامة في 1945– علي غرار أحزاب بنفس الاسم اسسته في العراق ومصرروقد رفع حزب الامة شعار السودان للسودانيين وهي دعوة حق اريد بها باطل كما ذكر خضر حمد . .

العلاقات البريطانية المصرية:

رأت الحكومة المصرية ان الأوان قد حان لمراجعة معاهدة 1936 فقد مضت عليها عشر سنوات حسب نصوصها فخاطبت الحكومة المصرية بريطانيا في هذا الامروبعد مماطلات وتجاذبات بدأت مفاوضات انتهت ببروتوكول صد قي-بيفنوبسبب معارضة وضغوط من جهات مختلفة اجهض البروتوكول فقررت مصر رفع القضية لمجلس الامن في أغسطس 1947 ورغم مناقشة الشكوي المصرية فقد ا دي استخدام بريطانيا لنفوذها في المجلس لحفظ الشكوي .

في ذات الوقت استمرت الحكومة في الخرطوم في التحضير لقيام ما اسمته اليات الحكم الذاتي خوفا من استمرار الضغط المصري فاعلنت انها سوف تعقد مؤتمر إدارة السودان من اجل اشراك السودانيين بصورة اكبر في حكم بلادهم علي أساس تطوير المجلس الاستشاري ليكون اكثر تمثيلا. انعقد المؤتمر في 22-4-1946 بتمثيل من الموالين لبريطانيا من اعضاء المجلس الاستشاري والموظفين بينما رفض المؤتمر والاشقاء ارسال ممثلين . اوصي المؤتمر بقيام جمعية تشريعيةومجلس تنفيذي يحل محل مجلس الحاكم العام . ظهر ان اغلب الاعضاء يأتي عن طريق التعيين ولم تختلف الجمعية في مهامها عن المجلس الاستشاري . وقد أجاز الحاكم العام التوصيات في يوليو 1947 . وهي تجتمع لمدة أربعة اشهر لاجازة التشريعات بينما في زمن غيابها يصدر الحاكم العام ما يريده من تشريعات . وقد حظر عليها مناقشة موضوعات محددة منها الدفاع والميزانية والمعاشات الخ .

تعرضت الجمعية لانتقادات كبيرة وقد برر من اشترك فيها من الاستقلالين انها فرصة للتدريب للحكم الديمقراطي وكان هذا يمكن ان يكون صحيحا اذا كان للجمعية سلطة حقيقية [16].

جاء في اعلان العرش المصري في نوفمبر 1949 ان مصر متمسكة بوحدة وادي النيل فاعلن السكرتير الإداري امام الجمعية تشكيل لجنة لاعادة النظر في قانون الجمعية والمجلس

التنفيذي عرفت هذه بلجنة التعديلات الدستورية برئاسة القاضي ستانلي بيكر وقد عقدت اول اجتماع لها في 22 ابريل 1951 وقد عقدت 11 اجتماعا وسلمت توصيات للحاكم العام رغم ان أربعة من الأعضاء السودانيين استقالوا من عضوية اللجنة قبل ان تكمل اعمالها [17]

رفضت مصر تقرير لجنة التعديلات الدستورية في مذكرة من السفير المصري في بريطانيا الي وزير خارجية بريطانيا أوضح إصرار مصر علي وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري وان بريطانيا تختلق الاختلافات بين شعبي مصر والسودان وهي وواضحة ومتمثلة في الجغرافيا واللغة والدين وتصر الحكومة المصرية علي عدم فصل موضوع الجلاء عن ووحدة وادي النيل تحت التاج المصري وتأسيس الحكم الذاتي في اطار الوحدة [18]. لم تكن بريطانيا مستعدة لقبول الموقف المصري وقد فسره السفير البريطاني انه مبنيا علي عدم فهم للأوضاع في السودان فاغلبية السودانيين يرفضون سيطرة مصر علي السودان وهم يريدون حكما ذاتيا حقيقيا وذا أصرت مصر علي فرض رغبتها سيضر هذا بعلاقتها مع السودان مستقبلا وهي بهذا تتجاهل مستوي الوعي القومي الذي وصل له السودانيون. [19]

في 8 أكتوبر اعلن مصطفي النحاس الغاء اتفاقية 1899 ومعاهدة 1936 من داخل البرلمان المصري واعقب هذا اصدار الملك دستورا خاصا بالسودان ليكون تحت التاج المصري . قررت الحكومة عرض توصيات لجنة التعديلات الدستورية واجازتها فارسلت نسخة الي كل من بريطانيا ومصر . أعلنت بريطانيا اجازتها وانها تساند الحاكم العام في إجراءات الحكم الذاتي الذي يفضي الي تقرير المصير .تاكد الان لبريطانيا ان انهاء النزاع مع مصر بشأن السودان لا سبيل لانهائه الا بإعلان السودان دولة مستقلة والعمل علي إيصال مؤيديها الي الحكم .

قررت الحكومة المصرية دعوة الجبهة الاستقلالية للقاء في القاهرة للتفاهم حول مستقبل السودان بعيدا عن البريطانييونوقد ارسل السيد عبد الرحمن وفدا لهذا الغرضفي مايو 1 952 والتقي بنجيب الهلالي رئيس الوزراء المصر ي الذي عرض علي الوفد سحب دستور السودان الذي اعلن سابقا وقبول تحديد موعد لتقرير المصير مقابل القبول بسلطة رمزية للملك فاروق وقد اخطر المهدي السكرتير الإداري بالعرض وتشاور معه علي كيفية الرد بالرفض الا ان الضباط الاحرار استولوا علي السلطة وعزلوا الملك في 23 يوليو 1952,

قررت حكومة الثورة دعوة الأحزاب السودانية لاجتماعات في القاهرة وقرر السكرتير الإداري تأجيل اعلان قانون الحكم الذاتي الي ما بعد اللقاء وقد ابرق السفير البريطاني في القاهرة حكومته ان اتفاقا قد تم بين الحكومة المصرية والجبهة الاستقلالية . وقادت هذه المفاوضات الي توقيع اتفاقية الحكم الذاتي في12فبراير1953 .

قد وافقت بريطانيا عليها علي أساس ان الجبهة الاستقلالية ستكسب الانتخابات المقترحة . في رسالة سرية من انتوني ايدن للحاكم العام «بإمكاننا تقليص السلبيات عند التطبيق وهذا يعتمد علي صبر وتحمل الموظفين البريطانيين ونعتمد عليكم في الحفاظ علي ما بنيتاه طوال 50 عاما ، مصلحتنا في السودان تامين الاتصالات برا وبحرا وعند استقلال السودان تقوم حكومة

رشيدة ولا يصبح السودان وكرا للشيوعيةوالا يثيراضطرابات في المستمعمرات البريطانية في شرق افريقيا «[20] . اخذت بريطانيا تخطط لكيفية التدخل عبر النظام الديمقراطي الذي سعت لاقامته خاصة بعد ظهور عوامل جديدة في المسرح الدولي مما اقتضي إعادة ترتيب أولوياتها تضمن البقاء في السودان وفي مصر أيضا .

بدأت بريطانيا تخطط مع الولايات المتحدة الامريكية لعقد اتفاقية الدفاع المشترك لمنع انتشار الشيوعية في الشرق الأوسط علي ان تكون مصر مركز الاتفاقية وقد دارت مكاتبات بين بريطانيا والولايات المتحدة بشأن تعثر المفاوضات مع مصر اذ ان الحكومة المصرية لن تقبل أي اتفاق دون الاعتراف بحقوقها في السودان . قدمت الولايات المتحدة عدة مقترحات وكان رايها الا يقف موضوع السودان عقبة في طريق اتفاقية الدفاع ولقد شجعت بريطانيا لتوقيع اتفاقية الحكم الذاتي لتمهد الطريق لاتفاقية الدفاع .[21] مما يعني السعي لوضع حلفائها في السلطة في السودان .

عندما تقرر اجراء الانتخابات لم تكن هناك بيئة معدة وصالحة لتنفيذ هذا الاجراء ، و لم يكن هناك التزام من جانب بريطانيا بمبادي الحياد والنزاهة المطلوبة وفي ذات الوقت اتخاذ كل الأساليب الشرعية وغير الشرعية تحت ستار الديمقراطية بل كانت علي تواصل مع حلفائها في حزب الامة تقدم لهم النصائح من اجل ان يكسبوا الانتخابات وعند زيارةسلوينلويد للسودان صرح بانه يهف لدعم الموظفين البريطانيين ليقفوا مع الجبهة الاستقلالية – حلفاء بريطانيا .ولهذا عند اعلان الانتخابات أصيب رجال الحكومة في الخرطوم بصدمة اذ حتي في كردفان معقل حزب الامة فاز الحزب الوطني الاتحادي[22]. وفي لقاء بين كنريكمستشار الحاكم العام والسيد عبد الرحمن وابنه لام المهدي بريطانيا لانها لم تقدم ما يكفي من مساعدات لكن كنريك رد عليه بان حزبهم هو السبب في الهزيمة لانه لم يتبع نصائح بريطانيا اذ ان بريطانيا اشارت لهم بالتعاون مع كل دعاة الاستقلال مهما كان توجهم ولكن حنهم اصر علي ان يعلن المرشح انتمائه لحزب الامة ،كما دخلوا في معركة مع الحزب الجمهوري الاشتراكي واضاعوا الكثير من الوقت والجهد الذي كان يجب ان يوظف ضد الحزب الوطني الاتحادي [23].ونصحهم تشكيل جبهة استقلالية معارضة في البرلمان .

بعد اعلان النتائج قررت بريطانيا سياسة جديدة تقضى بالتقارب مع الاتحاديين وفي ذات الوقت لا تقطع علاقتها مع حزب الامة ويحاول الحاكم العام والموظفين البريطانيين بناء علاقات جيدة مع الحكومة بعد تشكيلها حتي لا يتجهوا صوب مصر وفي نفس الوقت يبلغ قادة حز بالامة ان مساندة بريطانيا لهم مؤمنة وانهم اخطأؤا في الاعتماد علي اتفاقية الجنتلمان وتجاهلوا»بغباء» توحيد الجبهة الاستقلالية [24].

لم تنظر بريطانيا بجدية بان قانون الحكم الذاتي عند تطبيقة سيؤدي الي ديمقراطية حقيقية بل الي تثبيت اقدامها ربما بشكل دائم في السودان فالقانون وضعه موظفيها في حكومة السودان وارتكز علي تقريرلجنة التعديلات الدستورية التي اقترحها السكرتير الإداري وعين القاضي ستانلي بيكر رئيسا لها وادخل فيها بعض الأعضاء السودانيين استقالوا فيما بعد قبل ان تكمل

اللجنة عملها الا ان بيكر اكمل التقرير واجازته الجمعية التشريعية الصورية التي اندلعت مظاهرات ضدها قمعتها الشرطة بالرصاص فسقط قتلي وجرحي . سلم السكرتير الإداري التقرير الذي سيصبح دستور الحكم الذاتي الي كل من بريطانيا ومصر وقد اقرته بريطانيا اما مصر فلم ترسل ردا .

بعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتي واستعدادا للانتخابات سعت لتأمين نفوذها فعينت احد الموظفين – رتشي – تحت غطاء مندوب تجار ي ليعمل حلقة وصل بينها وحلفاءهاوهو يتحدث العربية وسوف يلتحق به مستشرق ومندوب علاقات عامة يزود بمواد إعلامية مثل الكتب والمنشورات مترجمة للعربية من مكتبها الاعلامي في بيروت وإعادة فتح المجلس البريطاني الذي اغلق في 1951 لضغط المنصرفات وقد خصصت 10 الف جنيه استرليني لهذا النشاط أضيفت لها 10 اخري [25]. يوصي المكتب الإعلامي بتمويل صحيفة ناطقة بالعربية وكل هذا عبء يقوم به الموظفون البريطانيون استعدادا للانتخابات التي سوف تقرر سمعة بريطانيا في افريقيا والشرق الأوسط . وجهت رتشي ليكون حلقة وصل مع حزب الامة ويفتح الباب للمشاورات حول كيفية مساعدة بريطانيا للجبهة الاستقلالية .وقد التقي ريتشي عدة مرات مع السيد عبدالرحمن الذي كان يرغب في الحصول علي مساعدة مالية من بريطانيا الا انه لم يجد أي استجابة منريشي الذي اخطر المهدي ان أي مساعدة مالية تقدم له سوف يصرفها علي حياة البذخ التي يعيشها والشعب السوداني مدرك هذا هذااسقط حزب الامة في الانتخابات .وقد كتب رتشي رسالة لحكومته بان السيدعبد الرحمن طلب مساعدة بريطانيا لتمويل الحزب ربما عن طريق شراء القطن الخاص به بسعراعلي من سعر السوق وقد رد رتشي ان هذه المساعدة غير مضمونة لانه سبق ان ناقش موضوع المساعدة مع لويد اثناء زيارته للخرطوم .وقد كان لويد قد وضع شروط لتقديم هذه المساعدة :

1.يعلن حزب الامة موقفه واضحا بالنسبة للعلاقة مع مصر
2. تشكيل جبهة من مؤيدي الاستقلال للانتخابات
3.التعاون مع الحزب الجمهوري الاشتراكي
4.كسب الجنوبيين بمنحهم تأكيدات ببقاء الموظفين البريطانيين لسنوات قادمة [26].

واشار المهدي الي إمكانية قبول هذه الشروط وسوف يناقشها مع ابنه الصديق وما يهمه استمرار التعاون مع بريطانيا وقد امن الوزير استمرار هذا التعاون . وتم في بعد لقاء بين الصديق ولوس مستشار الحاكم العام الذي كررله الشروط السابقة ووافق عليها [27] .

أراد السيد عبد الرحمن المهدي التعرف علي راي يريطانيا والسودان علي وشك ان يصبح دولة مستقلة فطلب لقاء وزير الخارجية في اثناء زيارته لبريطانيا لحضور حفل تتويج الملكة اليزابث .ويلاحظ لم يصحبه أي من أعضاء الوفد للترجمة بل اخذ معه يودل مدير كلية غوردون

. استفسر في هذا القاء عن نوع الحكم الذي تنوي بريطانيا اقامته في السودان فكان رد الوزير انه يفضل الملكية فقد اثبت جدواها في الاستقرار في الشرق الأوسط كما في العراق والملكة العربية السعودية عكس الحكم الجمهوري المضطرب في سوريا ولبنان . وقد انتشرت انباء عن لقاء المهدي بوزير الخارجية البريطاني وان هذا الأخير اعتبر الملكية افضل لحكم السودان الامر الذي اثار قدر كبير من القلق والتقي مساعد الحاكم العام بالمرغني ونفي له حدوث هذا القاء او اجراء محادثات بهذا الشأن وذلك حتي لا تفسد السياسة الجديدة للتقارب مع الختمية [28].

استمر التنسيق بين بريطانيا وحزب الامة بعد تشكيل الحكومة الوطنية الاولي بزعامة إسماعيل الازهري وقد وصفها بعض المؤرخين بانها افضل حكومة جاءت الي الحكم في السودانبعد الاستقلال. في لقاء بين عبد الخليل ورتشي أراد التعرف علي الأساليب البرلمانية التي يمكن ان تحرج الحكومة وكان عبدالله خليل قد طلب نصيحة مماثلة من قاضي القضاة [29]. وفي خطاب من الخارجية الي رتشي توجيه ليطلب من المهدي الموافقة علي منح بريطانيا تسهيلات عسكرية مقابل المساعدة المالية وتشجيعه للاستماع لنصائح بريطانيا لانها ستؤدي الي كسب حزب الامة للانتخابات القادمة . تظل بريطانيا تراقب الأوضاع وتتواصل معهم وربما لأهمية هذا الامر نجد إشارة لارسال نسخة من هذا الخطاب الي الحاكم العام والي رئيس المكتب البريطاني في الشرق الأوسط والي سفارة بريطانيا في القاهرة وواشنطون [30]

أدت هذه النصائح الي حالة الارتباك الذي شهدها المسرح السياسي فسقطت حكومة الازهري الاولي وظهرت ما عرف بالحكومة القومية لتحل محل الحكومة المنتخبة وانتهي الامر بحكومة ائتلافية بين الامة وحزب الشعب ثبت انها الأسوأ في تاريخ السودانما دفع رئيسها للبحث عن وسيلة لابعاد الاتحاديين عن الحكم خارج الاسلوب الديمقراطي فقرر ان يقنع الفريق عبود لاستلام السلطة رغم ان القوات المسلحة عرفت باحترافيتهاومهنيتها العالية وابتعادها عن السياسة. اصبحت هذه هي الالية التي سارت عليه النخب السياسية لاربعين سنة قادمة .

الغريب في الامر ان الساسة البريطانيين فطنوا الي الدور السلبي للطائفية . كتب روبرتسون السكرتير الاداري لحكومة السودان في رسالة الي خارجيته الي ان كل المحاولات للتوفيق بين المهدي والمرغني فشلت وانه توصل الي قناعة ان من المستحيل احداث أي تطور في السودان وهما علي قيد الحياة اذ ان المصالح الشخصية هي التي تتحكم في السياسةلا تراعي مصلحة السودان في واي مقترحات للمستقبل ترفض اذا لو تتوافق مع المصالح الشخصية ومن المؤسف ان أصحاب العقول الضيقة وعديمي الخبرة يتحكمون في مصير السودان وقد سئم الرأي العام تصرفات السيدين وما يقوم به اتباعهم من مناورات.[31]لقد حرصت بريطانيا علي مصالحها في السودان فتركت لنا هذا الإرث المشوه عن الديمقراطية لتعني استخدام كافة الأساليب لهزيمة الخصم ولا بأس من الحصول علي الدعم المادي من الخارج بضغط من تلك النخب السياسية وفي حالة

الفشل الاستعانة بطرف يملك القوة العسكرية لتحقيق المصالح الحزبية .لم يكن للنخب التي والت الطائفية ووصلت الي الحكم ايمان حقيقي بالديمقراطية فاخذت من الإرث البريطاني نموذجا ، الأحزاب الطائفية والايديولوجية علي حد سواء .لم يكن هناك يقين راسخ لدي النخب السياسية ان الديموقراطية تعني الاحتكام الي الشعب وتهيئة بيئة مناسبة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا حتي يمكن تطبيق الأسس والمبادي الديمقراطية بنزاهة

الهوامش

(1) The Condominium Agreement 1899.

(2) *دفعت الحكومة المصري تكاليف الحملة

(3) كلمات أعضاء الوفد 141 / 371 / FO

(4) كل الحكام العامين بريطانيوين

(5) ميمونة مرغني حمزة ' تاريخ السودان الحديث جامعة السودان المفتوحة ' 2006 'ص 132 .

(6) خطاب وزير الخارجية الي ريس الوزراء 90 26 /36/ F O

(7) وثيقة مآسي الانجليز في السودان قدمت الي الأمم المتحدة 1947م

(8) نفسه

(9) نعوم شقير تاريخ السودان وجغرافيته , دار الثقافة ' بيروت 1967 ص 286

(10) Govern General Report M 1905 NRC

(11) ميمونة مرغني حمزة , مساهمة رسوم وضرائب الأرض في ميزاتنةالادارة البريطانية في الخرطوم , « دراسات حوض النيلين.» جامعة النيلين ,2003ص72-88.

(12) (11) .ميمونة مرغني حمزه .British Land Policy in the Sudan, PhD ,

(13) Khartoum University , 1988 , p 120

(14) Ibid

(15) . .ibid

(16) (14) احمد خير .كفاجججيل . دار عزة , 67

(17) (15) المجلس الاستشاري لشمال السودان ,. Roberston . Transition in Africa , Khartoum 1995,p27

(18) (16) .NRO (Govern General circular no 30

(19) 18Robertson ,opcit ,p 88

(20) رد السفير المصري 1076 . FP371.

(21) ibid

(22) المفاوضات الامريكية البريطانية :P.D.Hansard

(23) رتشي الي سلوينلويد 53/12/4 /FO/371

(24) سلوين لويد الي الحكومة البريطانية ibid

(25) كنريك الي الحاكم العامFO/3443

(26) . ibid

(27) ايدن الي الحاكم العام FO313

(28) روبرسون 10274 /FO

(29) نفسه

(30) ريشي الي الحاكم العام

(31) المفاوضات الامريكية البريطانية .

(32) روبرتسون الي الخارجية 371 /10274/FO

الدراسات العربية الإسلامية ونقدها لمناهج المستشرقين (دراسة تاريخية)

أ.محمد عبدالكريم محمد الكنيدري

باحث - قسم التاريخ -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة للتعرف على الدراسات العربية الإسلامية ونقدها لمناهج المستشرقين، وتسليط الضوء على أوجه التناول من قبل المستشرقين للتاريخ الإسلامي، تنبع أهمية الدراسة من كونها تطرقت لموضوع الاستشراق وهو من المجالات التي وجدت إهتماماً ملحوظاً من قبل المؤرخين في الفترة السابقة حيث أنه وجد قدر من الاهتمام في مجمل الراسات العربية والاسلامية، كما أن منهج المستشرقين وجد الكثير من النقد من قب العديد من المؤرخين في الفترة الأخيرة، إتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها:أهمية دراسة مناهج المستشرقين تجاه التاريخ الإسلامي ورؤيتهم له على الرغم من الصعوبات التي واجهت الدراسات الإسلامية والعربية في هذا المجال ، تعرض مناهج المستشرقين للكثير من النقد من قبل المؤرخين العرب والمسليمن .

الكلمات المفتاحية: الدراسات العربية والاسلامية ،الاستشراق ، منهج المستشرقين ، أهداف المستشرقين.

Arabic and Islamic studies their critique of orientalist curricula (historical study)

Mohamad Abdalkrem Alknidri

Abstract:

The study aims to identify Arab-Islamic studies and their critique of orientalist curricula, and to shed light on the aspects of orientalists' approaches to Islamic historyAttention to the entirety of Arab and Islamic studies, and the orientalist approach has found a lot of criticism by many historians in the recent periodThe difficulties faced by Islamic and Arabic studies in this field, the orientalists' curricula have been subjected to a lot of criticism by Arab and Muslim historians.

Keywords: Arabic and Islamic studies, orientalism, orientalist approach, goals of orientalists

المقدمة:

إلى جانب ما حققه الغرب من تقدم في مجال النقد التاريخي، شهدت الدراسات العربية في القرن العشرين تحركا ملحوظاً نحو هذا الاتجاه، وقد يرى بعضهم انّ المسلمين سبقوا الغرب في نقد الظاهرة التاريخية منذ مقولات ابن خلدون التي اثارت انتباه المثقف الغربي، إلا أن مناهج النقد التاريخي بشكلها المنهج والموسع جرى على أيدي أعلام أوربا من عصر التنوير مروراً بالنهضة، إلى عصر الاستعمار الحديث، في تلك العصور الطويلة كانت الاقلام العربية والاسلامية غائبة قياساً بالحضور الثقيل لثقافة أوربا في هذا المضمار، غير إن الكتّاب العرب المسلمين طرقوا ابواب مناهج النقد التاريخي مؤخراً بعد أن تبنى المستشرقون المناهج الاوربية في قراءة التاريخ الاسلامي، ومن الطبيعي أن نجد أن ردة الفعل التي ابداها الكتاب العرب المسلمين إزاء تلك المناهج قادتهم للبحث في جذورها لنقدها والرد عليها، وقد صاحب اعمال النقد العربية والاسلامية هذه مشاريع لفهم التاريخ الاسلامي بصيغ جديدة قد تكون متاثرة بالمناهج التي اتبعها المستشرقون. ومن الواضح أن تلك الخطوات اتت على اثر الخوف من سيطرة مناهج المستشرقين وأساليبهم على المناهج الدراسية في العالم العربي والإسلامي[1]. وقد صرح عدد من الكتاب العرب والمسلمين بأهمية مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي، لكونها تمس موضوعا دقيقا هو طبيعة التاريخ الإسلامي وجوهره، ومن ثم فقد أثرت على الطريقة التي كون بها المسلمون صورة لأنفسهم في سياق تاريخهم، إلا أن الاساليب التي تعامل بها هؤلاء المستشرقون مع التاريخ الإسلامي واجهت مشكلات عدّة، تبدأ من مشكلة الاصطلاحات إلى تغير المنهجية بسبب تغير البيئات الفكرية، وظهور الاتجاهات الجديدة التي نشأت في العلوم الاجتماعية[2]، مما جعل منهجية الدراسات الغربية وتطبيقاتها على التاريخ الإسلامي تلاقي أنواعاً من الفشل منذ البداية، لأسباب عائدة إلى

المدى الجغرافي الشاسع، ومشكلة اللغات العديدة التي يستخدمها مختلف المستشرقون(3). وقد تنبه كثير من الكتاب المسلمين والعرب الى تلك الفجوة في مناهج المستشرقين والتي تعد عائقا امام إبداء رأي ينصف التاريخ الاسلامي.

الصعوبات التي واجهت الدراسات العربية الاسلامية :

وفي الوقت نفسه كانت هناك العديد من الصعوبات التي حالت دون وصول الدراسات العربية الاسلامية التي تبنت نقد مناهج المستشرقين الى مستوى الطموح إلا القليل منها، وكان ابرز تلك الصعوبات هي ما تميز به كل مستشرق عن الآخر في الأسلوب وطريقة المعالجة، فإذا أخذنا على سبيل المثال ثلاثة من المستشرقين، وجدنا الأول والثاني قد يتفقان على تفسير المدة الأموية في تاريخ العرب على نحو يختلف كلية عن المستشرق الثالث، في حين نجد الأول والثالث يتفقان على تفسير المدة العباسية على نحو لا يقبله المستشرق الثاني(4). وبالنتيجة فان الناقد العربي يواجه ألواناً من التعقيدات والتناقضات إذا ما أراد حصر مناهج المستشرقين في رأي معين، أوفي نمط معين من الدراسات. فالاستشراق فرق وتيارات مختلفة، ولكل فرقة من فرقه لغتها وادبها(5)، وذلك هو السبب وراء تعدد الاراء واختلافها عند الكتاب العرب المسلمين حول مناهج المستشرقين ونقدها. وعلى الرغم من ذلك فأن ما قدمه هؤلاء الكتاب منذ مطلع القرن العشرين من اعمال تعد على قدر كبير من الاهمية، فهي تعبر عن مرحلتها الزمنية، كما اعطت نتائج ايجابية في التصدي للاخطار الفكرية التي بدأت تحاصر الوجود الاسلامي والنفاذ اليه من الماضي، ومن ثم هزيمته نفسيا، وقتل الروح الدينية لأبنائه. وقد نرى أنّ طبيعة النقد التي تبنتها العقلية العربية الاسلامية، في نهاية النصف الاول من القرن العشرين حتى الثمانييات منه متلونة بالتشدد والبعد عن المنهج العلمي في كثير من الاحيان، وهو ما انتجته الاقلام الاسلامية على الاغلب، لكننا في المقابل نرى ان للاكاديميين العرب التي ظهرت كتاباتهم منذ الستينيات الى يومنا هذا اساليب اكثر علمية وموضعية في نقد مناهج المستشرقين، موضحين ما غاب عن اخوتهم الاسلاميين من نوايا غربية تشكل خطراً على مستقبل الاسلام بعد ان بين قسم منهم فكرة المركزية الغربية التي تهدف الى تهميش حضارات العالم وحصر مناهج دراسة التاريخ بشكل عام في اطار النظرية المعرفية الغربية، وهو ما تعامل به كثير من المستشرقين من منهجية مبتنية على هذا الاساس في دراستهم للتاريخ الاسلامي.

اتجاهات نقد العرب المسليمن لمناهج المستشرقين:

يمكننا ان نشخص اتجاهين في نقد الكتاب العرب المسلمين لمناهج المستشرقين في الدراسات التاريخية:

أ - الاتجاه الأول:

تكوّن هذا الاتجاه في اجواء الحركات الاسلامية، سواء التي دعت الى الاصلاح في منهج دراسة التاريخ الاسلامي، او التي دعت الى احياء الروح الاسلامية، بعد ان تبين أنّ المادية الغربية أخذت مأخذها من نفوس العرب المسلمين. ورواد هذا الاتجاه اغلبهم من الاسلاميين الذين تخرجوا من اجواء المؤسسة الدينية وما يمت اليها بصلة.

ينطلق اصحاب هذا الاتجاه في نقدهم لمناهج المستشرقين من دوافع دينية، تتضح سماتها في قوة ردود افعالهم، والرفض شبه التام لاعمال المستشرقين خصوصا الاعمال التي عنت بالموضوعات الحساسة مثل السيرة النبوية والوحي والقرآن الكريم، وهذه الموضوعات هي الميدان الأبرز لهذا الاتجاه في نقد منهجية الاستشراق. فالتعرض للوحي ولسيرة الرسول (ﷺ) والقرآن الكريم يقضي على وحدة الظاهرة التاريخية، ويرجعها إلى عناصر مادية[6]، وهو ما لا ينسجم مع اصل حركة التاريخ الاسلامي التي لم تستوعبها عقلية المستشرقين.

كما ان المستشرقين في نظر الكتاب الاسلاميين قد تحاملوا على الاسلام بشكل واضح، فهم عندما يعطون آراءهم حول الديانات الوضعية كالبوذية، والهندوسية وغيرها فانها تتسم بالموضوعية وعدم التجريح، ولكنها تجانب الحقيقة، وتمس بالمقدسات الاسلامية ولا تحترمها، على الرغم من إن الاسلام يومن بالله، ويحترم اليهودية والمسيحية ويؤمن بجميع الأنبياء[7] .وبين رواد هذا الاتجاه من الكتاب العرب أساليب وطرق بعيدة عن جادة الصواب استخدمها المستشرقون في دراستهم للتاريخ الإسلامي، منها:

1. تأويل الأحداث التاريخية والمبالغة فيها بطريقة كيفية ونسبتها إلى المؤرخين المسلمين وبأسلوب ملتوٍ بحيث يصدق القارئ بصحة تلك الأحداث. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عبد العظيم الديب عن المستشرق المجري جولد تسيهر[8] في قوله: «...ويقول وكيع[9]عن زياد بن عبد الله البكائي[10]: «انه مع شرفه في الحديث كان كذوبا»، ولكن ابن حجر يقول في التقريب: «ولم يثبت أن وكيعا كذّبه»، وهنا يهدف جولد تسيهر إلى نسبة الكذب إلى زياد ألبكائي على الرغم مما يراه المسلمون من علو منزلته في الحديث[11] والمثال الآخر ما انتقده الديب من مبالغات ذكرها وول ديورانت عن الخدم والجياد التي كان يملكها الزبير بن العوام، ومبالغته في الأعمال الفاحشة التي كان هارون الرشيد يمارسها، من خلال إضافاته لكلمات معينة إلى النصوص التي أخذها عن المؤرخين المسلمين(فِي تُصَيِّحُونَ وَحِينَ) ونلاحظ هنا مبالغة واضحة في ردة فعل عبد العظيم الديب في الرد على ما تعرض له قسم من المستشرقين حول تاريخ الحكام العباسيين، مع العلم ان كثيراً من مصادر التاريخ الاسلامي تذكر الروايات التي تعرضت لافراط هؤلاء الحكام، وتماديهم في استخدام السلطة وانغماسهم في ملذات الدنيا.
2. بعض المستشرقين يختارون موضوعات معينة من التاريخ الإسلامي ويبذلون جهدا كبيرا في إظهار دورها للمسلمين بهدف زعزعة مكانة الإسلام في نفوسهم، ومن هذه الموضوعات مسألة الفرق الإسلامية التي ظهرت في العالم الإسلامي قديما وحديثا، فالصورة التي يقدمها المستشرقون من خلال الفرق الإسلامية تبدي حالة التفكك وعدم الوحدة التي يعيشها المسلمون، وتؤكد على اختلافاتهم العقائدية(13)، اضافة اثارتهم مسالة الظلم الذي تعرضت له الأقليات في ظل الدولة الإسلامية بقصد نسبة

هـذا الظلـم إلى الديـن الإسـلامي، فبنظـر البعـض منهـم أن الآيـة القرآنيـة: ﴿قَاتِلُـوا الَّذِيـنَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِاللـه وَلاَ بِالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَلاَ يُحَرِّمُـونَ مَـا حَـرَّمَ اللـه وَرَسُـولُهُ وَلاَ يَدِينُـونَ دِيـنَ الْـحَقِّ مِـنْ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ حَتَّـى يُعْطُـوا الْجِزْيَـةَ عَـنْ يَـدٍ وَهُـمْ صَاغِـرُونَ﴾[14] فيهـا حالـة توهـين وإذلال للأقليـات الدينيـة التـي دخلـت تحـت حكـم المسـلمين[15].

3. تركيـز قسـم مـن المسـتشرقين عـلى خطـوط فكريـة وموضوعـات طارئـة عـلى مسـيرة الاسـلام حيـث نشـأت بعـد مـدة مـن عمـر الإسـلام كالتصـوف مثـلا، فقـد بُذلـت جهـود كبـيرة مـن بعـض المسـتشرقين لدراسـته، وقـد اعتـبروه حالـة مـن الحيـاة والحركـة دبـت في مسـيرة الإسـلام، بينـما يمثـل الإسـلام المسـتمد مـن القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة شـيئاً ميتـا بنظرهـم(16). وقـد كان لقسـم مـن الافـكار التـي نشـأت في ظـل خـط التصـوف سـببا في الوقـوف بوجـه الحـركات التـي تناهـض الاسـتعمار كـما حـدث في الجزائـر عندمـا وقـف الطُّرقيـون المتصوفـون ضـد حركـة ابـن باديـس التـي كانـت تهـدف الى التحـرر مـن الاسـتعمار الفرنـسي أو فَرْنَسَـة الجزائـر[17]. والـشيء نفسـه اتبعـه هـؤلاء المسـتشرقون في ترويجهـم لقصـص الـف ليلـة وليلـة الخرافيـة، إذ قامـوا بالتركيـز عـلى طباعتهـا ونشرهـا في العـالم الاسـلامي بكـثرة، وجعلـوا مـا في هـذه الاقاصيـص مـن خرافـات هـي الصـورة الحقيقيـة للمجتمعـات الاسـلامية[18].

4. تركيـز المسـتشرقين عـلى موضوعـات معينـة بطريقـة انتقائيـة مغرضـة، فإنّهـم بنظـر قسـم مـن الكتـاب الاسـلاميين العـرب يقدمـون رؤيـا خاضعـة لافتراضـات لا تقـوم عـلى دليـل، ويجعلونهـا في مسـتوى حقائـق وردت في التاريـخ الإسـلامي، هـذه الـرؤى والتحليـلات تناقلهـا المسـتشرقون واحـدا عـن الآخـر، وقـد لاقـت لهـا رواجـا بينهـم بمـرور الوقـت. ومن هـذه الـرؤى أن التوسـع المبكـر للإسـلام يعـزى إلى روح الاعتـداء التـي كانـت سـمة مـن سـمات البـدو مـن الأعـراب، والانحـلال الاجتماعـي الـذي كانـت تعـاني منـه المجتمعـات التـي قبلـت الإسـلام، وكفـاءة التنظيـم للخلافـة الإسـلامية، والانفجـار السـكاني في الجزيـرة العربيـة إلى غيرهـا مـن الأمـور السياسـية مثـل الـصراع بين الدولـة البيزنطيـة والفارسـية[19]، الـذي اضعـف الدولتـين أمـام الدولـة الإسـلامية الفتيـة. فمـن الأسـباب الرئيسـية في انتصـار المسـلمين في معركـة اليرمـوك بنظـر بروكلـمان هـي أن الأرمـن كانـوا يشـكلون أكـثر مـن نصـف الجيـش الرومـي، وكان هـؤلاء حاقديـن عـلى الدولـة البيزنطيـة غـير راغبـين في القتـال، وقـد أدى ذلـك إلى هزيمـة الـروم أمـام المسـلمين(20)، مـما يعكـس صـورة للقـارئ أن عوامـل مثـل: الإرادة الإلهيـة، والديـن والإيمـان التـي تمتـع بهـا المسـلمون الأوائـل لم تكـن دوافـع رئيسـية في النجـاح الـذي حققـه الإسـلام عـلى المسـتوى المعنـوي والعسـكري.

5. تبـدو في مناهـج المسـتشرقين محـاولات واضحـة لإفـراغ التاريـخ الإسـلامي مـن ذاتيتـه، ونسـبة جميـع مصـادره إلى مـوارد أخـرى هـي المسـيحية اليهوديـة والبابليـة والفارسـية، إذ تـمّ الاشـتباه في الإسـلام وتشريعاتـه ومـدى تأثـره بالأديـان الأخـرى، وكذلـك لم تنـجُ مناهـج

المستشرقين في البحث التاريخي من إسقاط واقعهم المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، ففسروها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم[21].

6. نتيجة لتخصص بعض المستشرقين في عدد من اللغات القديمة فقد ظهر المنهج الفيلولوجي حيث التركيز على الناحية اللغوية في دراسة الوقائع التاريخية، وهذا المنهج قد يتوافق مع الوقائع التاريخية، لكنه لا يحيط بواقع السيرة التي تأبى بعض أجزائِها الخضوع لمقولات العقل والمنطق[22]. فالمستشرق البلجيكي لامانس[23]. يتحامل على تاريخ السيرة النبوية تحاملا شديدا، زاعما أن القرآن الكريم وحده هو المصدر الذي يُعتمد عليه في بيان سيرة الرسول (ص)، وان كتب الأحاديث كلها موضوعة من اجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي (ص)، فلم يقم لكتب الحديث والسيرة أي وزن. وهو في هذا لا يسوق أي دليل نقلي أو عقلي، ولا يرجع إلى مصادر أخرى عن السيرة، بل يلقي الكلام جزافا، ولا يبدو أن لديه اطلاع باحث، لذلك اظهر تخبطا كبيراً [24] ، والمنهج نفسه نجده عند المستشرق الألماني غوستاف فايل[25] الذي ألف كتابا بعنوان (النبي محمد (ص): حياته ومذهبه)، الذي اظهر فيه تحاملا وبعدا عن الموضوعية العلمية والدقة التاريخية[26].

ويرى بعض أصحاب هذا الاتجاه أن تعامل المستشرقين على وفق منهج الأثر والتأثير مع الوقائع التاريخية في الإسلام كان سببا في إبداء آراء مجحفة بحق نبي الإسلام (ﷺ)، فقد صرح (وات) بوجود تأثيرات يهودية ومسيحية في فكر الرسول(صل الله عليه وسلم)، من خلال علاقته بورقة بن نوفل كما أن خديجة بنت خويلدعليها السلام هي الاخرى كانت عرضة لتلك التأثيرات أيضا وهي اقرب الناس إلى الرسول الكريم (ﷺ)، ، هذا المنهج جعل وات يذهب إلى أن الرسول (ﷺ)، قد صاغ الإسلام على شاكلة الدين الأقدم[27]. ومن أعراض الخلل في المنهج الاستشراقي اعتبار نولدكه أن الرسول (صل الله عليه وسلم)، ومسيلمة الكذاب منبعهما واحد لأنهما جاءا بالتعاليم نفسها مثل تحريم الخمر، والحياة الأبدية وغيرها، ولكن نولدكه في الوقت نفسه يعتبر الرسول (ﷺ)، مقلداً ومقتبساً للديانتين اليهودية والمسيحية لكونه جاء بتعاليم مشابهة لتعاليم تينك الديانتين، في حين لم يعتبر أن الرسول (ﷺ)، وموسى وعيسى (عليه السلام)، يأخذون من مصدر واحد[28]. ومثل هذه الطريقة في التعامل مع الوقائع التاريخية يمكن أن نجدها عند بروكلمان وفلهوزن ومستشرقين آخرين، وقد أُسّست هذه المنهجية على ضوء مفاهيم خاطئة تبناها المستشرقون في دراسة الأديان ومقارنتها، إذ تمت دراسة الأديان السماوية الثلاثة منفصلة عن بعضها لا يربط بينها رابط، وحينما جاء دور المقارنة بين هذه الأديان كانت مخيلة المستشرق تحاول الإجابة عن تساؤلات تشكّلت على وفق رؤية مسبقة، فحالات التشابه بين الأديان بدلا من أن تكون عامل توحيد للديانات لكونها تصدر عن منبع واحد، تحولت ـ في المنهجية الاستشراقية ـ إلى أدلة على السطو الفكري[29].

ويشترك بروكلمان مع (وات) في الرأي القائل أن النبي (ﷺ)، كان متأثرا بالديانتين المسيحية

واليهودية، بل يذهب إلى ابعد من ذلك، فهو يحاول أن يثبت من خلال معرفته باللغات القديمة وتطبيقه للمنهج الفيلولوجي وجود تأثيرات آرامية وفارسية وبابلية على فكر صاحب الرسالة الإسلامية[30]. ويرى بعضهم أن منهج بروكلمان يعتوره خلل كبير متمثل في اعتماده المفرط على فلهوزن وكايتاني[31]، مما يعني أن مصادره هي المراجع الحديثة[32]، وهذا خلل في طريقة التعامل مع الأحداث التاريخية التي تقتضي الرجوع إلى المصادر الأصلية.

كما أن كثيراً من المستشرقين استخدموا منهج اقرانهم السابقين، وقد صُنفت هذه المنهجيات تحت عناوين منها: منهج الأثر والتأثر، والمنهج الإسقاطي وهو إسقاط أفكار المستشرق ورؤيته العصرية على التاريخ الإسلامي، والمنهج العلماني الذي يرى أن النبوة ما هي إلا إبداع من عقلية النبي (صل الله عليه وسلم)، ومنهج البناء والهدم الذي يذكر ايجابيات الرسالة الإسلامية ومن ثم ينقضها بأسلوب يحط من شانها، والمنهج المادي الذي يعارض تدخل الغيب، منهج الافتراض واعتماد الضعيف والشاذ من الروايات الإسلامية[33]، وقد أدت هذه المقاييس التي استعملها المستشرقون في دراسة التاريخ الإسلامي إلى الحكم على أقوى الحقائق في التاريخ الإسلامي بأنها عبارة عن خرافة ووهم، فمقاييسهم تلك لم تستوعب مسألة السيرة النبوية الشريفة وارتباطها بالظاهرة الدينية وما أعطته من أبعاد غيبية، فالظاهرة الدينية لم تتشكل من قبل نتاج الفعل الإنساني بشكل مستقل وإنما لها صلة بالتدخل الإلهي، وهذا البعد لا يمكن حسابه بأدوات التاريخ المادية، ولا سبيل لاكتشافه بمجسات لا تتحسس سوى المسائل المادية[34].وقد حدّد الكتّاب الإسلاميون العرب في هذا الاتجاه ما روجه بعض المستشرقين من أساليب تهدف إلى إضعاف الموضوعات التي كانت لها أبعاد غيبية، وتهميش أثرها في النجاح الذي حققه الدين الإسلامي، من خلال محاولتهم تحليل بعض الظواهر التاريخية بطريقة تقود إلى وضع علامات استفهام عن حقيقة الوحي وصحة النبوة وبشرية القرآن الكريم، وإحالة كل النجاحات التي حققها الإسلام إلى أسباب صنعها الإنسان بمفرده من دون تدخل الإرادة الإلهية. وقد بقيت مخاوف هذا الاتجاه من أساليب المستشرقين في التعامل مع التاريخ الإسلامي قائمة، لان المستشرقين بنظرهم لم يتخلوا عن الغرض والقصد السيئ، وان طريقة النقد العلمية التي اتبعها المستشرقون غير صحيحة ما دامت مبنية على قصد معين ورأي مقرر، وليس ذلك النقد إلا وسيلة لإثبات ذلك القصد، كما أن الكتاب العرب الإسلاميين كانوا يؤاخذون كل من تأثر بأساليب المستشرقين من المسلمين والشرقيين[35]. ومما تقدّم يبدو أن الطابع العام لهذا الاتجاه هو التركيز على أهداف المستشرقين ونواياهم أكثر من تركيزه على أساليبهم العلمية، فأسلوب هذا الاتجاه يميل إلى التعريف بخطاب الاستشراق السياسي والديني أكثر من تحليل نصوصه المعرفية ومناهجه البحثية، وفي هذا الاطار يرى بعضهم انّ طريقة النقد المتبعة على هذه الشاكلة لا تعطي النتيجة المرجوة، فمجرد تشخيص نوايا المستشرقين لا يدفع الضرر والشبهة التي حاول قسم من المستشرقين إلقاءها على التاريخ الاسلامي، فالاكتفاء بالاستنكار والشكوى من زيف ما يكتبه المستشرقون من دون القيام بعمل ايجابي حقيقي على المستوى العلمي لخدمة الاسلام لا يدفع الخطر عنه[36]. فمن أسوأ ما انتجته الاعمال السلبية التي

قدمها المستشرقون هو ظهور عدد من الكتاب العرب والمسلمين ممن يتناغم مع تلك الاعمال ويروج لها حتى أطلق على بعض هؤلاء بالمستغربين، بعد أن اثرت الحضارة الغربية في فكرهم وسلوكهم الاجتماعي وزعزعت في نفوسهم كثيراً من الحقائق التي تخص تاريخ دينهم الاسلامي، من امثال طه حسين- حسين نوري – توفيق الحكيم – سلامة موسى – علي عبد الرزاق.

ب-الاتجاه الثاني :

تتضح ملامح هذا الاتجاه في كتابات الأكاديميين العرب، ذات الطابع الدقيق والمنهجي في نقد مناهج المستشرقين في البحث التاريخي وتحليلها. أخذت هذه الكتابات على عاتقها تسليط الضوء على مستشرقين كبار سواء الكلاسيكيين او المعاصرين ممن تركوا أثراً ملموساً على فهم التاريخ الاسلامي. ومن ابرز من يمثلون هذا الاتجاه هم: ادوارد سعيد، عبد الله العروي، محمد اركون، هشام جعيط.

انّ أصحاب هذا الاتجاه لا يدافعون في الاغلب عن قضية دينية، او قومية، فهم مولعون بافرازات الصراع الحضاري، ونزاع الثقافات اللذين تمحورا حول حوض المتوسط بين جغرافيتين متقاربتين هما الشرق والغرب، ان هذا الصراع بنظر هؤلاء الكتاب لم يفسر على حقيقته، وان للغرب رأيه الخاص حول صراع المنطقة وهو رأي مؤطر بمنتوج ثقافة الغرب وحضارته، ومقابل ذلك يطرح هؤلاء الكتاب العرب رؤيتهم التاريخية التي تؤكد حضور الثقافة العربية والاسلامية، واثرها الواضح في صنع اهم الاحداث التاريخية على اكثر بقاع الارض حيوية وسخونة.

ان ابرز ما يميز دراسات هذا الاتجاه هو ان اصحابها يمتلكون تقنيات الاقتصادي، مع رؤية معرفية واسعة، وقدرة على النقد كمؤرخين[37]، وفي الوقت نفسه هم منفتحون على حقول معرفية عديدة، فالدراسات الاستشراقية في المراحل المتأخرة بنظرهم خرجت من طور المناهج التي كانت خاضعة لسيطرة عوامل العصبية والأرضية الدينية، فأصبح التاريخ عندها هو تاريخ كل الشعوب الإنسانية على اختلاف هوياتها وعقائدها وجغرافيتها، لكونها شريكة في صنع الأحداث التاريخية. مما يعني اننا نجد مساحة كبيرة من التحرر من اطر الاحكام السلبية والشمولية التي اطلقها اصحاب الاتجاه الاول على المنتوج الاستشراقي.

ينطلق قسم من هذه الدراسات من الرؤية التي تقول: إنّ التاريخ بشري، من غير أن تفرض بالضرورة التقيد بممارسة جميع المؤرخين، لكنها ملتزمة في الوقت نفسه بمفهوم التاريخ، وهدف المؤرخ(38). وقد تُبدي عملية نقد مناهج المستشرقين من هذا المنطلق اختلافا عن رؤية الاتجاه الاول في تجاوزها لأحكام مسبقة، أو وقوعها تحت تأثير النظرة الدينية أو القومية، وعلى هذا الأساس تتعامل هذه الدراسات مع مناهج المستشرقين على أنها نتاج مؤرخين لهم الحق بدراسة تاريخ أي شعب من الشعوب، أو ديانة من الديانات. والملاحظ على هذا الاتجاه ان رؤيته إلى مناهج المستشرقين لا تتبنى مسألة الدفاع عن الإسلام بالطريقة النضالية التي اتبعها الاتجاه الأول، ولا ينتابها الخوف من مؤامرة الاستشراق ضد الأمة الإسلامية، لأنّ اصحاب هذا الاتجاه ادركوا ان التصدي الجدي لتحريفات الاستشراق، ولتشوهات صوره عن الشرق، يكمن أولا، في الإشارة إلى

مواطن الضعف البرهاني في المكتوب الاستشراقي، بشكل يتوازى مع مواطن الجدية والقوة المنطقية التي يجب ان نعترف بوجود بعض منها، أو بوجودها عند بعض المستشرقين(39). كما يجب معرفة ادوات ومسلمات العقل التأريخوي والفيلولوجي المتضمان مع العقل العلمي التي استمر المستشرقون في استعمالها[40]، هذه الاحاطات ساعدت هذا الاتجاه على الوقوف على اسس مناهج المستشرقين، وثقافتهم، فتمكنوا من ايصال ارائهم الى أوربا والمستشرقين، على خلاف اخوتهم من الاتجاه الاول الذين كانت أصواتهم عالية ولكنّ المستشرقين يتملكهم الغرور عند سماعها لحكمهم بسطحيتها. وعلى وفق رؤية أصحاب هذا الاتجاه شُخصت ثغرة مهمة في الدراسات الاستشراقية اشار اليها صالح احمد العلي وهي ان هذه الدراسات كتبت من وجه نظر غربية، لذا فهي تعكس اهتمامات الغرب وحاجاته التي لا تتطابق دائما مع اهتماماتنا وحاجاتنا، فلابد اذا من الوصول إلى النصوص الاستشراقية بلغاتها الأصلية، وتمييز المشارب والدوافع المتباينة للمستشرقين[41]، لذا يحمل هذا الاتجاه دعوة إلى مراقبة الاستشراق في العالم الغربي. فالاستشراق في أوروبا نفسها تعرض لنقد صارم، بعد القفزات المعرفية في العلوم الإنسانية في بداية النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، فبعضهم يرى انه جزء من تيارات العلوم التي ولدتها نظرية المعرفة الوضعية والعلموية، إذ خضع لتأثيراتها المنهجية جنبا إلى جنب مع مناهج الدراسات التاريخية والفيلولوجية، وهذا النقد جاء عبر أدوات ومناهج من نتاج الثقافة الغربية نفسها، وبالنسبة للدراسات العربية ينبغي لها الإفادة من تطور المصادر الغربية من خلال نقدها الذاتي لمناهجها حول قضايا العالم الإسلامي[42]. ويمكن ملاحظة ان بعض الاكاديميين العرب قد اتبع المناهج الغربية نفسها في نقد الاستشراق والرد عليه، كما هو الحال عند ادوارد سعيد[43]، الذي تمكن من عبور خط الانقسام الامبريالي الشرقي – الغربي، ودخل في حياة الغرب محتفظا ببعض الرابطة العضوية مع البقعة التي تنحدر منها أصلاً[44]، واستطاع ان يكشف عن طبيعة مناهج الاستشراق المستمدة في اعماقها من المركزية الغربية التي يبغضها المثقف العربي، متوصلا الى ان الحداثة التي انتجها الغرب هي التي ستضطر اوربا الى اخذ الآخر على محمل الجد، لان هذه الحداثة مكنت التابع والمتخلف تكوينيا والمرتبط بتاريخ الشرق على الدوام على حين غرة من ايصال كلمته في الموقع ذاته من الثقافة الغربية[45].

كما نجد انّ قسماً من الاكاديميين العرب لهم محاولات دقيقة في قراءة المنهج الاستشراقي، فالجابري يحذر من الوقوع في الرؤية الاستشراقية في حال الأخذ من مناهج المستشرقين، فالرؤية الاستشراقية من الناحية المنهجية تقوم على أساس معارضة الثقافات، لأنها تقوم على قراءة تراث بتراث، فهناك المنهج الفيلولوجي الذي يجتهد برد كل شيء إلى أصله. وعندما يكون المقروء هو التراث العربي الإسلامي فان مهمة القراءة تنحصر حينئذ في رده إلى أصوله اليهودية والمسيحية والفارسية ....الخ[46]. ومحاولة حسين مؤنس في نقد منهج ابرز المؤرخين في اوربا وهو ليوبولد فون رانكه، الذي يعد شديد الارتباط بالكنيسة، يشير مؤنس الى رؤية رانكه التي تضع للدولة مفهوما أخلاقيا شبيها بالكنيسة، وهو انحراف وقع فيه كثير من مفكري اوربا وخصوصا الالمان

الذين تحمسوا للنظام البروسي واعتماده على القوة والنظام حماساً يعدّ تمهيدا لقيام دولة الحديد والنار على يد بسمارك(47), وعد مؤنس اهتمام رانكه بالوثائق الرسمية ومكاتبات الدول سببا في اهتمامه الشديد بالتاريخ السياسي والعسكري، فلم يتنبّه كثيراً إلى النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وقد وجه معظم اهتمامه إلى قيام النظم الأوربية وما كان يقوم بينها من صراع، وكان إيمانه شديدا بنظام المجتمع الألماني الذي عاش فيه، وكان شديد الإعجاب بالطبقة الوسطى الألمانية وهو منها، وكذلك بالطبقة الارستقراطية الألمانية التي انتسب إليها فيما بعد، وهذا كله حال بينه وبين ان يقدّر نظم المجتمعات الأخرى خارج أوربا ويفهم حضارتها[48]. لذلك لم يوفق رانكه لكتابة مقال عن النبي محمد (ﷺ)، الذي نشره في المجلة التاريخية، وهو دليل واضح على قلة علمه في هذا المجال وقصوره عن إدراك حقيقة الإسلام ورسوله الكريم (ص)، إلا ان الذي أعطى رانكه مكانة كبيرة في علم التاريخ هو اهتمامه بالوثائق والمنهج الدقيق الذي وضعه لتنظيمها ودراستها[49].

وربما تعد محاولات عبدالله العروي في تفكيك رؤية الاستشراق التاريخية إلى العالم العربي والإسلامي، بأنها محاولات عصرية مستندة إلى المناهج العلمية والموضوعية، فالعروي ينتقد ما قام به الاستشراق من تقويم للمؤرخين المسلمين بأنهم لم يؤرخوا إلا لأجل غاية واحدة فقط وهي الحفاظ على تاريخ الشريعة ولا يعنيهم تاريخ المجتمع بما فيه الأمور غير الخاضعة للشريعة، في حين يخوض المستشرق في تاريخ المجتمع بمختلف جوانبه[50]، لذلك يعارض العروي المنهج الاستشراقي في تحجيم قدرة المؤرخ المسلم، فهو يرى ان الاستشراق قام بارتكاب خطأ تعريفي: وهو الادعاء أن تاريخ الحفّاظ تاريخ وسائل حفظ الشريعة (السنة) هو نهاية التاريخ الإسلامي، وبالتالي ان منهج الحديث هو المنهج الإسلامي الوحيد في اقتناء كل المعارف، يعارض العروي هذا الرأي برأي آخر مفاده ان المؤرخين المسلمين قد ميزوا بين تاريخ الإسلام بوصفها شريعة وتاريخ المجتمعات الإسلامية[51]، ويستشهد العروي بنماذج من هؤلاء المؤرخين ممن كانت لهم أعمال تاريخية ذات طابع اجتماعي، مثل الجبرتي، والدينوري، والمسعودي، ومسكويه، والمقدسي، وابن خلدون[52].

كما يرى العروي ان الاستشراق اتبع منهجين متعارضين في دراسة التاريخ الإسلامي: الأول يروم تجاوز منهج الحديث في دراسة الحديث، إلا ان هذا المنهج خاضع لضوابط وضعها حفّاظ الحديث، وتجاوز هذا المنهج يجعل رأى المستشرقين لا وزن له عند الحفاظ، أما المنهج الثاني فانه مبني على دلائل الأشياء، (شهادة الشواهد)، ولكنه متطور لا يستقر على حال بحسب تعدد وتجدد المسالك المؤدية إلى استنطاق الأشياء، وهذا المنهج لم يتقنه احد لا من قبل المؤرخين المسلمين ولا من قبل المستشرقين، لأنّه من أصله قابل للإعمام داخل المجتمع الاسلامي وخارجه، كما ان هذا المنهج لا يمكن ان يحل محل منهج الحديث لدراسة الحديث لانه يجعل ضمنيا من الحديث مادة ادبية[53]. ومن الأمثلة التطبيقية على انتقاد مناهج المستشرقين عند العروي هو انتقاده الموضوع نفسه الذي انتقده عبد العظيم الديب لأسلوب جولدتسيهر في التعامل مع الحديث، إلا ان العروي يعرض اسلوب الأخير على الشروط التي وضعها المحدّثون، وتبين ان جولدتسيهر لم يكن ملتزما

بتلك الشروط، وعدم الالتزام هذا يرفضه مبدأ الحديث، ولا يكفي ان يظنّ جولدتسيهر انه في حِلٍّ من هذا المنهج- الذي تقيد به المحدثون المسلمون والتزم به المؤرخون- وان طريقته النقدية اشمل وأدق من مسطرة الجرح والتعديل[54].

كما يطرح هشام جعيط نماذج من اشهر المستشرقين الذين تركوا اثرا مهما في مسيرة الاستشراق على نحو الفكر والمنهج التاريخيين، ليظهر من خلالها صورة اكثر وضوحا عن حقيقة المنهج الاستشراقي في دراسة الاسلام، فجعيط يرى ان المستشرق رينان(55) ـ وهو مؤرخ ايديولوجي ـ وضع الاسلام في ضمن الفترة التاريخية التي تعد منحطة لا تستحق ان نوجه لها العناية نفسها الموجهة الى البقايا النبيلة لعبقرية اليونان والهند القديمة وفلسطين واليهودية، والاسلام والبابوية على حد سواء يشكلان نفيا لتفتح الذكاء وضربة موجهة للعقل أي: إنّهما اذى تاريخي، هذه الفكرة الشاملة حول تبخيس التاريخ الاسلامي لم تمنع جعيط من البحث عن ايجابيات في ما يحمله منهج رينان حول التاريخ الاسلامي، لأنّ رينان عدّ هذا التاريخ جزءً من تراث الانسان، كما انه ـ بنظر جعيط ـ مفكر ومؤرخ ادرك ما قدمته الأديان للانسان من اجل السيطرة على سيئاته[56]، وعلى الرغم من اظهار جعيط لقسم من اراء رينان التي تعطي اهمية لأثر الدين في تاريخ الانسان، الا ان بعض افكاره تؤسس لمنهج خطير في اطار تفسير التاريخ على وفق رؤية انسانية بحتة تعجل الدين عائقاً أمام مسيرة الانسان التاريخية.

كما اوضح جعيط اهم افكار رينان حول العلم والفلسفة في الاسلام، التي يذهب فيها الى ان المؤرخين لم يضعوهما في مكانهما الصحيح في التاريخ الاسلامي، فالمركز العلمي في الاسلام كان يمثله مجتمع غير اسلامي (حرانيين، نسطوريين)، والفلسفة ممثلة بعناصر غير مسلمة، وهي جسم غريب في الثقافة الاسلامية، فالعلم والفلسفة عرفت في الاسلام ايام الدولة العباسية التي انفتحت على الحضارات المجاورة، مما يعني انهما مستوردان من خارج الثقافة الاسلامية والعربية. وقد عدّ جعيط ان وجود الفرق والنحل والطوائف ربما هي التي اوحت الى هذا المستشرق بفكرة التاثير الثقافي في الواقع الاسلامي، ولكن هذا الوضع المتمزق هو اكثر تمثيلية للواقع الاسلامي، لانه ولد من حاجة داخلية مستوعبة في داخلها كل تكاملات الديانة والثقافة الحيتين، وهذا الواقع مغاير لحال الفلسفة على الاطلاق[57]. لقد تبين لجعيط انّ رؤية رينان التاريخية ما هي الا محاولة لتجريد العرب والمسلمين من المعرفة، وان ما حصل عليه المسلمون من ثورة علمية هي مجرد استعارات وتقليد لامم اخرى، وهذه الرؤية ليست غريبة عن منهج الاستشراق عموما في بحثه للواقع الاسلامي والعربي، الا ان جعيط يرى ان لتلك الفكرة اوليات في رؤية فولتير التاريخية، وهي رؤية جامدة وتبسيطية للتاريخ، فالاسلام دين أثّر في اعماق حياة الناس، ومن الخطأ القول أنّ أناساً ليسوا مسلمين قد أسّسوا الفلسفة[58].

كما اشار جعيط الى عملية الاستلاب التي مارسها الاستشراق بحق العلم والمعرفة الاسلامية، في حكم الاستشراق على مسيرة التاريخ الاسلامي على انها انعكاس شاحب لتاريخ الغرب، ومن الامثلة على ذلك ان منهج الاستشراق لا يكف عن اسلوب المقارنة المجحف بحق اكبر رموز

الاسلام وهو النبي (صل الله عليه وسلم)، فالمقارنة بين النبي (ﷺ) والمسيح (عليه السلام) تفرز انواعاً من التسقيط لسيرته العطرة، فاذا كان محمد (ﷺ) غير صادق فذلك لأن المسيح (عليه السلام) كان صادقاً، واذا كان متعدد الزوجات وشهوانياً، فلأنّ المسيح (عليه السلام) كان عفيفاً، وإذا كان محمداً (صل الله عليه وسلم)، محارباً وسياسياً فذلك استناداً إلى يسوع مسالم، مغلوب ومعذب، وهذا يؤدي الى الحكم على عدم مصداقية نتاج الاستشراق الذي يطرح نفسه ناطقا باسم الغرب[59]. وتعرض جعيط الى قلق الغرب من عدم قدرته على قهر ما في الشرق من غيرية، وهذه الحالة متمكنة في نفس المؤرخ الغربي والمستشرق في اللاوعي الغربي، وقد نتج عن ذلك تفسير خاطئ للمصادر الاسلامية وقراءة مشوهه لتاريخ الاسلام، كما نجده عند لامنس ودوزي[60]. فضلاً عن انّ التفسير المادي والعنصري كانا حاضرين في احكام مجموعة من المستشرقين البارزين حول تاريخ الاسلام، فالتفسير المادي كان وراء الاقصاء والاسقاط المتعمدين للجانب العقائدي والبعد الروحي في التاريخ الاسلامي، مما يؤدي الى تهوين مدّة الاسلام الذهبية، وكانها لا تعني شيئا في اطوار التاريخ البشري[61]. اما التفسير العنصري الذي جسدته اوروبا بمفهوم الجنس الاري واليهود بمفهوم شعب الله المختار، فهو الذي قاد اروبا الى تبني منهج تفسير تاريخ العالم في جو من الاحساس بالأفضلية على شعوب العالم جميعاً على وفق أسطورة تشير الى تفوق بعض الاجناس على اجناس اخرى، وقد ادى هذا الى استعمار شعوب العالم من قبل الشعوب المتفوقة، والوصاية عليها لانها منحطة ومجبولة على النقص[62]. ونتيجة لذلك يقود التفسير العنصري للتاريخ الى ترسيخ مفهوم التفاوت بين الشعوب، باعتباره عاملاً مُلحاً في صناعة التاريخ، فالاجناس النبيلة هي وحدها قادرة على إحراز التقدم، مقابل ذلك تظلّ الاجناس الرديئة قابعة في مكانها عاجزة عن صناعة التاريخ، ونلاحظ ان المستشرق رينان قد لعب دور المنظّر البارز لهذا التفسير، ليؤسس استراتيجية معينة لدراسات استشراقية اتت من بعده، كما يدعم هذا التفسير نزعة اليهود التي غذته بمقولات مزعومة كالانتصار الحتمي لتاريخ اليهود، ونقاء عرقهم، واهمية تقاليدهم وقيمهم على مرور التاريخ[63]. وهناك محاولات للمستشرقين في البحث عن جذور العنصرية في تاريخ الاسلام، لاثبات ان الاسلام هو الاخر يقر العنصرية ويصنعها، نجد ذلك في حديث الاستشراق عن طبقة النبلاء التي تكونت من العرب اصحاب الامتيازات الخاصة، فتكونت بذلك طبقة ارستقراطية، اكد وجودها رودنسن في تحديد فئة من المتحدرين من سلالة النبي (ﷺ)، ومن سلالة أصحابه، الذين نالوا امتيازات ومنحاً، وإجلالاً كبيراً(64)، ومن الواضح ان اقحام فكرة الارستقراطية في الاسلام تعارض مباشرة المفاهيم الاسلامية حول المساواة والعدالة بين الناس، اما مسألة سلالة النبي (ﷺ) فإنّ المسلمين على علم بامتيازاتهم وهي مبتنية على مقدار تمثيلهم للقيم والاخلاق الاسلامية في سيرتهم، والتي شخص من خلالها المسلمون نفرا منهم وليس جميعهم والا فإن هناك نفراً متحدرين من سلالة النبي (ﷺ) لا ينالون تقديراً وإجلالاً مميزاً يدعو الى اعتبارهم طبقة ارستقراطية فهم ناس اعتياديون فيهم الغني والفقير والجاهل والعالم، والناس تقدرهم لقرابتهم من الرسول (ﷺ)، والمميزون فقط هم الائمة المعصومون :؛ لأنّهم حملة القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة، وهم

امتداد لسيرة الرسول(ص) وهذا بحد ذاته يستحق التمييز لهم وإعلاء شأنهم ومكانتهم لأنها إعلاء لكلمة الله في الارض، وفي حال انتفاء تلك الروابط والمبررات فان المسلمين لا يرون لاي احد قرابة مع الله تعالى ولا ينال أي مخلوق منزلة شريفة من دون ان يكون له عملا مقبولا عند الله تعالى، اما ما حدث في بعض مراحل التاريخ الاسلامي، على يد الاسر والعائلات التي كان لها سلطة وحكم فان ذلك لا يدعو الى اقرار الاسلام المحمدي به، فالارستقراطية الاموية والعباسية هما صناعة تاريخ سياسي بحت يتمحور حول القوة والسلطة، وما كان الدين الاسلامي إلا أحد ضحاياه.

إن العديد من الكتاب العرب والمسلمين ممن يمكن ان نحسبهم في ضمن اطار الدراسات الاكاديمية لم يغب عن ذهنهم محاولة ضم تاريخ العالم ـ بما فيه تاريخ الشرق والاسلام ـ إلى التاريخ الغربي والتي تهدف الى هزيمة الغرب للشرق في المعركة العالمية للهيمنة التاريخية(65). وهو ما نجده في تأكيدات هذا الاتجاه حول طريقة تعامل المناهج الغربية مع تاريخ العالم، والتي تكشف عن نظرة استعلائية، واحساس بالمركزية الغربية، بعد ان وجدت اوربا نفسها وحيدة من دون منافس في مضمار العلوم عامة والدراسات التاريخية خاصة. وفي هذا الاطار الفكري يرى ادوارد سعيد ان الاستشراق بنى معظم تحليلاته وتفسيراته لتاريخ الشرق والاسلام، وبذلك كان عونا للامبريالية والعنصرية الغربية في صناعة تاريخ الشرق، وهو ما ادى الى اخفاق الاستشراق في الافلات من الاطر المهيمنة التي ارساها اوائل المؤرخين في اوروبا ابان العصور المظلمة(66)، وبقيت تلك الافرازات قابعة في اللاوعي عند المستشرقين، فلم يتمكنوا من انصاف التاريخ الاسلامي، بل كانت مناهجهم لا تنسجم مع روح الاسلام المبتنية على اسس آمن بها معتنقوه اهمها سيرة الرسول (ﷺ) العطرة، ومصداقيته في التبليغ عن وحي السماء والقرآن الكريم الذي هو ليس من صنع البشر.

من الواضح ان الاتجاهين المشار اليهما يشتركان في رفض أي تفسير لتاريخ الأمة الإسلامية يفضي إلى إقصاء البعد الديني عن أدواته التحليلية، مؤكدين أن مثل هذا التفسير يكون محكوما عليه بالقصور الفاحش والفشل الذريع، لأنه لا يستند إلى النص الإسلامي الذي يمثل أقوى العوامل الحاسمة في صياغة تاريخ الاسلام واسهاماته، مع الفرق في طريقة المعالجة بين الاتجاهين، فإنّ الكتاب العرب الذين يمكن ان نحسبهم من الاتجاه الثاني وهم منضوون تحت العلم الاكاديمي لم يبدءوا عملية نقد منهج الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي الا بعد ان كانت لهم عودة الى قراءة التراث الاسلامي على نحو جديد كمحمد عابد الجابري، وعبدالله العروي، وهشام جعيط، وغيرهم.

الخاتمة :

وجدت دراسات الاستشراق الكثير من النقد من قبل المؤرخين العرب والمسليمن ، كما أنها وجدت إهتماماً ملحوظاً منهم في الفترة الأخيرة ، وفتحت العديد من الأقسام في العديد من الجامعات لدراسة الاستشراق ومنتوجه العلمي والفكري ، كما عقدت المؤتمرات والورش والندوات لمناقشة هذا الأمر ، وذلك أن دل فانما يدل على إهتمام العرب والمسليمن بالاستشراق نشأته وتطوره ورواده .

النتائج :

خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي منها:

- اهتمام الدراسات العربية الإسلامية بنقد مناهج المستشرقين.
- يرى الكتاب المسلمون أن هناك تحامل واضح من قبل المستشرقين تجاه الاسلام وذلك من خلال كتاباتهم عنه.

التوصيات:

من توصيات الدراسة:

- يجب الاهتمام بدراسة الاستشراق بصورة اكبر وعمل المؤتمرات والورش والندوات من أجل ذلك.

الهوامش:

(1) كان كتاب (محمد) (ص) للمستشرق الفرنسي مكسيم رودنسن يُدرس في الجامعة الامريكية في القاهرة لأبناء المسلمين وبناتهم، وهو كتاب فيه كثير من المساس بشخصية الرسول (ﷺ)، وقد شهد على ذلك ست وأربعون من خريجي الجامعة الامريكية، من خلال شكوى تقدموا بها الى عميد كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مطالبين اياه باتخاذ موقف لتصحيح الوضع، وقد تم اتخاذ قرار بسحب الكتاب، بعد ان تم التيقن بصحة ما نشر عنه. ابو ليلة، محمد محمد، محمد(ﷺ) بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودنسن، ط1، دار النشر للجامعات، 1999، ص5.

(2) ابن عبود، محمد، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ط1، (المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1985)، ج1، ص344 345-.

(3) المصدر نفسه، ص346.

(4) المصدر نفسه، ص348.

(5) المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية، (ادارة الثقافة، 1985)، ج2، ص140.

(6) ماضي، محمد، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط1، (دار الدعوة، الإسكندرية، 1996)، ص34.

(7) زقزوق، محمود حمدي، الاسلام في تصورات الغرب، ط1، (مكتبة وهبة، مصر، 1987)، ص14.

(8) اجناتس جولدتسيهر Ignaz Goldziher (1267-1339هـ/1850-1921م): مستشرق نمساوي من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير، درس في بودابست، ثم ذهب إلى برلين سنة 1869 وبقي بها سنة ثم ذهب إلى ليبتسك، ليتتلمذ على يد فليشر، وعاد إلى بودابست ليعين مدرسا مساعدا في جامعتها، ثم يصبح استاذا للغات السامية سنة 1894، من مؤلفاته: الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم، ومحاضرات في الإسلام، واتجاهات تسير القرآن عند المسلمين. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط3، (دار العلم للملايين، بيروت، 1993)، ص197-198-200.

(9) وكيع بن الجراد بن مليح الرؤاسي أبو سفيان: حافظ للحديث، كان محدث العراق في عصره، ولد في الكوفة سنة (129هـ) له كتب منها: تفسير القرآن، والسنن، والمعرفة والتاريخ، أحصى له البلخي هنات منها: انه وهم في (سوار بن داود) فسماه داود بن سوار، وان أبا نعيم قال خالفني وكيع في حديث سفيان في نحو من عشرين فرجع في عامتها إلى حفظي، توفي بـ(فيد) وهو راجعا من الحج سنة (197هـ(، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط3، (دار الكتاب العربي، بيروت، 2001)، وفيات -191 200.

(10) البكائي. أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسي بن صعصعة، ثم من بني بكاء، روي سيرة الرسول (ﷺ) عن محمد ابن إسحاق، ورواها عنه عبد الملك بن هشام الذي رتبها ونسبت إليه، وكانت وفاته بالكوفة سنة (283هـ(، ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1994)، ج2، ص283.

(11) الديب، عبد العظيم، المستشرقون والتراث، ط3، (دار الوفاء، المنصورة، 1992)، ص28.

(12) الديب، المصدر نفسه، ص33-34.

(13) حسن، محمد خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ط1، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997)، ص21.

(14) التوبة / 29.

(15) كوهين، مارك.ر، بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة إسلام ديه – معز خلفاوي، ط1، (الجمل، بغداد، 2007)، ص154.

(16) حسن، آثار الفكر الاستشراقي، ص23.

(17) الديب، المستشرقون والتراث، ص17.

(18) الديب، المستشرقون والتراث، ص19.

(19) ابن عبود، منهجية الاستشراق، ج1، ص354.

(20) أبو خليل، شوقي، كارل بروكلمان في الميزان، ط1، (دار الفكر المعاصر، بيروت، 1987)، ص8.

(21) النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات– بروكلمان– فلهوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط1، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د. م، 1997)، ص34.

(22) المصدر السابق، ص35.

(23) هنري لامانس (1279 Henri.Lammens-1356هـ/1862-1937م): مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي، ولد في بلجيكا وجاء الى بيروت منذ صباه، وتعلم في الكلية اليسوعية في بيروت، ثم صار معلما فيها سنة (1304هـ/1886م)، ثم صار معلما للتاريخ والجغرافية في كلية اليسوعيين، وأدار مجلة المشرق بعد وفاة لويس شيخو، له مؤلفات كثيرة اغلبها تركز على السيرة النبوية الشريفة منها : مهد الإسلام، ومكة عشية الهجرة، ومدينة الطائف العربية عشية الهجرة، وغيرها. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص503.

(24) بدوي، المرجع نفسه، ص504.

(25) غوستاف فايل gustav.weil: مستشرق الماني، يهودي الديانة، ولد عام 1808، تعلم العبرية والفرنسية، دخل الى مدرسة تلمودية، في فرنسا، ثم عاد الى المانية ليدرس اللاهوت، ثم تركه ليهتم بالتاريخ والفيلولوجيا، كما درس مبادئ اللغة العربية، واكمل دراساته الشرقية في باريس، سافر الى الجزائر ثم الى القاهرة ليعمل في التدريس، ثم سافر الى استنبول، وعاد الى المانيا استاذا مساعدا في جامعة هيدلبرغ، توفي 1889، من اثاره: ترجمة المانية لكتاب اطواق الذهب، للزمخشري، والادب الشعري عند العرب، وترجمة الف ليلة وليلة، وغيرها. بدوي، المرجع نفسه، ص390.

(26) المرجع نفسه، ص390-391.

(27) النعيم، المصدر السابق، ص38.

(28) الهاشمي، حسن علي حسن، قراءة نقدية في (تاريخ القرآن) للمستشرق ثيودور نولدكه، ط1، (مركز الهدى للدراسات الحوزوية، قم، 2013)، ص195.

(29) النعيم، المصدر السابق، ص39.

(30) المصدر نفسه، ص49.

(31) الأمير كايتاني (1286 Gaetani Leone-1345هـ/1869-1926م): ولد في روما، وتعلم في جامعاتها، وتقلد سفارة ايطاليا في واشنطن، كان من الأثرياء، وقد انفق جزء كبير من ثروته على العلم. تعلم سبع لغات منها: الفارسية والعربية، من آثاره: انتشار الإسلام وتطور الحضارة، ودراسة التاريخ الشرقي، وتاريخ البحر الأبيض المتوسط والشرق الإسلامي. العقيقي، نجيب، المستشرقون موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ الف عام حتى اليوم، ط3، (دار المعارف، مصر، 1964)، ج1، ص372-373.

(32) (32) النعيم، المصدر نفسه، ص48.

(33) المصدر السابق، ص40-41-42-43.

(34) هادي، علي السيد، مناهج الكتابة في السيرة النبوية، بحث ضمن كتاب المنهاج سلسلة (11)، ط3، (مركز الغدير، بيروت، 2011)، ص180.

(35) علي، جواد، تاريخ العرب في الإسلام السيرة النبوية، ط1، (منشورات الجمل، بيروت، 2009)، ص18.

(36) زقزوق، الاسلام في تصورات الغرب، ص5.

(37) كوثراني، وجيه، المنهج الاستشراقي في البحث التاريخي، مجلة المعهد، العدد 1، السنة 1، ص87.

(38) العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، ط4، (المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005)، ج1: الالفاظ والمذاهب، ص34.

(39) (39) نجدي، نديم قاسم، اثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر ادوارد سعيد – حسن حنفي – عبد الله العروي، ط1،(دار الفارابي، بيروت، 2005)، ص132.

(40) آركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة هشام صالح، ط1، (دار الساقي، دمشق، 1999)، ص19-20.

(41) الملا جاسم، ناصر محمد عبد الرزاق، المؤرخ صالح احمد العلي رحلة التأسيس لمنهج أكاديمي لدراسة التاريخ العربي، ط1، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010)، ص146-147.

(42) كوثراني، المنهج الاستشراقي، ص100-101.

(43) (43) ان أكثر ما أثار حفيظة بعض المستشرقين ضد سعيد، يعود إلى إتباعه الطرق نفسها التي كان المستشرقون قد تدعّموا بها عبر مناهج ارتدت على أصحابها، بعد ما استقى منها محصلات تتعارض كلياً مع استنتاجاتهم عن الشرق، فهو قام بنقد الاستشراق من المنابع نفسها التي أمدت المستشرقين بأدواتهم المعرفية، فهو لم يرفض الاستشراق من بعيد، بل عن قرب، بعدما دخل الى بيوتاته المعرفية متفحصا الآليات البنيوية في ميادين حقل الاستشراق. نجدي، نديم قاسم، اثر الاستشراق، ص84-85.

(44) سعيد، ادوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة: صبحي حديدي، ط1، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996)، ص109.

(45) سعيد، المصدر السابق، ص90.

(46) الجابـري، محمـد عابـد، نحـن والـتراث قـراءة معـاصرة في تراثنـا الفلسـفي، ط1،(دار الطليعـة، بـيروت، 1980)، ص10.

(47) مؤنس، التاريخ والمؤرخون، ص77.

(48) المصدر نفسه، ص78.

(49) المصدر نفسه، ص78.

(50) العروي، مفهوم التاريخ، ج1، ص217.

(51) المصدر نفسه، ص221.

(52) المصدر نفسه، ص221.

(53) المصدر نفسه، ص220-221.

(54) العروي، المصدر السابق، ص218.

(55) ارنسـت رينـا 1823) 1892-ernest renan)، مسـتشرق فرنسـي، عنـي خصوصـا بتاريـخ فرنسـا وتاريخ شـعب اسرائيـل، اتقـن العبريـة، ولم يتقـن العربيـة، لان اسـتاذه لم يكـن ضليعـا بالعربيـة عـلى حـد قولـه، مـن اعمالـه كتـاب (تاريـخ اللغـات السـامية، 1855)، مـع قلـة معرفتـه باللغـة العربيـة كانـت لـه اهتمامـات بالثقافـة العربيـة، والموضوعـات الاسـلامية، وقـدم في ذلـك مقـالات منهـا: مقامـات الحريـري 1853، واسـلامية اسـبانيا 1853، وابـن بطوطـة 1853، والشـهانامة 1877. بـدوي، موسـوعة المسـتشرقين، ص311-313.

(56) جعيط، هشام، اوربا والاسلام صدام الثقافة والحداثة، ط3، (دار الطليعة، بيروت، 2007)، ص33-34.

(57) جعيط، اوربا والاسلام، ص35.

(58) المصدر نفسه، ص37.

(59) المصدر نفسه، ص 40.

(60) المصدر نفسه، ص 42-43.

(61) بخـوش، عبـد القـادر، مناهـج الاسـتشراق المعـاصر في الدراسـات الاسـلامية، ط1، (دارالضيـاء، الكويت، 2014)، ص311.

(62) بخوش، المصدر السابق، ص314.

(63) المصدر نفسه، ص315-316.

(64) المصدر نفسه، ص316.

(65) الدعمـي، محمـد، الاسـتشراق الاسـتجابة الغربيـة للتاريـخ العـربي الاسـلامي، ط1، (مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت، 2006)، ص182.

(66) الدعمي، الاستشراق، ص84.

العائلات الملكية المقرية في دنقلا من خلال الروايات الشفهية (عائلة كشكش أنموذجا)

د. عــوض شــبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان

المستخلص:

هـذه الدراسـة تلقـى الضـؤ عـلى بقايـا وفـروع العائـلات الملكيـة المقريـة الموجـودة في منطقـة دنقـلا العجـوز مـكان عاصمـة مملكـة المقـرة مـن خـلال الروايـات الشـفهية المتداولـة في المنطقـة بإتخـاذ عائلـة كشـكش أنمـوذج للعائـلات الملكيـة التـى تزعـم أنهـا مـن السـلالة التـى حكمـت مملكـة المقـرة ، واعتمـدت الدراسـة عـلى المنهـج التاريخـي التحليـلي وخلصـت إلى أن هنـاك أن بعـض بقايـا السـلالات الملكيـة المقريـة مازالـت موجـودة في المنطقـة وإن عائلـة كشـكش مـن العائـلات التـي تنتسـب إلى السـلالة الملكيـة المقريـة وامتـداد لهـا وفـق معظـم الروايـات الشـفهية التـى تدعمهـا بعـض الشـواهد التاريخيـة.

الكلمات المفتاحية: العائلات الملكية ، مملكة المقرة، دنقلا ، الروايات الشفهية.

The headquarters of royal families in Dongola through oral narrations
(Koshkosh family as a model)

Dr. Awaid Shaba

Abstract:

This study sheds light on the remnants and branches of the royal families of Makuria located in the old Dongola region, the place of the capital of the Kingdom of Makuria, through the oral narrations circulating in the region, by taking the Kishsh family as a model for the royal families that claim to be from the dynasty that ruled the Kingdom of Makuria. The study relied on the historical-analytical method and concluded: That there are some remnants of the Makurian royal dynasties are still present in the region, and that the Kishkash family is one of the families that belong to the Makurian royal dynasty and an extension of it, according to most of the oral accounts that are supported by some historical evidence.

المقدمة:

تعتبر هذه الدراسة إمتداد لدارستين سابقتين عن السلالة الملكية المقرية التى حكمت من مدينة دنقلا عاصمة المملكة في فترة تقديرية تقارب الألف عام من الزمان(500م1500-م) تناولت الأولي أصول الأسرة الملكية بعنوان:» الأصل الاكسومي الحميري للأسرة الملكية في مملكة المقرة (دراسة تحليلية)، أما الثانية قدمت ملامح لآخر الحلقات لمظاهر الحكم والإدارة في مملكة المقرة،بعنوان :» إمارة كنكلاب (من آخر مظاهر الحكم في مملكة المقرة)، وهذه الدراسة- كما وضحت- تحاول أن تكمل جوانب هذا الموضوع بتناول العائلات التي تزعم أنها تنتسب إلى السلالات الملكية المقرية ومازالت متواجدة في دنقلا العجوز.

1. إن هذه الدراسة تحاول الإجابة على عدد من الأسئلة ظلت تتردد على لسان الباحثين والأكاديميين ،منها : أين ذهب ملوك مملكة المقرة؟ وهل مازالوا متواجدون في مكان عاصمة مملكتهم ام هاجروا من المنطقة؟ وما هي مناطق إنتشارهم الجغرافي إن وجدوا ؟ .والاجابة عليها إقتضت منا إستنطاق ما حفظ في صدور سكان مدينة دنقلا العجوز مكان عاصمة مملكة وما تواتر من روايات حول هذا الموضوع بسؤال عدد من العارفين بالتاريخ لتكون المادة المصدرية الأساسية لهذه الدراسة، ولا نحتاج لإعادة الحديث حول أهمية الرواية الشفهية في الدراسات التاريخية فقد أسلفنا القول في مقدمة عدد من الدراسات والبحوث السابقة[1].

تقوم خطة هذه الدراسة على جمع المعلومات الشفهية عن موضوع ذراري وبقايا ملوك دنقلا ومن ينتسبون إليهم بالتركيز على منطقة دنقلا العجوز كنطاق جغرافي أساسي،ثم تحليل هذه الروايات الشفهية باستخدام المنهج التاريخي التحليلي للوصول إلي نتائج علمية علها تمكننا من الإجابة على أسئلة الدراسة.

الروايات:

الرواية الأولى : « الملك عبد الله برشمبو مدفون في جزيرة تمبس و المقبرة مشهورة وهي مقبرة إسلامية ومكان المقبرة في الجهة الشرقية للجزيرة والمنطقة التي بها المقبرة معروفة بأسم برشمبو ويقال أن الملك برشمبو جاء إلى هذه الجزيرة متخفيآ وهذه المنطقة هي الحدود الشمالية للمملكة وسبب مجيئه وتخفيه أن شعبه المسيحي علم بأمر إسلامه وخاف على نفسه. وأضاف أخوه رضوان بأن بالموقع المذكور كان هناك آثار مسجد قديم بمحرابه «[2].

الرواية الثانية : ليس هناك معلومات مؤكدة عن وجود سلالة لحكام وملوك دنقلا ،ولكن هناك عائلتان جرى اسمهما على لسان في المنطقة ربما يكونوا هم من الملوك ، الأولى :أولاد الملك سكان حلة الخضرة في القدار وحلتهم كانت معروفة بحلة الدراويش ولكن اشتهرت اخيرآ بأسم حلة الخضرة ،و الثانية : آل نقد شهاوة و يعتبروا أنفسهم هم بقية ملوك دنقلا العجوز ولهم علاقة بأسرة الكشكشاب ، وهناك قبتان في حلة دنقلا العجوز كما ذكر لي والدي إحداهما للملك ناصر والثانية للملك موسى حسين شرق جبانة فكى عوض وربما كان البيتين من أسرة أولاد الملك وأسرة آل نقد من ذرياتهما»[3].

الرواية الثالثة :»نحن أحفاد الملوك القدام بوالدتنا وأبونا والدتنا إسمها آمنة شيخ محمد جوملا وهي حفيدة شيخ عووضة القارح من الجيل السابع من تالا (جهة) أمها وجدها من تالا أبوها من الغرب قصدي غرب البحر (النيل) ، وأبي من حلة دنقلا القديمة، وجدي ساتي مقو مدفون في بنية جنب قبة شيخ عووضة القارح وأهل أبي يعرفون بأولاد الملك ،وأهل أمي يعرفون بالدراويش وهم أحفاد شيخ عووضة القارح ومكان صلاتهم ومدفنهم واعيادهم هناك وفي منطقتنا القدار لا يوجد ملوك بلانا (غيرنا) وأسرة الزبير حمد الملك في الشمال «[4].

الرواية الرابعة :»آخر ملوك المقرة هو الملك كورشمبو ومن سلالة الملك كوش والمشهور بكشكش (بضم الكافين)وكان له ولد وبنت ،وحيث كان يرثون الملك والحكم لولد البنت وليس الولد فتوارث الحكم والقضاء أسرة القاضي وكان جدنا ساتي محمد القاضي قاضيا في آواخر فترة تركية وبداية فترة المهدية ،ووالدة جدنا ساتي محمد هي بنت سوار الدهب وأما والده من ملوك النوبة ،والبيت الثاني هم سلالة ابن الملك كشكش ومعروفة بآل كشكش» [5].

الرواية الخامسة :»حكى لي علي حسين أسد علي أن الملك حمد أور (ملك) كنكلاب أثناء زياراته رأى تبول لفتاة من سراريه على أرض صلبة فعاشرها على أمل أن تأتي له بفارس أنجب

منها عب جي وهو لقبه وحمد قيلي هو جد أسرة شانقي (محمد درار حمد محمد قبلي) وذكر لي الشيخ حسن احمد حامد أن أسرة جوي (جونجي) أن أصولهم من ملوك دفار وأكد لي المعلومة الشيخ حسن هارون سنة 1970م بمقاصر حيث أقام منهم جزء في جزيرة الرحمن والأخر في جزيرة مقاصر « [6].

الرواية السادسة :»سمعنا أن حمدتود توني وهم ناس اورباب حمد وهم عيلة كبيرة وقالوا الناس الاساسين الفي البلد وهم الأساس، وناس كشكش من الناس القدام وحكام المنطقة ولكن من حمور ،أما ناس الملك وهم رحالة ،ومن الناس القدام والحكام الشلاب (الشلنجي) « [7].

الرواية السابعة :»النزوح من دنقلا العجوز كتير إلى سودري وبارا وشمال كردفان وعمنا عطاية جاد الرب أتوفي قبل كم سنة وعمرو كان أكتر من مئة سنة قال محل ما مشيت في شمال كردفان بيقولوا نحن دناقلة زي ما حاصل اليوم تلقى معظم سكان دنقلا في كوستي والخرطوم مثلا جدي محمد درار بدناب الملقب بكاملوا وهو من قواد المهدي وكان بيكمل صف العدو وايضا القائد في المهدية سعيد أبو قرينات وهو سعيد بشير درار ود أخت محمد. نحنا البادناب من أحفاد الملوك ونحن ملوك الدفار وجدنا محمد حسين عسق محمد دهمش وكان معروف باسم محمد حسين دفار حتى أنا كنت قايل دفار اسم جدنا وكتار من في القدار والمقاودة بيقولوا نحنا عساسق ملوك دنقلا لأن معظم البقوا هنا هم أحفاد الملوك زي أسرة آل جوري وأحفاد علي داقوج (داقوج) أي كثير اللوم ولكن معظم السكان الحالين وافدين وأمهاتهم من المنطقة»[8].

الرواية الثامنة :»أصلا جدنا الملك كشكش وكشكش لقب ولكن الاسم محمد حسن محمد أمي بديرية دهمشية وجدي لأمي محمد عبد الرحمن محمد حمد جاء من البرصة ولنا صلة قرابة مع الواوري في القولد ونحن أحفاد حمد (حمدتود توني) وجذور أهل ابوي برضو في الغابة الساقية 6غرب دنقلا بين الملوك وأنا شفت مشهد بعيني سنة 1988م مبني عالي به فتحات ودوائر اضرب العدو ولكن انهدم في فيضان 1988م وأهل في أرقي ناس عن شاوول وفي الكرو مركز مروي. فأصلا جدي الملك حسن كشكش عندو في دنقلا العجوز والأسرة كبيرة وموزعين في المنطقة ولكن أساس المنطقة نحنا وعندنا ساقية من الجدول الحر معروفة بساقيةالملوك ونحن أحفاد ملوك دنقلا العجوز معروفين بالملوك واخو جدي حمد اسموا زبير وما عندهم علاقة بملوك كنكلاب وناس حمد اور هم ناس ساتي فضل الله ولكن عندكم علاقة بالدواقيج وكيل أصلا ملك ناصري وهم جماعة الملك الناصر « [9].

تحليل الروايات:

كنت قد جمعت مادة كبيرة من الروايات الشفهية عن العائلات الملكية المقرية في دنقلا على مدى سنين طويلة غطت عدد كبير من العائلات ولكن ضاعت منى هذه المادة عند إنتقال اسرتى لمدينة دنقلا (العرضي) وخشيت أن تضيع باقي المادة التى وجدتها بالصدفة محفوظة في كراسة لذا حاولت أن أحصر هذه الدراسة على عائلة واحدة اعتمادا على ما وجدته من روايات.

إن الملاحظة الرئيسة في معظم هذه الروايات وتلك التى فقدت أن هناك شبه إجماع بأن عائلة كشكش(بضم الكافين) من آخر العائلات الملكية التى حكمت من دنقلا ، مما يستدعى منا تناول ماوجد مدونا عن هذه العائلة. ورد اسم هذه الأسرة في كتاب طبقات ود ضيف الله ويعتبر من اقدم وأهم المصادر السودانية في معرض حديثه عن الشيخ محمد بن عيسى سوار الدهب الذى تزوج بنت ملك دنقلا حسن كشكش وأنجب منها إبنه حلالي [10].تردد اسم الملك حسن كشكش في عدد من المدونات التاريخية السودانية الحديثة نسبيا وغالب الظن أنها مستقأة من كتاب طبقات ود ضيف. وفي دراسة تاريخية مقارنة لأحداث تلك الفترة ومزامنتها لوجود الشيخ عووضة شكال الذى دعم الشيخ حلالي ابن بنت الملك حسن كشكش ليحل مكان ابوه الشيخ محمد بن عيسى سوار الدهب كشيخ في دنقلا، يرجح أن فترة حكم حسن كشكش ترجع إلي مابين عامي(1550-1650م)[11]، ويبدو أن هذا التاريخ معقول إذا قارناه بفترة تواجد الشيخ غلام الله بن عايد في دنقلا وخلافه المشهور مع الشيخ محمد بن عيسى سوار الدهب فى التاريخ الذي رجحته بمنتصف القرن السادس عشر للميلاد[12]. وفي وثيقة تاريخية-لم إطلع عليها بعد - عثرت عليها البولندية أثناء تنقيبها في مدينة دنقلا وهي بحوزتها، والوثيقة عبارة خطاب صادر من الملك حسن كشكش فيه توجيه ببناء منزل للشيخ محمد بن عيسى سوار الدهب [13]، وهناك وثيقة آخرى كتابية صادرة من الملك قشقش فيها بعض التوجيهات المالية(أنظر: صورة الوثيقة)[14].

وثيقة رقم:1

وقد قام ابراهيم كشكش بدراسة جيدة لهذه الوثيقة بحكم انتماءه لنفس الأسرة ومعرفته الكبيرة بها نوردها فيما يلي:» نص الخطاب(... من حضرة الملك قشقش إلى خضر بن احمد خذ من محمد العربي تلاتة اوديات وأعطيه لزوجته وولده وانت أقبض...)

خضر شمت المذكور عاش في الفترة ما بعد عام 1740م ،وهو غالبا المسؤول المالي الملك.

ومازال سكنهم وسواقيهم جوار آل كشكش. واسمه بالكامل

هو خضر شيخ احمد

جد أسرة آل خضر بمنطقة حمور.

سكنهم بالساقية 6 حمور قبل فيضان 1946م. وآل كشكش سكنهم بالساقية 6 حمور والآن ذرية الأسرتين الأخيرتين تسكن في بحري الجبل(جبل ستى عاشة) بحمور[15]" (

من الملاحظات أن هذه الوثيقة ترجع إلي عهد لاحق لفترة حكم الملك حسن كشكش، ومن الواضح أنه أحد أحفاده ،كما ان اسم هذا الملك يختلف قليلا في الكتابة حيث إستبدل حرف الكاف إلي حرف القاف، رغم أن الروايات الشفهية تنطقه كشكش، وهذا الاسم رغم شهرته في منطقة دنقلا ووجود أسماء أو القاب مشابهة مثل كشكوش إلي أن هناك إختلاف حول معناه ودلالاته حيث يرجع البعض أصل هذا الاسم إلي كوش.

من الأوفق هنا في تقديرنا أن نورد رواية عائلة كشكش حول أصلها ، وتسلسل ملوكها ؛وهي

أن آل كشكش من الأسر العريقة التي سكنت منطقة دنقلة القديمة بين دفتي النيل شرقا وغربا . ويروي كبار السن من الأسرة إنهم (ناصرية) وغالبا يقصدون انهم آل إليهم الحكم في عهد السلطان الناصر بن قلاوون الذي ارسل جيشا من مصر ومعه الأمير النوبي (نشلي) الذي تسمي بعبدالله او نقدالله برشمبو(وبرشنبو) تعني صاحب القرن والتاج باللغة النوبية. وأصبح عبدالله برشمبو اول ملك مسلم على دنقلة سنة 1317م.ومن الراجح ان آل كشكش يرجع أصولهم إلى هذا الملك المسلم.

وحكم الملك حسن كشكش في الفترة 1600م وما بعدها.

وخلفه إبنه الملك محمد

وخلفه ابنه عبدالله الذي زاره الطبيب الفرنسي (بونسيه)،وخلفه ابنه الملك محمد الثاني حكم بعد عام 1700م وآخر الملوك هو الملك (كشكش) الذي حكم بعد عام 1740م

وتزوج الملك محمد الثاني من رقية بنت حلالي ود سوار الدهب وأنجبت له ابناءه:

كشكش ونقد وساتي حمد وحسن:

وإليهم تنسب أسرة آل كشكش التي تتكون من 13 عائلة وهم اسرة:

- أحمد حمد كشكش
- اسماعيل حمد كشكش
- محمد حمد كشكش
- عثمان حمد كشكش
- عووضة حمد كشكش
- أحمد زبير كشكش
- عبدالرحيم زبير كشكش
- محمد حمد نقد
- حسين حمد نقد
- عبدالرحيم حمد نقد

- علي حمد نقد
- درار محمدالملك
- ملك محمدالملك

ويقول كبار السن ان من ابناء الملك محمد حسن كشكش(عبدالنبي) يعرفون (بالعبدنبنجي) وكذلك (خواجه)لان امه خواجية ويسكنون ناحية جزيرة تنقسي.

وتسكن أسرة آل كشكش الآن في منطقة حمور تنقسي والغابة والقدار وتصاهرت مع أسرة الحلالاب والزباداب وآل سالة بالحداحيد(تبد)، وغيرها من الأسرة في محيط منطقة دنقلة القديمة.وتاريخ منطقة دنقلة القديمة تاريخ متصل ومازالت بيوت آل كشكش معروفة لدينا في دنقلة وما حولها وبعضها عامر بأهله وبعضها مهجور. وكذلك مدافن وقبور آل كشكش معروفة في دنقلة.وغالبا أسرة آل كشكش هي إمتداد للأسرة النوبية الملكية التي حكمت منذ العهد المسيحي أيضا[17].

إن جانب من رواية عائلة كشكش حول أصولها يلقى الضؤ على موضوع مهم لم يتناوله الكتاب وهو مصاهرة ملوك دنقلا لسلاطين المماليك في مصر

ومعلوم أن المماليك في مصر بعد ان آلت إليهم السلطة قاموا بحملات عسكرية متوالية على دنقلا ، وخلال هذه الحملات تم أسر عدد من أفراد الأسرة الملكية في دنقلا،كما لجأ بعض الأمراء إلي مصر طلبا للدعم والمساندة من أجل الوصول إلي سدة الحكم أبان الصراع بين الأمراء للوصول إلى السلطة[18]، ومن هولاء الأمراء عبدالله برشمبو الذي تربى في قصور المماليك واعتنق الدين الاسلامي وتولى عرش النوبة عام 1317م بمساعدة السلطان محمد الناصر الذى أرسل حملة عسكرية إلي دنقلا لهذا الغرض[19]، مما يضفي على هذه الرواية من المصداقية لأنه من الوارد جدا أن تصاهر أمراء دنقلا مع سلاطين المماليك في مصر ، ونتج عن هذا التصاهر وصول إمراء نوبين مرتبطين باصولهم مع المماليك للحكم مستفيدين من نظام توريث الحكم والسلطة في دنقلا الذي يمنح الحق لإبن الأخت في وراثة العرش[20].

الخاتمة:

عرضنا في هذه الدراسة الموجزة بما توفر لنا من معلومات من روايات شفهية بعد فقدان جزء كبير منها،وكلنا أمل أن تكون قد أجابت على بعض الأسئلة المطروحة في الدراسة،والتى خلصت إلي أن هناك العديد من العائلات القاطنة في منطقة دنقلا العجوز -مكان عاصمة مملكة المقرة -تزعم أن لها صلة بالأسرة الملكية المقرية، وان هناك إستمرارية وتواصل للأسر الملكية ومن هذه العائلات آل كشكش والتى أتضح أنها من آخر العائلات الملكية التى حكمت دنقلا وشهدت عهدها آخر مظاهر إضمحلال مملكة المقرة والتى كانت قد تقسمت إلي كيانات صغيرة.

وتوصي هذه الدراسة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات العلمية حتى تغطي معظم جوانب هذا الموضوع مع الإهتمام بجمع وتوثيق الروايات الشفهية.

الهوامش:

(1) عوض شبا، الدفار المملكة المنسية، دار ارثيريا للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2021م، ص6.

(2) الـراوي: رضـوان داوؤد محجـوب صالـح ، تاريـخ الميـلاد :1960م ، المهنـة: خفـير آثـار في المنطقـة. المـكان :تمبـس. التاريـخ :6 /1 / 2019م . رقـم الهاتـف :0918279467 .

(3) الرواي:أبوبكـر محمـد زيـادة سـوار الدهب ، المهنـة :موظف بالمعاش (السـكة حديد) ، المكان :سـوق الثلاثـاء بالقـدار، العمر :78عام ،التاريخ:15/ 1 /2019م ،رقم الهاتف : 0129028990/0913085692

(4) الراوي:صالـح عثـمان سـاتي محمـد سـاتي مقـو .المهنـة: مـزارع .التاريـخ : 15 /1 /2019 م العمـر : 61 عـام .المـكان :سـوق الثلاثـاء -القـدار. رقـم الهاتـف :0115172961 .

(5) الـراوي :صـلاح مـوسى أبـو عـوف . المهنـة : مفتـش بسـوق الثلاثـاء. المـكان : سـوق الثلاثـاء القـدار. التاريـخ :20 /1 /2019 م العمر:60عـام الهاتـف : 0916570886.

(6) الـراوي : عبـد الماجـد حسـن عبـد الماجـد عـلي إبراهيـم الأمـين ، المهنـة :مـزارع العمـر: 60 عـام التاريـخ 21/ 1 / 2019 م المـكان :المقـاودة الهاتـف :0121267590 .

(7) الـراوي : عبـد اللـه محمـد عثـمان عـلي حمـد .المهنـة :مـزارع . العمـر :٨١ عام.المـكان : منـزل الباحـث في قريـة المقاودة.التاريـخ: 10 / 2 / 2019م

(8) الـراوي : محمـد عـلي درار مختـار درار (اللقـب المختـير) المهنـة :سـائق . العمـر: 63عـام المـكان سـوق الثلاثـاء . رقـم الهاتـف :0121082883 التاريـخ :27 /2 / 2018م

(9) الراويـة : عفـاف محمـد عثـمان حمـد كشـكش.المهنة :مراقـب محكمـة دنقـلا العجـوز العمـر 58 عام.المـكان :محكمـة دنقـلا العجـوز . السـكن :القـدار. الهاتـف: 0122912564

(10) ابـن ضيـف اللـه، محمـد النـور ، مقدمـة الطبقـات في خصـوص الأوليـاء والصالحـين والعلـماء والشـعراء، نحقيق:يوسـف فضـل حسـن،(الخرطوم: دار جامعـة الخرطـوم للنـشر،1972م)، ص 274.

(11) إبراهيم كشكش، ملوك دنقلا القديمة(آل كشكش- السيرة والنسب)، كتاب قيد الإعداد والنشر.

(12) لمزيد من التفاصيل،راجع: عوض أحمد حسين شبا، الإسلام في دنقلا، ط1، الخرطوم، 2010م.

(13) إبراهيم كشكش، المرجع السابق.

(14) نفسه.

(15) نفسه.

(16) نفسه.

(17) عوض أحمد حسين شبا، دنقلا والدناقلة، ط1 ، الخرطوم ،2008م ، ص 43-46.

(18) النويـري، أحمـد بـن عبدالوهـاب، نهايـة الإرب في فنـون الأدب، في : مصطفـى محمـد مسـعد ، المكتبـة السـودانية العربية(مجموعـة النصـوص و الوثائـق العربيـة الخاصـة بتاريـخ السـودان في العصـور الوسـطى،(الخرطوم ، 1972م)، ص288 230-.

(19) الأرمنـى(ت605هـ/1208م)، ابوصالـح، تاريـخ الشـيخ أبوصالـح الأرمنـى، في: مصطفـى مسـعد، المكتبة السـودانية العربية(مجموعـة النصـوص و الوثائـق العربيـة الخاصـة بتاريـخ السـودان في العصـور الوسـطى، (الخرطـوم ، 1972م)، ص144.

علاقة السلطان علي دينار بالدولة العثمانية (1898 ـ 1916م)

أ.سعاد إسماعيل إبراهيم خميس
باحثة – جامعة إفريقيا العالمية

المستخلص:

تناول البحث علاقة السلطان علي دينار والدولة العثمانية (1898 – 1916م) ، لقد لعبت علاقة دارفور الخارجية دوراً مهماً ومحورياً ولا سيما مع الدولة العثمانية وتكمن أهمية الدراسة في تناول الموقع الجغرافي لدارفور والتركيبة السكانية ، والدور الذي لعبته هذه العلاقة وأثرها السياسي على دارفور كما هدفت الدراسة إلى التعريف بالعلاقات السياسية ، ودور السلطان على دينار السياسي ووقوفه إلى جانب الدولة العثمانية آنذاك ومشاركة دارفور في الحرب العالمية الأولى التي اندلعت في العام (1914 م) ، ومواقف الدول الأخرى تجاه السلطان العثماني خليفة المسلمين ، كذلك هدفت الدراسة إلى معرفة الطرق والمراكز التجارية ، والمحمل الذي كان يُرسل من قبل السلطان على دينار إلى مكة المكرمة ، كما هدفت الدراسة إلى إظهار قوة السلطان على دينار في مواجهته للحكم الثنائي (بريطانيا – مصر) وعدائه السافر لهما خلال رسائله وخطاباته.اتبع البحث المنهج التأريخي إلى الحقيقة التاريخية بغرض إبراز دور السلطان على دينار وإرتباطه الروحي بالأراضي المقدسة ، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج ، وأهمها:- تمتعت سلطنة الفور الإسلامية عبر تاريخها الطويل باستقلال تام وندىٍّ مع القوة الإسلامية المحيطة بها ولا سيما الدولة العثمانية ، حالت تدابير الحكومة الثنائية دون إستمرارية الاتصال المباشر بين القوى العثمانية والدارفورية، لم تتمكن الخلافة العثمانية من نجدة السلطان على دينار ومده بما يحتاجه من سلاح وعتاد في الوقت المناسب.أن دارفور من منظور تاريخي ، حضاري ، ثقافي ، اجتماعي متفردة كماً ونوعاً ، كانت وما زالت وستظل في حاجة إلى رؤية عميقة واستراتيجية واعية - توصي الدراسة بالتاريخ الإجتماعي لدارفور وإستثمار فاعل من قبل الباحثين في علاقاتها الخارجية - ضرورة المحافظة على هذه العلاقة بين دارفور والدولة العثمانية.

كلمات مفتاحية:السلطان علي دينار، الخلافة العثمانية ، الصدر الأعظم ، الحكم الثنائي ، المحمل

The relationship of the Sultan Ali Dinar with the Ottoman Caliphate State from(1898 – 1916AD)

Suad Ismail Ibrahim Khamis

Abstract:

This research is entitled the relationship of the Sultan Ali Dinar with the Ottoman Caliphate State represented in (Turkey) from 1898 to 1916.The research deals with the relationship of the Islamic Fur Sultanate with the Ottoman Caliphate (Turkey) during the era of Sultan Ali Dinar from 1901 to 1916, where Darfur's foreign relationship played an important and pivotal role with the Ottoman Caliphate. The importance of the research lies in addressing the geographical location of Darfur, its demographics and its political impact on Darfur.The study aimed to shed light on political relations, the role of the Sultan Ali Dinar and his political alliance with the Ottoman Empire in that period, the participation of Darfur in the First World War (19141918-), and the attitudes of other countries towards the Ottoman Sultan, who was the Caliph of Muslims, as well as the study aimed To know the roads, commercial centers and the covering of the Kaaba that Sultan Ali Dinar was sending to Makkah Al-Mukarramah.To reach the historical facts and highlight the role of the Sultan Ali Dinar and his spiritual relationship with the Holy Land (Mecca - Medina - Jerusalem), the researcher followed the descriptive and analytical historical approach, where the study has come up with several results, the most important of which are: During its long history, the Islamic Fur Sultanate enjoyed complete independence and equality with the surrounding Islamic forces, especially the Ottoman Caliphate. The measures taken by the bilateral government had a major role in preventing direct communication between the Ottoman power and Fur Sultanate. The Ottoman Caliphate was unable to help Sultan Ali Dinar and provide him with weapons and equipment he needed at the right time. Darfur was historically, civilly and culturally distinct in its foreign relationships. The study recommends the following: The necessity of paying attention to Darfur's social history and benefiting from this

history in its foreign relations. Establishment of cultural centers in Darfur to educate the community about the history of Darfur and the Ottoman EmpireThe need to pay attention to the foreign relations of Darfur, especially with the State of Turkey.

Key word: Sultan Ali Dinar- Ottoman Caliphate State - Covering of the Kaaba- Bilateral British, Egyptian government .

المقدمة:

عرفت سلطنة الفور الإسلامية باسم اقدم شعب وهو شعب الفور[1] وهي تقع غرب السودان بين دائرتي عرض 8 درجات شمالاً و 30 درجة شمالاً ، على إمتداد 12 درجة عرضية من دوائر العرض[2] وبين خطي الطول 22 درجة شرقاً و 30 درجة شرقاً مكونة مستطيلاً طوله 250 ميلاً.وعرضه 350 ميلاً بمسافة تساوى 140.000 ميلاً مربعاً تقريباً[3] موزعة بنسب متفاوتة بالمناطق المناخية المختلفة ، تكوِّن هذه النسب مساحات من الاراضي تختلف في درجة صلاحيتها للإنتاج الزراعي ، وانتاج الغابات والمراعي الطبيعية[4] وترجع هذه الاختلافات لاختلاف انواع التربة ، والصفات المورفلوجية[5].

لدارفور خصائص طبيعية مختلفة مميزة ، اقصى الشمال الصحراء الليبية التي تمتد إلى البحر المتوسط في مساحات غير ذات ماء أو زروع . تمثل حاجزاً منيعاً لامتداد دارفور شمالاً ، أما في جنوبي دارفور ، فهناك حاجز من نوع آخر وهو بحر العرب ، حيث منطقة تقسيم المياه التي تعتبر المنطقة الفاصلة بين اليابسة والماء[6].

أما من الناحية الشرقية ، سلسلة من الكثبان الرملية التي تفصلها عن إقليم كردفان تعرف بالقوز* ، مما جعلها مفتوحة لا توجد فيها حواجز جغرافية .

ترتبط سلطنة الفور الإسلامية مع جيرانها بأقوى العلاقات التاريخية ، والإجتماعية والثقافية لأنها معبراً لهجرات عديدة وفدت إليها من البلدان الإسلامية المجاورة ، كذلك موقع دارفور الوسيط ، يعتبر من العوامل التي ساعدت على تلك الهجرات[7].

يربط سلطنة الفور بالعالم الخارجي طريقان مهمان أولهما : من طرابلس ماراً بجالو والكفرة ، حيث إلى غربي ودّاي وشرقي دارفور ، ويلي هذا الطريق حداثة ويفوقه أهمية درب الاربعين الذي يربط بين كوبي[*] بأسيوط في مصر العليا ، وبواسطة هذه الطرق كانت التجارة من وإلى دارفور زد على ذلك اتصال دارفور بالسودان الشمالي الشرقي عن طريق الابيِّض ثم سنار وشندي ، ومن خلال الإتصالات تأثرت سلطنة دارفور الاسلامية حضارياً بما كان يحدث من مد ثقافي وافكار دينية[8]. والثابت أن محمد احمد المهدي بدأ حركته في يونيو 1881م بإعلانه أنه المهدي المنتظر الذي ينتظر العالم الإسلامي ظهوره ، وكان لحركته صدى عميقاً في العالم الإسلامي كله[9] ، وقد لبى أهالي دارفور نداء الثورة المهدية وتضافرت عوامل ساعدت على ذلك منها: أن النظام المركزي الذي ادخله الأتراك لم يلائم مجتمع دارفور القبلي ، ثم قصر عمر الإدارة التركية

في دارفور ، فعندما اعلن المهدي دعوته سنة 1881م ، لم ينقض على الحكم التركي المصري في دارفور سوى سبعة سنوات ، وبالتالي فإن هذه الفترة لا تكفي لتأسيس نظام حكم في دارفور كما أن خليفة المهدي عبدالله التعايشي ، خرج من دارفور وتبعه الكثيرون ، فتحققت الانتصارات الكبرى ضد الإدارة التركية وسقطت اهم المدن السودانية بما فيها الخرطوم 1885م. وقد مهدت ثورة حسين ود عجيب الطريق لعلي دينارالذي ولد ما بين (1869 – 1870) تقريباً بقرية الشاوايا بالقرب من الملم جنوب دارفور ، وهي منطقة تقع على مسافة ثمانين ميلاً شمال غرب نيالا ، ويعد والده زكريا أصغر أبناء السلطان محمد الفضل[10] ، أما فترة صباه وشبابه فكانت غامضة لا يعرف عنها الكثير ، لكنه ظهر فجأة مع إبن عمه أبو الخيرات عند انضمام المقاومة الدارفورية إلى حركة أبوجميزة الذي لجأ إلى سلطان سلا واختلفوا معه[11] وعندئذ اتجه على دينار وأبوجميزة صوب جنوب غرب جبل مرة في منطقة نائية تسمى (كلمى)[12] ومن هناك درج على القيام بعدة غارات على قبيلة التعايشة دون مشورة قيادته أو موافقتها ، الأمر الذي يوحي عدم إعترافه الضمني بقيادة غيره له[13] ، ولا شك أن وجود السلطان على دينار في معسكر أبو الخيرات أكسبته خبرات سياسية وعسكرية ، وكفاءة عالية أهلته لبناء ذاته للقيادة[14] ، وقد فكَّر على دينار ودبَّر مكيدة لابن عمه أبو الخيرات لقتله والتخلص منه ، فجمع حوله عدد من الفرتيت وقضى على أبو الخيرات ودفنه في وادي أريبو (Aribo) وسمى نفسه سلطاناً[15] يبدو أن هذا الأمر يقع في دائرة التخمينات ، ولكن في الممارسة السياسية كل الإحتمالات واردة غير مستبعدة في مضمار السياسة. وقد تمكن علي دينار من الاستيلاء على دارفور ، وأن يؤسس سلطنة الفور الثانية (1901 – 1916م) وأصبح ممثلاً لحكومة بريطانيا في دارفور[16].

عُرف المجتمع أو المجموعات الاجتماعية بأنها مجموعة من البشر وجدت نفسها في زمان ومكان معين ، ومرتبطة بنوع من التعامل البشري والإنساني والحضري ، وأن مدن دارفور تصلح بأن تكون نموذجاً لمجتمع متميز تتألف منه عدة أعراف وفصائل من البشر ، وجدت نفسها في مكان ضيق من الأرض فتعاملوا فيما بينهم للعيش السليم ، رغم اختلاف الاعراف ، والأجناس ، ثم اللغة ، بالإضافة إلى ظروف المعيشة وطرق كسبها ، ونستعرض فيما يلي بعض المجموعات أو القبائل التي تقطن دارفور ، ومنهم:-

1 - قبائل الفور:

وتعتبر مجموعة الفور أكبر مجموعة ولعهود طويلة هم السكان الوحيدين لجبل مرة في وسط دارفور.

2 - المساليت:

تقع أرضهم في منتصف الحدود الغربية لدارفور .

3 - القمر:

ويقطنون إلى الشمال من المساليت وإلى الجنوب الزغاوة في سهل رملي تكثر فيه الصخور.

4 - البقارة:

تطلق لفظة البقارة على رعاة البقر ، وهم غالبية في جنوب دارفور ، ويتصلون في حدودهم الغربية بالزنوج من الدينكاوالفراتيت، ويرجع تاريخ دخول العرب دارفور إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، أما قبل ذلك فقد دخلوا إليها كأفراد بقصد التجارة والرعي أو الحماية وتكونت بتدفق العرب قبائل البقارةفي الجنوب ورعاة الإبل في الشمال ، وبينما نزح واختلط عرب الجنوب كثيراً من السكان الأصليين ، فغلب السواد على لونهم ودخلت حياتهم عادات الزنوج رغم احتفاظهم باللسان والتقاطيع العربية[17]

ويضم البقارة القبائل الآتية:

(الرزيقات-الهبانية-التعايشة-البنوهلبة-والمعاليا) - وهناك بعض القبائل التي تسكن شمال دارفور منهم (الزيادية- المهرية - العريقات - المحاميد) وتلك تنتمي إلى المجموعات العربية ، وأما القبائل الأخرىمثل : (الزغاوة-البرتي-الميما-الميدوب).

وتعد الدلولة العثمانية دولة عالمية بمعنى ذلك أنها لم تحصر نفسها في النطاق الإقليمي الضيق المحدود الذي نشأت فيه أول ما تكونت وهو تلك البقعة الصغيرة من الأرض في شبه جزيرة الأناضول ، وانتهجت سياسة التوسع الإقليمي المرحلي ، ومدت فتوحاتها في جميع الاتجاهات من الأناضول والبلقان أول الأمر في وقت واحد ، ثم واصلت زحفها العسكري على أوربا ، واتجهت إلى جوف آسيا ، حيث خاضت حروب ضارية ضد الدولة الصفوية في فارس وانتزعت منها شمال العراق ، وتوغلت في أراضيها واستولت على قطاع كبير من بلاد أرمينيا الغربية ، وفتحت بلاد الشام ومصر وضمت الحجاز وفتحت اليمن[18] وكان الهرم الوظيفي في السلطنة العثمانية ، يبدأ بالسلطان ، الوزراء ، رئيس الكتاب ، الجيش العثماني بفصائله المختلفة[19].

ظلت الدولة العثمانية قوية محتفظة بممتلكاتها الواسعة في البلقان ، الأناضول ، مصر ، الشام ، كما ظلت سيطرتها وسيادتها على كثير من مناطق الجزيرة العربية وفي شمال أفريقيا حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، وبمرور الزمن تضافرت عدة عوامل داخلية وخارجية أدت إلى تدهور واضمحلال الدولة بل نهايتها[20].

خلفية تاريخية عن الدولة العثمانية:

تقع دولة الخلافة العثمانية (تركيا) في موقع جغرافي مميز ، فهي تقع بشكل جزئي في قارة آسيا وفي قارة أوربا ، أيضاً تقع على مفترق طرق في منطقة البلقان والقوقاز ، الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض المتوسط ويتراوح امتدادها من الشمال إلى الجنوب بين 480 – 640 كلم^2 ، ويبلغ امتدادها نحو 1609 كلم^2 من الغرب إلى الشرق[21].

يحد دولة تركيا من الشرق أزربيجان وإيران ، ومن الجنوب الشرقي العراق وسوريا، ومن الشمال ابحر الأسود ، ومن الشمال الشرقي جورجيا وأرمينيا ، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجة ، ومن الشمال الغربي دولة اليونان وبلغاريا.

تبلغ مساحتها حوالي 783.562 كلم2 منها 749.632 كلم2 يابسة و 13.930 كلم2 من الماء[22].

يتأثر مناخ تركيا بشكل كبير بوجود البحر الأبيض في الشمال ، والجنوب والغرب منها ، والجبال التي تغطي معظم المناطق في البلاد ، حيث تسبب الجبال والبحر بعض الاختلافات المناخية بين المناطق الداخلية والساحلية ، فهناك اختلافات كبيرة في درجات الحرارة بين فصلي الصيف والشتاء حيث تصل درجات الحرارة في شهر كانون الثاني (يناير) إلى أقل من درجة التجميد في المناطق الداخلية و 5 درجات مئوية في مناطق كبيرة في جهة الشرق[23]. أما في فصل الصيف فهو حار حيث تتجاوز درجة الحرارة في شهر تموز (يونيو) 20 درجة مئوية في جميع المناطق عدا الجبلية المرتفعة ، فتكون درجة الحرارة 25 درجة مئوية في المنطق الجنوبية الشرقية[24] ، ويبلغ عدد سكان تركيا حوالي 81.92 مليون نسمة[25].

يحيط الغموض بأصل الأتراك العثمانيون وإن يكون ظهور الأتراك على المسرح السياسي في الشرق الأوسط مرتبط من قريب أو بعيد بإنشيال جنكيز خان خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، فالأتراك قبائل رعوية عاشت في بلاد ما وراء النهر (سيحون) ، كان أول ظهور لهم في التأريخ في أواسط آسيا كرعاة ينتمون إلى الجنس الطوراني ، ويعتمدون في حياتهم على الخيل ، فأصبحوا بذلك فرساناً مهرة ، ومحاربين أشاوس ، يتصفون بالشجاعة والصبر والطاعة وتحمل المشاق ، يحكمهم زعماء عشائر متنافسون فيما بينهم حول مراكز حضرية مستقرة في مدن مثل بخارى ، سمرقند وطشقند[26].

كانوا في بيئتهم الأولى وثنيين ، عرف بعضهم الديانة البوذية ، تتحكم فيهم قوة الطبيعة، ثم دفعتهم الظروف إلى الهجرة غرباً حتى إذا ما اقتربوا من البلاد الإسلامية ، فكانت أول محاولة لهم للدخول في الإسلام في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه واعتنقوا الإسلام على المذهب السني ، وأصبحوا شديدي التعصب له[27] ، وكان لذلك نتائج طبيعية في تطور التأريخ الإسلامي.

إن كثير من الهجرات اتجهت إلى قلب العالم الإسلامي ، وبسبب الطابع العسكري للأتراك أحدثت هذه الهجرات تغيرات كبيرة في حياة المسلمين السياسية والحضارية ، حيث ظهر بينهم كثير من الأفذاذ الذين ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية كالبخاري ، الزمشخري ، الجرجاني، والخوارزمي[28].

إن ظهور الأتراك العثمانيين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة المغول خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، وما كانت تحمل تلك الحركة من خراب ودمار قضعلى الخلافة العباسية ، وانداح أثره على مماليك مصر والشام وسلاجقة الروم والشرق الأقصى[29] ، فالمغول والأتراك نتاج لبيئة قاسية أثرت في حياتهم القائمة على التجوال والهجرات ، وقد حددت متطلبات اقتصادهم الرعوي علاقاتهم بسكان الوديان الزراعية المستقرين ، فتحول التعارض الجغرافي إلى تعارض اجتماعي ، فنمت العلاقات العدائية بين الزراع والرعاة ، وسرعان ما تغلب الرعاة وحلوا محل الممالك القديمة[30].

هكذا سيطر الأتراك اللذين دفعهم المغول غرباً على آسيا الصغرى ، كما تمتع أتراك آخرون بسلطة ضعيفة في سوريا والعراق في إطار النفوذ المغولي ، فالعثمانيين كأسلافهم السلاجقة

ينتمون إلى الجنس الطوراني ، كان مهدهم الأول بلاد تركستان ، قد اعتنقوا الإسلام كسائر القبائل التركمانية ، واستوطنوا آسيا الصغرى[31]. وأقدم زعيم لهذه العشيرة يسمى سليمان ، قد هام بقبيلته في آسيا الصغرى بعد موقعة (ملاذ كرت) (1071م) إلى أن قتل عند مشارف حلب ، وترددت القبيلة بين العودة إلى موطنها الأصلي أو مواصلة المغامرة ، فانقسمت القبيلة بين الخيارين فاختار أرضغول بن سليمان السير فدخل آسيا الصغرى والتحق بخدمة الأمير علاء الدين السلجوقي الذي كان في حر ب متواصلة ضد لبيزنطيين فأعانه أرضغول وأقطعه إمارة صغيرة قرب أنقرة في الجزء الغربي من منطقة الأناضول الواقعة على الحدود البيزنطية وترك له توسيع ممتلكاته على حساب البيزنطيين[32].

توفى أرطغول عام 1288م ، فتولى إبنه الأكبر (عثمان) الأمر من بعده ، بعد موافقة الملك علاء الدين السلجوقي . واستمر عثمان في مساعدة السلجوقيين كما كان يفعل أبوه ، فزاد علاء الدين في إكرامه ومنحه نوعاً من الاستقلال ، وأقطعه كافة الأراضي والقلاع التي فتحها ،وأجاز له ضرب العملة باسمه ، وأن يذكر إسمه في خطبة الجمعة مقروناً باسم السلطان السلجوقي ، ومنحه لقب بك[33].

هكذا أخذ عثمان بك يقترب من الإستقلال التام وصار زعيماً لواحدة من الإمارات السلجوقية[34]. وفي عام (1299م) أغار التتار على آسيا الصغرى وسقطت دولة السلاجقة ، وتوفي علاء الدين السلجوقي فاستقل من كان تحت سلطته من الأمراء وتقاسموا الإمارات بينهم ، فأعلن عثمان استقلاله التام مكوناً الإمارة التي أخذت تسميتها من اسمه ، ووفد إليها أمراء البيت السلجوقي وأعيانه ليعيشوا في كنفه وحمايته ، وجاءته الجماعات التي جاهدت ضد المغول ولجأ إليه الصوفية والمِغامرون وبعض العلماء ولم يبق في البقاع كلها إلا العثمانيين ملجأ للمسلمين يرفعون السيوف ضد البيزنطيين أعداء الإسلام[35].

هكذا كانت آسيا الصغرى التي لم يقم فيها ما يشبه السلطة المركزية ثمرة ناضجة في يد من يستطيع الاستيلاء عليها والإحتفاظ بها ، كما يحدث عادة في الفقرات التأريخية الحاسمة ، كان لابد لشعب جديد أن يجرب حظه في هذه المنطقة التي كانت تفتقد القوة التي تدافع بها ، كان هذا الشعب هو الأتراك العثمانيين. وإنتساب الدولة إلى عثمان راجع إلى كونه أكد استقلاله التام على إثر إنهيار دولة سلاجقة الروم ، فنجد أن صفة عثماني – لا تركي – هي الصفة المفضلة لدى أبناء الدولة ، إذ استحق عثمان أن يكون شعاراً للدولة باعتباره زعيماً لشعب مارب[36] ، لهذا كان كل سلطان جديد من ابناء أسرته يتقلد سيف مؤسس الدولة على اعتبار أن ذلك من المراسم الهامة لتقلده السلطة ، وكانت للدولة العثمانية طبيعة معقدة مميزة ، فهي دولة أسرة حاكمة يتركز فيها الولاء لأبناء عثمان أكثر منه لأي فرد من أفرادها ، بمعنى أن الأسرة جميعاً هي التي تدعي السيادة[37]. وبعد أن تمكن العثمانيون من توطيد حكم العشيرة على الأراضي التي كانوا يحكموها ، وأرسوا قواعد الحكم عملوا على توسع رقعة البلاد على حساب البيزنطيين متفادين الإصطدام بالدولة التركمانية القوية المجاورة إلى أن قويت شوكتهم ، فكانت انطلاقة الدولة في مطلع

القرن الرابع عشر الميلادي ، حيث توالت انتصاراتهم على اليزنطيين والمغول واستولت على كل آسيا الصغرى ، ثم إنطلقت الحملات إلى أوربا واستولت على شبه جزر البلقان ، كما سيطروا على جزء من أفريقيا ، واستولت على بعض المناطق في أفريقيا وشبه الجزر العربية[38].

خلاصة القول إن الإمبراطورية العثمانية عالمية جامعة ، متماسكة ، في إطار موحد من النظام والإدارة ، وبولاء متفرد لأسرة حاكمة في مختلف آسيا ، أوربا ، أفريقيا.

علاقة دارفور بالدولة العثمانية:

إن علاقة دارفور وتركيا علاقة اقتضتها وحدة العقيدة والثقافة[39] ، بيد أنها لم تصل إلى حد التبعية المطلقة أو الذوبان في رقعة الدولة العثمانية والخضوع التام لها[40] . بينما تمتعت دارفور بالسيادة على حدودها واستقلال سيادتها عند أي وجود سياسي لكنها فتحت ابوابها في نفس الوقت للتعاون بينها وبين جيرانها وظلت محافظة على هذا الإستقلال ، لكن الخديوية المصرية نتيجة لأطماع ذاتية ورغبة قوية في الاستيلاء على دارفور ، وجدت بغيتها واستطاع الزبير باشا أن يقضي على آخر سلاطين الفور السلطان إبراهيم بن حسين في معركة منواشي عام (1874م)[41]. وفي الوقت الذي فتح فيه على دينار صفحة علاقات خارجية مع الدولة العثمانية لإنتزاع اعتراف بوجوده كقوة سياسية ذات كيان من قبل كل القوى الإسلامية ذات الوزن السياسي ، فإنه لم يقدم على إشعار الحكم الثنائي بتغير أحواله أو تبدلها تجاهه ، ذلك ليمكن نفسه ويعيد ثقة الآخرين فيه في إدارة بلاده ومقدراته الإدارية والسياسية ، وما يؤكد ذلك إرتباط دارفور الوثيق بالدولة العثمانية ، استخدامها للحملة العثمانية[42] ، وهي تشير إلى قدر التأثير الثقافي والاقتصادي ، ولا يغفل دورها في مجال العلاقات السياسية ، ويتبين ذلك من النص التالي الذي جاء فيه على لسان السلطان على دينار: (انه بعث بألفي ريال مجيدي ... منها ألف يوزع في مكة والألف الآخر يقسم في المدينة)[43] . علماً بأن الحجاز آنذاك ولاية عثمانية ، ومن هنا يتضح لنا اهتمام سلاطين الفور ولا سيما السلطان علي دينار بالأراضي المقدسة والتزامهم الأدبي والروحي بمكة والمدينة المنورة، ولم يقتصر دعم دارفور ولم يقتصر دعم دارفور على المال بل تعداه إلى الرجال لخدمة الحرم الشريف ، هذا قدر من الإلتزام الطوعي الذاتي يقوم به سلاطين الفور طوعاً واختياراً تعبيراً عن رابطة العقيدة القوية والوازع الديني الذي يربطهم بالبيت الحرام والمسجد الشريف . يشكل هذا الجهد تأريخ ناصع لدارفور ينبغي أن يكتب بمداد من ذهب ، وحق لدارفور وأهلها أن يفتخروا بهذا التاريخ المجيد ، وأن يرتقوا إلى هذه المكانة التاريخية السامقة ، إلا يتقاتلوا من أجل تحقيق ذواتهم الفانية والكسب الرخيص.

أدي قيام الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م) على الصعيد الدولي ، أن تعلن إنجلترا الحماية على مصر ، وبقيام الحرب كانت العلاقة بين السلطان على دينار والحكومة تزادا سوءاً حتى بلغت حد التوتر (1914م)[44]. وفي ظل عدم الثقة بين الطرفين ، دخلت تركيا التي تمثل الزعامة الإسلامية الحرب بجانب ألمانيا مما استوجب على البلاد الإسلامية التنظيم تحت لواء تركيا، فأدى ذلك إلى تغيير طابع الحرب إلى نظرة إسلامية ، حرب كفار ومسلمين ، الأمر الذي جعل

انجلترا أن تعلن الحماية على مصر وعزل الخديوي عباس باشا ، وتعيين حسين كامل سلطاناً مصر ، الأمر الذي أكدأن بريطانيا تقف ضد أي معارض لسياستها[45] .

انزعج السلطان على دينار لعزل خديوي مصر الذي كان حليفاً له ، فكتب رسالة إلى الحاكم العام يؤكد عدم شرعية انجلترا في عزله ، حيث قال: (إنك فصلت خديوي مصر ووليت حسين كامل سلطاناً مكانه وزعمت أنك فصلت مصر عن دولة بني عثمان .....)[46] . يدل هذا الخطاب على قوة ومتانة العلاقة بين مصر ودارفور والدولة العثمانية . وبخطاب السلطان صارت المسافة بينه وبين الحكومة البريطانية شاسعة حين كان غاضباً على الحكومة من خلال موقفها تجاهه ، حيث ساندت القبائل ضده ، وعدم اهتمامها بمشكلة الحدود[47]. وفي هذه الأثناء بدأت تركيا في توحيد جهود العالم الإسلامي للوقوف بجانبها ، فقام السلطان محمد رشاد سلطان تركيا بالاتصال بكل ملوك المسلمين لمساندة تركياضد الانجليز وحلفاؤهم ، فكتب أنور باشا وزير الحربية التركي رسالة إلى السلطان على دينار في عام 1915م موضحاً فيها أنه أرسل أخاه نور بك للسيد أحمد الشريف السنوسي وجعفر بك لعلى دينار لشرح الموقف ، فقال: (قبل أربعة شهور كنا نقف على الحياد من الحرب الناشئة في أوربا ، لكن الاسطول الروسي هاجم اسطولنا في البحر الأسود وتبعهم في ذلك حلفاؤهم من الانجليز والفرنسيين ، وأملهم كله هو إطفاء نور الإسلام ولهذه الأسباب ولتهديداته فقد قررنا محاربتهم ونحن نعتمد على الله في محاربتهم)[48]. ويبدو أن هذه الرسالة قوَّت من عزيمة على دينار ، وخاصة بعد أن تبين أن السنوسية سوف تساند تركيا[49].

أيضاً أن الرسالة باعدت المسافة بين السلطان على دينار والحكومة ، مما جعل السلطان أن يرسل رسالة إليهم يهددهم فيها ويوضح أنه ليس كالمهدي أو التعايشي فقال : (أما تهديدكم لي فأنا ليس دنقلاوي ولست عبد الله التعايشي فأنا بفضل الله بن سلطان ورثت الملك كابر عن كابر وراثة حقيقية وجلست على عرض مملكة آبائي واجدادي ... وما دام إنكم صرتم تهددوني فوالله وبالله ولو بسيفي ورأس حصاني ... أقاتل في سبيل الله وأنصر دين الله ...)[50].

كذلك أرسل السلطان على دينار رسالة إلى الميرغني يوضح فيها تجاوزات الحكومة وتعديها على مقدسات السلطنة فقال: (إلى سليل السادة الأشراف على الميرغني وكيلي لدى حكومة السودان ان الاسباب التي كدرت خواطرنا من جهة الحكومة فإنها ... اعاقتنا في أمور كثيرة ... فمن عوائدنا القديمة مع الحكومة أن أرسلنا محملنا إلى الحرمين الشريفين تقابلها في ذهابنا وإيابنا بالإحترام والإكرام ولا كان تهتك حرمتها بالتفتيش حتى يعود محملنا ، فصارت معنا بعكس العبارة وصاروا رجال الحكومة يهتكون شرف محملنا ويتجاسرون علية بالتفتيش وأخيراً منعت لنا مشترى الجبخانة والسلاح من أرض الحرمين الشريفين وأوعدتني إذا لزمالحال لي على مشترى الجبخانة أو السلاح نشعرها ونلتمس الإذن فيها فإنها طلبت منها بحسب ما أوعدتني فأخلفت وعدها معي)[51]. ولقد رد السلطان على دينار على السلطان محمد رشاد بأنه قبِل الدعوة ، وكما أنه اعلن الجهاد على الكفار ، فجاء في رد رسالته : (فقد قررنا أن نحارب من أجل الله وأنه غاية في السرور أن علم أنكم أعلنتم الجهاد في سبيل الله ومحاربة الكفار أعداء الله من النصارى الكلاب وقد تنافس الأنبياء في الجهاد في سبيل الله ...)[52].

تطور العلاقات الثنائية بين سلطة الفور والدولة العثمانية:

علاقة دارفور الخارجية بتركيا إبان فترة السلطان على دينار تميزت بأبعاد وآثار يمكن أن نلقي الضوء على طبيعة جذورها وأبعادها السياسية ، ولم تكن برزت فجأة ، وبحكم ظروف الحرب الأوربية الأولى ، وحاجة تركيا إلى مناصرة كل القوى الإسلامية في المنطقة ، أو تحت وطأة الظروف السياسية للسلطان على دينار[53].

فمن الناحية التاريخية ، فإن تسمية السلطان عبد الرحمن الرشيد جاءت من تركيا لما اشتهر به هذا السلطان من علم ، وعدل وتقوى[54] . وقد حكم في الفترة من (1786 – 1802م) ، وجاء هذا اللقب لصلة سلطنته الوثيقة بدولة الخلافة العثمانية لعدة قرون[55].

أما السلطان على دينار ، فإن ما ورد في سجلات المخابرات الثنائية ومنذ فترة مبكرة ينفي كل المزاعم التي حاولت المخابرات الثنائية تشويه سمعة السلطان وسياسته الخارجية ، باعتبار أن سياسته إزاء الدولة العثمانية إضطرارية اقتضتها ظروف عزلته ، وموقف الحكومة الثنائية[56].

لا شك أن موقف السلطان على دينار في فترة الدولة العثمانية موقف أصيل ذو أبعاد تاريخية وموروث حضاري. وعندما اتخذت الحكومة البريطانية التدابير الدعائية والاعلامية من أجل مقاومة الخطاب الديني للسلطان على دينار وبجانب إضافة شعبية أمام مواطنيه من الفور والعرب ورفعت أسعار بعض السلع مثل السكر ، والشاي مع دعمها[57] للجماعات الخارجة على السلطان على دينار خاصة قبيلة الرزيقات فلجأ على دينار نتيجة التوترات التي جرت مع الحكومة إلى مخاطبة السلطان العثماني معلناً فيه عدائه السافر ضد الإنجليز فقال : (قررنا أن نحاربهم من أجل الله ورضاه طالما أعلنتم الجهاد ومحاربة الكفار أعداء الله من النصارى الكلاب)[58] وهنا أظهر السلطان على دينار بوجه وكشَّر أنيابه لبريطانيا وأعلن مخاطباً السلطان العثماني بوقف دارفور بجانبه إبّان الحرب العالمية الأولى. وهنا أظهر السلطان على دينار بوجه وكشَّر أنيابه لبريطانيا وأعلن مخاطباً السلطان العثماني بوقوف دارفور بجانبه إبّان الحرب العالمية الأولى. وقد أجرى السلطان على دينار العديد من الاتصالات مع زعماء القبائل من أجل الوقوف معه ، إلا أنه لم يجد الاستجابة منهم ، فاضطر السلطان على دينار إلى مخاطبة السلطان العثماني للمرة الثانية معرباً عن أسفه ، فقال : (جميع المسلمين بشرق السودان والعلماء والفقهاء ومشايخ الطرق وغيرهم صاروا يكاتبون ويثنوا على الانجليز ويمدحوهم وطلبوا منا أن نميل لمعتقداتهم الفاسدة وتتبع النصارى ولم نوافقهم على ضلالهم ، وردت لنا شهادات من أعيان السودان والأهالي مادحين دولة الإنجليز بتمويهات مكذوبة بجريدة الخرطوم)[59].

أرسل على دينار وفداً إلى ليبيا لمقابلة السيد السنوسي محملاً له بعض الهدايا وبعض الجمال لبيعها والاستفادة من أموالها لشراء متطلبات الحرب ، وقال في خطابه لسنوسي ليبيا : (واصل إليكم خادمنا العقيد احمد ومن معه يحملون لكم بعض الهدايا وبرفقة ثلاثون جملاً وأردبين قمح ... وخادمنا احمد المذكور أرسلناه أن يشتري لنا جانب من أصناف الجبخانة والسلاح ومعه جمال للبيع فنرجو منكم التوصية به خيراً ومساعدته)[60].

لم تكن صلات السلطان على دينار بتركيا تتم عبر قناة واحدة ، إنما درج على تعدد القنوات التي عن طريقها يستطيع الاتصال بدولة الخلافة ، في حينها حاولت الحكومة الثنائية أن تضيق الخناق على طريق القوافل المتجهة إلى طرابلس ، وكان هو بدوره قد اتجه إلى منفذ آخر وهو طريق الشرق تحميه مظلة المحمل ، بيد أن الحكم الثنائي كان له بالمرصاد حيث بدأ في تفتيش المحمل تفتيشاً دقيقاً بغية العثور على خطاب مرسل إلى أحد المسئولين الاتراك[61] ، وترجم السلطان على دينار ، السياسة العثمانية ترجمة صادقة ، فاصدر بياناً ونداءً على قرار النداء العثماني يحث فيه المسلمين قاطبة ويهيب بهم أن يجاهدوا في سبيل الله بالدم والمال ، ودعا فيه وحدة الصف والتزام الجماعة بتأييد السلطان العثماني ، وقام بإرسال نسخة من البيان مع خطاب إلى احمد السنوسي ، وآخر إلى شريف مكة بغية كسبهما إلى جانب الصف العثماني في جهاده المقدس ضد الكفار اعداء الله ورسوله[62].

أولته الخلاف العثمانية عناية واهتماماً خاصاً ، حيث بعث إليه الخليفة العثماني ميدالية وهدايا في شكل سيف وسرج ، ومدفع مزخرف ، ومسدس ونظارات حقل ، وتم اطلاعه على مجريا الأمور ليكون على دراية تامة بالأوضاع[63].

دور سلطنة الفور الإسلامية في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م):

دخل على دينار الحرب العالمية (1914 – 1918م) بجانب تركيا ، نسبة للباعث الديني ، وانه لم يقدم على الدخول في هذه المعركة ضد الحكم الثنائي خوفاً على عرشه بينما استجابة لقوله تعالى : ((يأيها الين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة))* ، وعندما تناقلت اخبار الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م) إلى دارفور عبر خطاب السلطان على دينار في حوالي الثالث من اغسطس عام (1914م) ، ورسالة الحاكم العام للسلطان من القاهرة ، أبلغه أن بريطانيا مشاركة في الحرب التي اندلعت في أوربا ، وأن الاخبار التي نشرت في سودان – تايمز دقيقة ، ومن الأهمية يجب تصحيح الأخبار الخاطئة والاشاعات المروجة من الذين يريدون تضليل الجهلاء[64].

تشير هذه الرسالة إلى مؤشرات حقيقية لوقوف السلطان على دينار مع الحكومة البريطانية ، ولا سيما الاشاعات التي أطلقت عن قيام الحرب العالمية الأولى ، وكانت انجلترا تشك في السلطان على دينار منذ بداية الحرب ووقوفه مع دولة الدولة العثمانية (تركيا) التي وقفت إلى جانب المانيا من قبل دول المحور التي خسرت الحرب[65]. ولعل هذا يعكس لنا أن دارفور وسلطتها السياسية أضحت في قلب الحدث ، وغدت أحد اللاعبين الرئيسيين على مستوى السودان ، ولم تقف على الرصيف متفرجة ، وإنما كانت فاعلة ومثلت وجه السودان المشرق ، في الوقت الذي قل فيه الشجعان وتوارت كثير من القيادات الوطنية والسودانية خوفاً من بطش الحلفاء.

لم يكن تحرك السلطان على دينار عشوائياً ، وإنما كان مبنياً حسابات دقيقة وفقاً للمعلومات التي تيسرت له ، وإدراكاً منه بالواقع وشعوراً بالواجب ، أداءً للأمانة ووفاءً بحق الدين، على ذلك كان انحيازه إلى معسكر الخلافة العثمانية ، لذا لم يتوانى في الرد على أنور باشا وزير الحربية العثماني بقوله : (من حيث انتشاب الحرب ولحد تحرير مكاتبتكم قد وجدنا أفكارنا

كلية وجزئية نحو قتال ما يلينا من طائفة الذين كفروا عملاً بقول الله تعالى : ((يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ...))* إننا منذ انتشاب الحرب بين جلالة سلطان الإسلام وبين الاعداء الكفار الفساق الإنجليز وفرنسا وما يليهم ، فمن وقته قطعت ما بيني وبين الزعماء الملعونين من العلائق الودية وجاهرتهم بالعداوة وأعلنتهم بالحرب واستعديت بقدر ما يستطيعني من القوة ، (غيرة) في دين الله ، ومن وقتئذٍ ملتفت لورود المخابرة من جهة سلطان الاسلام ليفهمني كلمة الموافقة على القيام للجهاد في سبيل الله ..... وذلك لما تحقق لدينا أن الجهاد في هذه الزمان صار فرض عين على كافة المسلمين المنتشرين في الأرض)[66]

أهم الخطابات التي جرت بين السلطان على دينار والصدر الأعظم للدولة العثمانية (أنور باشا):

هنالك بعض الخطابات المهمة التي جرت بين السلطان على دينار سلطان دارفور وخليفة المسلمين السلطان أنور باشا سلطان تركيا ، إن الرسائل المرسلة إلى السلطان على دينار من الدولة العثمانية ، تفيد بضرورة إقامة شرعية الجهاد على الكفار وأن مشايخ الاسلام قد أصدروا فتوى تقضي بفرضية الجهاد على كل مسلم ، حيث جاء في الفتوى : (ان القتال فرض على كل مسلم في أرجاء العالم ، فنحن وحلفاؤنا يحالفنا الانتصار على اعدائنا ، ولكن لا أنسى أن انبهك الواجب الملقى على عاتق كل المسلمين ، وخاصة المخلصون أمثالك هذه حقيقة تعرفها أنت ، والكفار يستغلون عدم وحدتنا ونحن الذين يأمرنا الإسلام دين العدل والوحدة[67] . هذه الرسالة من السلطان العثماني إلى السلطان علي دينار تخبرنا مدى العلاقة القوية التي تربط أهالي دارفور بدولة تركيا التي عليها الخليفة العثماني خليفة المسلمين الذي حثهم على فرضية الجهاد على كل مسلم في أرجاء العالم ضد الكفار وهم بريطانيا وحلفائها. وبناءً على هذه الرسالة بعث السلطان على دينار برسالة إلى السنوسي بليبيا تناول فيها عزمه على قتال الانجليز حيث قال : (بوصول غيث أبي كريم الذي حضر من جهة الكفرة واخبرنا بسيرتكم الحسنة وما أنتم بصدده ونخبركم عزمنا أن نقوم بجهاد اعداء الله)[68]. وتأصيلاً لهذا الدور ـ فقد أرسل خطاب إلى نائب الخليفة العثماني والقائد العام ، ذكر السلطان على دينار أن سبب إثارته للحرب ضد الحكم الثنائي هو الاستجابة الفورية لنداء الدولة العثمانية وتنفيذاً لأمر الله بمحاربة الكفار ، حيث أضفى بذلك بعداً جيداً على موقفه بتأكيده بأنه لا يوجد مسلمون متمسكون بدينهم بدينهم ، لا علماء ولا أشراف ، وكأنه بذلك يعرض بمن ينتمون إلى الأشراف من أمثال الشريف يوسف الهندي ، على الميرغني ، وعبد الرحمن المهدي الذين يقطنون الخرطوم ولم يحركوا ساكناً خوفاً من بطش الإنجليز وغيرهم من الناس[69]. وفي الوقت ذاته لم تهمل الدولة العثمانية دور السلطان الطليعي ، ولم تغفل علاقته السابقة ، فقد أرسل إليه أنور باشا وزير الحربية التركية خطاباً اشتمل على استفساراً عام ودعوة لعلي دينار على تصميم محاربة الحكم الثنائي في السودان وبدأ الخطاب بإسباغ الصفات التبجيلية على السلطان على دينار ، وعرض الخطاب لشرح وافي لبداية الحرب بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية على حدود البحر الأسود ، وأكد أن الروس هم الذين اعتدوا . بيد أن جنود

العثمانيين ردوهم على اعقابهم ، وشرح له طبيعة الاتفاق القائم بين الألمان والروس والنمسا والدولة العثمانية مشيداً بانتصارات الألمان على الفرنسيين ، واستثار في على دينار الروح الدينية، ووجوب الخروج على الكفار وسحقهم وإبعادهم من العالم الإسلامي ، الذي يجب أن أن يهب وينتهز هذه الفرصة التي لا تتوفر له مرة ثانية في التخلص من من الاستعباد والذل والاستعمار لأعداء الله ورسوله ، وذكر أن جنود الدولة العثمانية مئات الألوف يتقدمون إلى قناة السويس ، وقد حاول الإنجليز التقدم إلينا ولكن أسود العرب البواسل ردوهم ، وسرد ععداً من الآيات والأحاديث تقوية للنداء ، وطلب منه أن يكون عاقلاً كما هو متوقع وأن يعمل جهده في القضاء على الحكم الثنائي في السودان وأشار إلى أنه أرسل خطاباً إلى السيد أحمد الشريف السنوسي مع اخيه البمباشي نوري بك وختم ذلك بقوله : (وأرسلت لك خطابي هذا مع جعفر بك وذلك بعد صدور الفتوى من المشيخة الإسلامية أو هيئة الأفكار ، وتوجيهها النداء إلى كل المسلمين في العالم الإسلامي ومطالبتها لهم بالاتحاد والاستجابة لنداء الجهاد)[70] ومن خلال الرسالة يتضح لنا أن السلطان على دينار لم يكن عجولاً ، إنما هدف إلى تنسيق الحركة وأداء الدور المنوط به ، وعبارة الانتظار في الرسالة توحي إلى تبعية قيادة حربية واحدة ، ولعله أراد بذلك تحمل تركيا دورها كاملاً في المسئولية تجاهه ، لم يخفي السلطان على دينار مشاعره نحو اصدقائه حينما حاولوا التأثير عليه لاتخاذ قرار يقضي بانحيازه إلى دول الحلفاء (بريطانيا – فرنسا – وحلفاؤهم) ، وأشار السلطان في رده إليهم أنه علم اخبار الحرب الدائرة بين سلطان بين سلطان المسلمين وبريطانيا ، ويسأل الله أن يجعل الدائرة على المسيحيين وينتصر المسلمين[71].

هذا تعبير صادق عن مشاعر اسلامية حميمة وعاطفة دينية عميقة ، فدارفور كانت محور الاحداث على المستوى الإقليمي والعالمي من حيث طموحاتها و أهدافها. ولعل هذه القناعة بأهداف التحرك وشرعية الموقف العثماني جعلتاه يراسل الزعماء بغية إقناعهم واغرائهم بنقل اخبار الجبهة العثمانية والسنوسية إليهم ، ففي خطاب بعث به إلى الشريف الهندي ، ذكر له فيه أن السلطان محمد رشاد وأولاد السنوسي قد قتلوا عدد كبير من الاعداء ، وانهم ارسلوا إليه الفين واربعمائة بندقية وأربعمائة صندوق[72].

تلك محاولة جادة من قبل السلطان لإغراء هؤلاء الزعماء وتحفيزهم للنهوض ضد الحكم الثنائي ، لكنهم كانوا اضعف من ان يحركوا ساكناً وفي يناير 1916م فض السلطان ما بينه وبين الحكم الثنائي ، واعلن عدائه له ، وقد قصد من ذلك إرهاب الحكم الثنائي وإشعاره بأن موقفه الحالي قد اتخذه نتيجة عثمانية دارفورية[73] ، وتوالت حطاباته بعدئذٍ مؤكدة موقفه وميله إلى سلطان تركيا ، والاهداف التي وضعها سلطان تركيا نصب اعينه[74] ، وقد كان تفكير الحكومة الثنائية قاصراً تجاه سياسة السلطان على دينار الخارجية ، إذ كانت تعتبر أن السلطان راح ضحية للدعاية التركية الألمانية[75] ، ولكن بريطانيا تجهل أن ثورة على دينار التي اقتضت عدائه للحكم الكافر ، وسبقت الاشارة إلى ان على دينار هو الذي بدأ بمراسلة السلطان العثماني. وصحيح أن الخطة التركية الألمانية كانت تقتضي إشعال حرب

في غرب السودان[76] ، لكن لوجود سلطان غيور على دينه متسلح بقيادة ذاتية لما وجدت هذه المقاومة الشرسة. وقد اضحت سلطنة دارفور الاسلامية مركزاً علمياً ومحوراً من المحاور المهمة في العالم الإسلامي وقبلة للعلماء ، ومصدراً لمحملٍ تواصل عطاؤه لمصر وبلاد الحرمين مدة خمسة قرون.

لم تتمكن الدولة العثمانية من نجدة السلطان على دينار وإمداده بما يحتاجه من سلاح وعتاد ، ولم تنجح القوة الألمانية والتركية أيضاً في تأمين طرق الاتصال وإبطال مفعول التدابير الإنجليزية التي حالت بين هذه القوة الدارفورية وبين حصولها على ما تحتاجه من مدد وسلاح حتى تؤدي دورها كاملاً[77] ، ولو قدر لها ذلك لتغيرت معالم السياسة الدولية ولأضحى للسودان شأناً آخراً.

الخاتمة:

تعتبر سلطة الفور الاسلامية من المناطق المهمة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر ، ولقد لعبت أدوار تاريخية ، اجتماعية ، اقتصادية ، ثقافية وحضارية في تاريخ السودان والمنطقة العربية الإسلامية والأفريقية على وجه العموم.

تميزت بموقع جغرافي مرموق ، كما تفردت بنظام سياسي يمكن أن يحدث قدراً كبيراً من التوازن والتوافق بين أعراق مختلفة إلى أن اصبحت بوتقة انصهار عرقي ، ثقافي اجتماعي وحضاري متقدم.

إن علاقة دارفور الخارجية قوية ومتينة لا سيما بدولة الخلافة العثمانية منذ عهد بعيد خاصة السياسة التي لعبت دوراً مهماً في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م) ، وارتبطت ارتباطاً روحياً بالأراضي المقدسة وظهورها عالمياً بوقوفها إلى جانب دول المحور بمساندتها لتركيا في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م) وأثناء الحرب العالمية الأولى بانحيازها الكامل لدولة الخلافة الإسلامية وأظهر جرأة غير مسبوقة ، وشجاعة نادرة بمعارضة ومقاومة الاحتلال البريطاني ، في وقت تقاعست فيه وتوارت كثير من الدول والقيادات عن المساندة والمؤاذرة لهذه المقاومة ، واصبح موقفه في فقد عرش سلطنته في نوفمبر 1916م.

كان على دينار على مستوى الوطن العربي والإسلامي رمزاً للصمود والمقاومة الوطنية الباسلة دون منازع إلى أن أودى ذلك بعرشه بل روحه فداءً للعقيدة والمبادئ التي آمن بها ولحرمة الوطن.

النتائج:

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة منها :-

1. تمتعت سلطنة دارفور الإسلامية عبر تاريخها الطويل باستقلال تام وتعامل ندى مع القوى الإسلامية المحيطة بها ولا سيما السلطنة العثمانية.
2. جالت تدابير الحكومة الثنائية دون استمرارية الاتصال المباشر بين القوى العثمانية والدارفورية.
3. لم تتمكن الخلافة العثمانية من نجدة السلطان على دينار ومده بما يحتاجه من سلاح ، وعتاد في الوقت المناسب .

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة :-

1. أن دارفور من منظور تاريخي ، حضاري ، ثقافي ، اجتماعي متفردة كماً ونوعاً ، كانت وما زالت وستظل في حاجة إلى رؤية عميقة واستراتيجية واعية.
2. توصي الدراسة بالتاريخ الإجتماعي لدارفور وإستثمار فاعل من قبل الباحثين في علاقاتها الخارجية.
3. ضرورة المحافظة على هذه العلاقة بين دارفور والدولة العثمانية.

الهوامش:

(1) أبـو الفتـوح حسـين عـلى: البيئـة الصحراويـة والبحريـة ، ط1 ، عـمان ، دارالنـشر والتوزيـع ، (1997م)، ص37.

(2) المرجع نفسه ص43.

(3) الخطيـب محمـد محـي الديـن: العوامـل البيئيـة وأثرهـا عـلى المراعـي الطبيعيـة ، بغـداد (1996م) ص113.

(4) المرجع نفسه ص128.

(5) أبو الفتوح حسين على: مرجع سابق ، ص56.

(6) محمديـن عمـر التونـسي: تشـحيذالأذهان بسـيرة بـلاد العـرب والسـودان ، تحقيـق خليـل محمـود عسـاكر ، ومصطفـى محمـد سـعد ، القاهـرة الـدار المصريـة للترجمـة ، (1965م) ، ص5.

* القوز أراضي سهلية توجد بها كثبان رملية كثيفة.

(7) محمدين عمر التونسي: مرجع سابق ، ص7.

(*) عاصمـة دارفـور التجاريـة: وهـي جـسر التواصـل التجـاري والثقـافي والدينـي ، وهـي تمثـل عمقـاً اسـتراتيجياً لحركـة التبـادل التجـاري في محيطهـا الأفريقـي والآسـيوي.

(8) محمـد إبراهيـم أبـو سلسـم: الفـور والأرض ، وثائـق تمليـك كراسـة رقـم (10) ط1 ، الخرطـوم ، دار التأليـف والترجمـة ، جامعـة الخرطـوم ، (1975م) ، ص6.

(9) المرجع نفسه ص(19 – 20).

(10) أحمد عبد القادر أرباب: تاريخ دارفور عبر العصور ، ط1 ، (1998م) ، دار العملة للنشر ، ص8.

(11) ايـدام عبدالرحمـن آدم: تاريـخ دارفـور منـذ عهـد السـلطنات ، ط1 ، مطابـع السـودان للعملـة المحـدودة ، (د – ت) ، ص 21 – 22 .

(12) المرجع نفسه ، ص24.

(13) يوسـف سـليمان سـعيد تكنـة: الـصراع القبـلي والهويـة السـودانية ، مركـز محمـد عمـر بشـير ، أم درمـان 2016م ، ص39.

(14) سـيد احمـد عـلى عثـمان: دارفـور والمـاضي المـر المـاضي – الحـاضر – المسـتقبل ، ط1 ، الـدار العربيـة للنـشر والتوزيـع ، (2007م) ، ص32..

(15) المرجع نفسه ص404.

(16) مالـك عبداللـه آدم صبـي: تاريـخ دارفـور : (الاقتصـادي – الاجتماعـي – الثقـافي) (1916 – 1956م)، ط1 ، الـدار العالميـة للنـشر والتوزيـع (2016م) ، ص57.

(17) الأمـين محمـود محمـد عثـمان: سـلطنة الفـور الإسـلامية ، تحليـل ودراسـة ، شركـة مطابـع السـودان للعملـة المحـدودة ، (2017م) ، ص302.

(18) N.R. OKh. Intell : 112/2//from Asaid

(19) ultan Ali Dinar. Seb. 1915 . P306 Ali Almirgani to

(20) مالك عبد الله آدم صبي: مرجع سابق ، ص60.

(21) الأمين محمود عثمان: مرجع سابق ، ص249.

(22) الأمين محمود محمد عثمان : مرجع سابق ، ص254.

(23) Theoballd – op . cit . p122

(24) N.R.O. kh. Intell : 112/4/ from Sultan Ali Dinar to Seardar . 1915

(25) N.R.O. kh. Intell : 112/2/ from Sultan Ali Dinar to Ali Al margani . 1333H.

(26) N.R.O. kh. Intell : 112/3/ from Sultan Ali Dinar to Anwar pasha April .1915 ,Feb 1119

(27) سيد احمد على عثمان: مرجع سابق ، ص303.

(28) مريم نجاح محمد : تاريخ الدولة العثمانية ، ط1 ، الجيزة ، دار النهار للنشر والتوزيع ، (2014م) ، ص95.

(29) حسين قنديل: فتح دارفور 1916م،ونبذة عن تاريخ سلطانها على دينار ، مطبعة التمدن ، القاهرة 1963م ص200.

(30) أحمد عبدالقادر أرباب: تاريخ دارفور عبر العصور ، ط1 ، بنك الغرب الإسلامي 1998م ، ص60.

(31) uni.ofkh.libarary the Sudan collection (S.I.N) No261916.p6.

(32) سلاطين باشا: السيف والنار في السودان، ط1، دار الحياة للنشر والتوزيع ، 2016م ، ص87.

(33) على محمد الصلابي: الدولة العثمانية ، عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ط1 ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، (المنصورة 2006م) ص605.

(34) N.R.O. kh. Intell : Ibid.2120/3/No2.from Ali Dinar to Anwar pasha January 1916 . p155

(35) 16 . 1915 شعبان 3 Intell ..S.N.A/13/3333,

(36) إبراهيم فوزي: السودان بين يدي غردونوكتشنر ، ج2 ، مصر ، القاهرة ، مطبعة الآداب 1319هـ ص802.

(37) نعوم شقير: تاريخ السودان ، تحقيق محمد إبراهيم أبوسليم- لبنان – بيروت ، دار الجيل 1981م ، ص406.

(38) سورة التوبة ، الآية (123)

(39) كوثر استيوارد : حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نوهيض ، تحقيق وتعليق شكيب آرسلاند ، ط3 ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (1971م) ، ص515.

(40) الشاطر بصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، مصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 901.

(41) سورة التوبة ، مرجع سابق

(42) من السلطان على دينار ، إلى وزير الحربية العثماني ووكيل الكمندان الأعظم في (1334هـ) – (1915م) ، S.N.A.tell 2/3/12 .

(43) N.R.O. kh. Intell : 212/3/ file No2 (1914) p128

(44) احمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ط1 ، دار الشروق للنشر ، لبنان ، ، بيروت ، (د ت) ، ص36.

(45) محمد على الصلابي : مرجع سابق ، ص66.

(46) أنور باشا إلى السلطان على دينار في 3فبراير عام 1915م.الموافق ربيع الأول 1333هـ D.S.A Box .

(47) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة ، ط1 ، مصر – دار الفكر العربي 1948م – القاهرة، ص66.

(48) عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث ، لبنان – بيروت ، دار الثقافة للطباعة والنشر 1967م ، ص903.

(49) يونان لبيب رزق: السودان في عهد الحكم الثنائي الأول (1898 – 1924م) السودان – الخرطوم – جامعة الخرطوم 1964م ، ص27.

(50) كمال الدين عثمان أوغلو: الاتراك في مصر وأثرهم الثقافي ، نقله للعربية صالح سعداوي ، استنبول 2006م.

(51) J.E.H. Boustead: the youth and last days of Ali Dinar. Vol22 (1939).p149 – 53

(52) lampen history of Darfur. Vo131 . part 2 (1950) . p177

(53) Samuel BeyAtia: Senin and Ali Dinar Vol , 7 part 2 (1924) , p63 – 69.

المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر.

- القرآن الكريم.

ثانياً :

محمدين عمر التونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل محمود عساكر – مصطفى محمد مسعد ، مصر ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر 1965م

. محمدين عمر التونسي : رحلة إلى وداي ، تحقيق ودراسة عبد الباقي محمد كبير – شركة مناكب للنشر 2001م.

ثالثاً : وثائق – دار الوثائق القومية بالخرطوم.

تقارير المخابرات السودانية.

Intell : 11/2/2

Intell : 11/4/2

Intell : 2/3/12

Intell : 3/13

12/2/Intell : 3

رابعاً : المراجع باللغة العربية:

إبراهيم فوزي : السودان بين يدي غردونوكتشنر ، مصر – القاهرة ، مطبعة الآداب 1313هـ.

أحمد عبد القادر ارباب : تاريخ دارفور عبر العصور ، بنك الغرب الإسلامي .

أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ط1 ، دار الشروق للنشر (د .ت).

الامين محمود محمد : سلطنة الفور الإسلامية ، تحليل ودراسة ، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة 2017م.

أكمل الدين عثمان أوغلي : الاتراك في مصر وأثرهم الثقافي ، نقلع للعربية صالح سعداوي، استنبول 2006م.

أبو الفتوح حسين على : البيئة الصحراوية والبحرية ، ط1 ، عمان دار النشر والتوزيع 1917م.

إيدام عبد الرحمن آدم : تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات ، ط1 ، مطابع السودان للعملة المحدودة – الخرطوم ، (د . ت)

حسن قنديل : فتح دارفور ونبذة عن السلطان على دينار ، القاهرة ، مطبعة التمدن 1963م.

الخطيب محمد محي الدين : العوامل البيئية واثرها على المراعي الطبيعية ، بغداد ، 1996م.

سيد احمد على عثمان : دارفور والحق المر ، (الماضي – الحاضر – المستقبل) ، ط1 ، الدار العربية للنشر والتوزيع 2007م.

الشاطر بصيلي عبد الجليل : تاريخ حضارات السودان الشرقي والاوسط ، مصر – القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . ت).

عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث ، لبنان – بيروت ، دار الثقافة والنشر والطبع 1967م.

لوثر استيوارد : حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة نوهيض ، تحقيق وتعليق شكيب أرسلان، ط3 ، بيروت ، دار الفكر الإسلامي 1971م.

محمد إبراهيم أبو سليم : الفور والأرض وثائق تمليك ، كراسة رقم (10) ، جامعة الخرطوم، دار التأليف للترجمة والنشر ، ط1 ، 1995م.

مالك عبد الله آدم صبي : تاريخ دارفور (الاقتصادي -الاجتمعاي- الثقافي – 1916 – 1956م) ، ط1 ، الدار العالمية للنشر والتوزيع 2016م.

مريم نجاح محمد : تاريخ الدولة العثمانية ، ط1 ، الجيزة ، دار النهار للنشر والتوزيع 2014م.

محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ، ط1 ، مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1948م.

نعوم شقير : تاريخ السودان ، تحقيق محمد إبراهيم أبوسليم ، دار الجيل للنشر ، بيروت (د . ت).

يونان لبيب رزق : السودان في عهد الحكم الثنائي (1898 – 1924م) ـ السودان – الخرطوم – جامعة الخرطوم 1964م.

خامسا : الكتب باللغة الإنجليزية.

uni of kh : library the Sudan collection (S.I.N) No.26 1916م.

(T.E.H.bousted: the youth and last Days of Ali Dinars.V.o122 (1939

(Samuel BeyAtia: senin and Ali Dinar.Vo1,7part2(1924